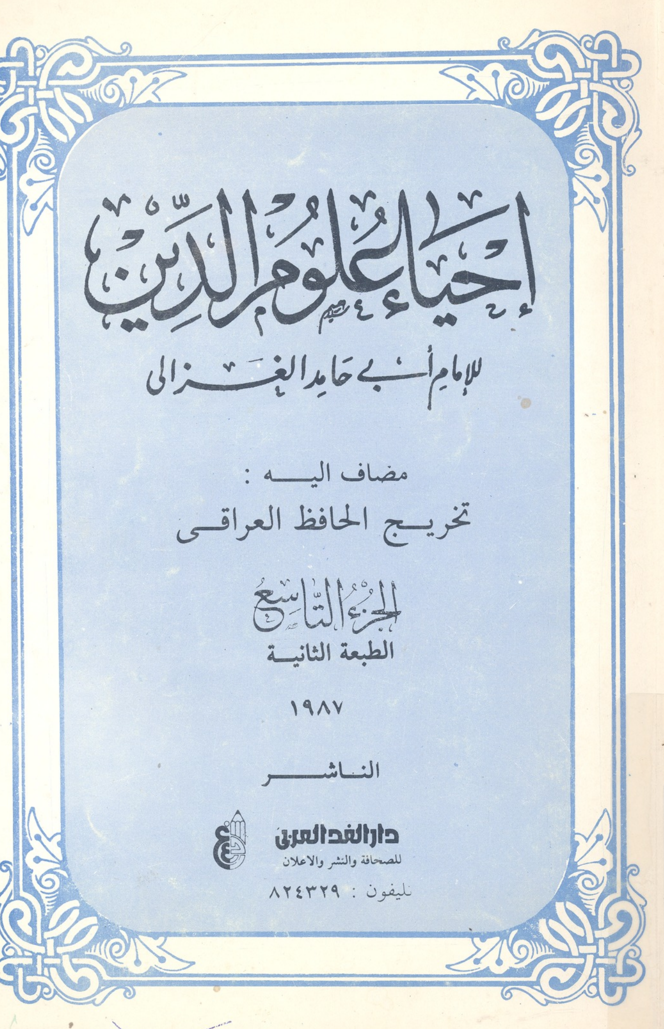


إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

مضاف اليه :

تخريج الحافظ العراقي

الجزء التاسع

الطبعة الثانية

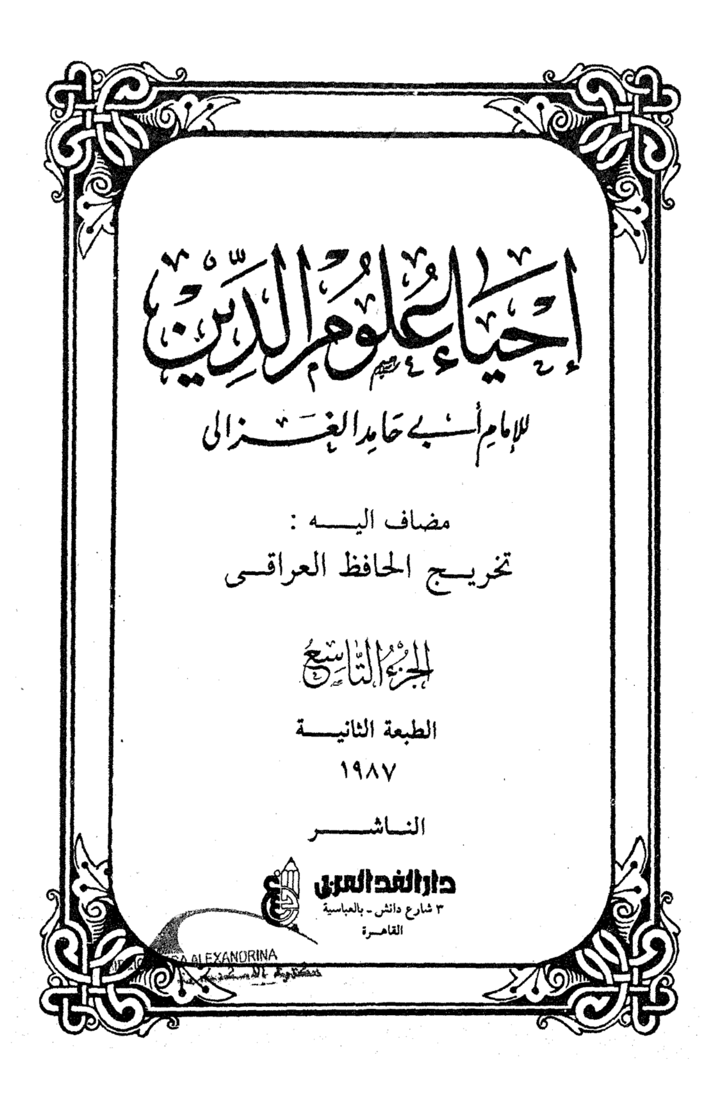
١٩٨٧

الناشر

دار الغد العربي

للصحافة والنشر والاعلان

تليفون : ٨٢٤٣٢٩



إحياء علوم الدين

للإمام أبي حامد الغزالي

مضاف إليه :

تخريج الحافظ العراقي

الجزء التاسع

الطبعة الثانية

١٩٨٧

الناشر

دار الغد العربي

٣ شارع دانش ـ بالعباسية

القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الآفة الثالثة

الخوض في الباطل

وهو الكلام في المعاصي ، كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ، ومراسمهم المذمومة ، وأحوالهم المكروهة . فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ، وهو حرام . وأما الكلام فيما لا يعني ، أو أكثر مما يعني ، فهو ترك الأولى ، ولا تحريم فيه . نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني ، لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ، ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس ، أو الخوض في الباطل .

وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها . فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا . وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها . فقد قال بلال بن الحارث ، [١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وكان علقمة يقول : كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث . وقال النبي صلى الله عليه وسلم [٢] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا » وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ، ما يلقي لها بالا ، يهوي بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ، ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة

{ الآفة الثالثة الخوض في الباطل }

(١) حديث بلال بن الحارث أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ـ الحديث: ه ت وقال حسن صحيح

(٢) حديث أن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا: ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين و ت أن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار لفظ ت وقال حسن غريب

وقال صلى الله عليه وسلم [١] « أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ » وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ [١]) وبقوله تعالى (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ [٢]) وقال سلمان : أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة . أكثرهم كلاما فى معصية الله : وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم ، توضؤا ؛ فإن بعض ماتقولون شر من الحدث

فهذا هو الخوض فى الباطل ، وهو وراء ماسيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض فى ذكر محظورات سبق وجودها ، أو تدبر للتوصل إليها ، من غير حاجة دينية إلى ذكرها . ويدخل فيه أيضا الخوض فى حكاية البدع والمذاهب الفاسدة ، وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم ؛ وكل ذلك باطل ، والخوض فيه خوض فى الباطل ؛ نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

الآفة الرابعة

المراء والجدال

ماورد فى ذم المراء والجدال

وذلك منهى عنه . قال صلى الله عليه وسلم [٢] « لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ » وقال عليه السلام [٣] « ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ لَا تُفْهَمُ حِكْمَتُهُ وَلَا تُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ » وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت

---

(١) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل : ابن أبى الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبرانى موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح

(الآفة الرابعة المراء والمجادلة)

(٢) حديث لاتمار أخاك ولاتمازحه ولاتعده موعدا فتخلفه : ت من حديث ابن عباس وقد تقدم

(٣) حديث ذروا المراء فانه لاتفهم حكمته ولاتؤمن فتنته : طب من حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس ابن مالك وواثلة بن الأسقع باسناد ضعيف دون قوله لاتفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود

(٤) حديث من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ــ الحديث : تقدم فى العلم

---

(١) المدثر : ٤٥ (٢) النساء : ١٤٠

(١) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَوَّلَ مَاعَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ مُلَاحَاةُ* الرِّجَالِ » وقال أيضا (٢) «مَاضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمُ اللهُ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ » وقال أيضا (٣) « لاَيَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا »وقال أيضا (٤) « سِتٌّ مَنْ كُنَّ فِيهِ بَلَغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ الصِّيَامُ فِي الصَّيْفِ وَضَرْبُ أَعْدَاءِ اللهِ بِالسَّيْفِ وَتَعْجِيلُ الصَّلَاةِ فِي الْيَوْمِ الدَّجْنِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَاتِ وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَهُوَ صَادِقٌ »

وقال الزبير لابنه : لا تجادل الناس بالقرءان ، فإنك لا تستطيعهم ، ولكن عليك بالسّنة وقال عمر بن العزيز رحمة الله عليه : من جعل دينه عرضة للخصومات ، أكثر التنقّل . وقال مسلم بن يسار : إياكم والمراء ؛ فإنه ساعة جهل العالم ، وعندها يبتغى الشيطان زلته . وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال . وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه. ليس هذا الجدال من الدين فى شىء. وقال أيضا المراء يقسى القلوب ، ويورث الضغائن. وقال لقمان لابنه يابنى لا تجادل العلماء فيمقتوك . وقال بلال بن سعد، إذا رأيت الرجل لجوجا ممارياً معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته . وقال سفيان . لو خالفت أخى فى رمانة ، فقال حلوة ، وقلت حامضة ، لسعى بى إلى السلطان . وقال أيضا : صاف من شئت ، ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش . وقال ابن أبى ليلى ، لا أمارى صاحبى ، فإما أن أكذبه ، وأما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء ، كفى بك إثما أن لا تزال ممارياً

(١) حديث أم سلمة ان أول ماعهد الى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبى الدنيا فى الصمت والطبرانى والبيهقى بسند ضعيف وقد رواه ابن أبى الدنيا فى المراسيل من حديث عروة بن رويم

(٢) حديث ماضل قوم الا أوتوا الجدل :ت من حديث أبى أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم فى العلم وهو عند ابن أبى الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف

(٣) حديث لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا :ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لايؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا

(٤) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان ــ الحديث : وفيه ترك المراء وهو صادق أبو منصور الديلمى من حديث أبى مالك الاشعرى بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير ــ الحديث :

* ملاحاة الرجال : مقاولتهم ومخاصمتهم يقال . لاحيته ملاحاة ولحاء إذا نازعته

وقال صلى الله عليه وسلم [1] « تَكْفِيرُ كُلِّ لِحَاءٍ رَكْعَتَانِ » وقال عمر رضي الله عنه ، لاتتعلم العلم لثلاث ، ولاتتركه لثلاث . لا تتعلمه لتمارى به ، ولا لتباهى به ، ولالترائى به ولاتتركه حياء من طلبه ، ولازهادة فيه : ولارضا بالجهل منه. وقال عيسى عليه السلام، من كثر كذبه ، ذهب جماله . ومن لاحى الرجال ، سقطت مروءته . ومن كثر همه ؛ سقم جسمه. ومن ساء خلقه ، عذب نفسه

وقيل لميمون بن مهران ، مالك لا تترك أخاك عن قلى ؟ قال لأنى لا أشاريه ولا أماريه

وما ورد فى ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى

وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، إما فى اللفظ ، وإما فى المعنى ، وإما فى قصد المتكلم . وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض . فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق به؛ وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين، فاسكت عنه

والطعن في كلام الغير تارة يكون فى لفظه ، بإظهار خلل فيه من جهة النحو ، أومن جهة اللغة ، أو من جهة العربية ؛ أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير. وذلك يكون تارة من قصور المعرفة ، وتارة يكون بطغيان اللسان . وكيفما كان فلاوجه لإظهار خلله

وأما فى المعنى ، فبأن يقول ليس كما تقول ، وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا

وأما فى قصده ، فمثل أن يقول هذا الكلام حق ، ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض . وما يجرى مجراه . وهذا الجنس إن جرى فى مسألة علمية ، ربما خص باسم الجدل ، وهو أيضا مذموم . بل الواجب السكوت ، أو السؤال فى معرض الاستفادة ، لا على وجه العناد والنكارة أو التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن

وأما المجادلة ، فعبارة عن قصد إفحام الغير ، وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه ، وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل ، يحب أن يكون هو المظهر له خطأه ؛ ليبين به فضل نفسه ؛ ونقص صاحبه. ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل مالا يأثم به لو سكت عنه .

(١) حديث تكفير كل لحاء ركعتان: الطبراني من حديث أبى أمامة بسند ضعيف

الباعث على المراء والجدل

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس ، قويتان لها

أما إظهار الفضل ، فهو من قبيل تزكية النفس ، وهى من مقتضى ما فى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء : وهى من صفات الربوبية

وأما تنقيص الآخر ، فهو من مقتضى طبع السبعية ، فإنه يقتضى أن يمزق غيره ، ويقصمه ويصدمه ويؤذيه

وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان . وإنما قوتهما المراء والجدال . فالمواظب على المراء والجدال مقوّ لهذه الصفات المهلكة . وهذا مجاوز حد الكراهة : بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير ، ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب ، وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ، ويقدح فى قائله بكل ما يتصور له ، فيثور الشجار بين المتمارين ، كما يثور الهراش بين الكلبين ، يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعلم نكاية ، وأقوى فى إفحامه وإلجامه

علاج المراء والجدل

وأما علاجه . فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله ، والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره ، كما سيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغضب . فإن علاج كل علة بإماطة سببها ، وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ، ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا ، حتى يتمكن من النفس ، ويعسر الصبر عنه

روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه ، قال لداود الطائى . لم آثرت الانزواء ؟ قال لأجاهد نفسى بترك الجدال : فقال احضر المجالس واستمع مايقال ، ولا تتكلم . قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علىّ منها . وهو كما قال ، لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه ، تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ » لشدة ذلك على النفس :

وأكثر مايغلب ذلك فى المذاهب والعقائد ، فإن المراء طبع ، فإذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه ، وتعاون الطبع والشرع عليه ، وذلك خطأ محض . بل ينبغى للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة . وإذا رأى مبتدعا تلطف فى نصحه فى خلوة ، لا بطريق

الجدال . فإن الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه فى التلبيس ؛ وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا . فتستمر البدعة فى قلبه بالجدل وتتأكد . فإذ عرف أن النصح لا ينفع ، اشتغل بنفسه وتركه . وقال صلى الله عليه وسلم[1] « رَحِمَ اللهُ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إلاَّ بِأَحْسَنِ مَايَقْدِرُ عَلَيْهِ » وقال هشام بن عروة. كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات . وكل من اعتاد المجادلة مدة ؛ وأثنى الناس عليه ؛ ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا ، قويت فيه هذه المهلكات : ولا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب ، والكبر ؛ والرياء ؛ وحب الجاه ، والتعزز بالفضل . وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها ؛ فكيف بمجموعها !

الآفة الخامسة

الخصومة

وهى أيضا مذمومة . وهى وراء الجدال والمراء . فالمراء طعن فى كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . والخصومة لجاج فى الكلام ، ليستوفى به مال أو حق مقصود . وذلك تارة يكون ابتداء ؛ وتارة يكون اعتراضا. والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق . فقد قالت عائشة رضى الله عنها ،[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ » وقال أبو هريرة ،[3] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ »

---

(١) حديث رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا بأحسن مايقدر عليه :ابن أبى الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كف لسانه عن اعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا

(الآفة الخامسة الخصومة)

(٢) حديث عائشة ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم: خ وقد تقدم

(٣) حديث أبى هريرة من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع :ابن أبى الدنيا والأصفهانى فى الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور

وقال بعضهم ، إياك والخصومة ، فإنها تمحق الدين . ويقال ماخاصم ورع قط فى الدين

وقال ابن قتيبة ، مرّ بى بشر بن عبد الله بن أبى بكرة ،فقال مايجلسك ههنا ؟ قلت خصومة بينى وبين ابن عم لى . فقال إن لأبيك عندى يدا ، وأنى أريد أن أجزيك بها . وإنى والله مارأيت شيئا أذهب للدين ، ولا أنقص للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة . قال فقمت لأنصرف . فقال لى خصمى ، مالك ؟ قلت لاأخاصمك . قال إنك عرفت أن الحق لى. قلت لا ، ولكن أكرم نفسى عن هذا . قال فإنى لا أطلب منك شيئا هو لك

فإن قلت : فإذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة فى طلبه ، أو فى حفظه ، مهما ظلمه ظالم ، فكيف يكون حكمه ؟ وكيف تذم خصومته

الخصومة المذمومة

فاعلم أن هــذا الذم يتناول الذى يخاصم بالباطل ؛ والذى يخاصم بغير علم ، مثل وكيل القاضى ؛ فإنه قبل أن يتعرف أن الحق فى أى جانب ، هو يتوكل فى الخصومة من أى جانب كان، فيخاصم بغير علم . ويتناول الذى يطلب حقه ، ولـكنه لايقتصر على قـدر الحاجة ، بل يظهر اللدد فى الخصومة ، على قصد التسلط ، أو على قصد الإيذاء

ويتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ، ليس يحتاج إليها فى نصرة الحجة ، وإظهار الحق . ويتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد ، لقهر الخصم وكسره ، مع أنه قـد يستحقر ذلك القدر من المال . وفى الناس من يصرح به ويقول ، إنما قصدى عناده وكسر عرضه ، وإنى إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى . وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج ، وهو مذموم جدا .

الخصومة لنيل الحق

فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع ، من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج ، على قدر الحاجة ، ومن غير قصد عناد وإيذاء ، ففعله ليس بحرام ، ولكن الأولى تركه ماوجد إليه سبيلا. فإن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب . وإذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه ، وبقى الحقد بين المتخاصمين، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ، ويحزن بمسرته ، ويطلق اللسان فى عرضه. فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات. وأقل مافيه تشويش خاطره ، حتى أنه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه ، فلا يبقى الأمر على حد الواجب .

فالخصومة مبدأ كل شر. وكذا المراء والجدال . فينبغى أن لا يفتح بابه إلا لضرورة ، وعند الضرورة ينبغى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة ، وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم من الإثم ، ولا تذم خصومته . إلا أنه إن كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه ، لأن عنده مايكفيه ، فيكون تاركا للأولى، ولا يكون آثما . نعم أقل مايفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام ، وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ، ولا خشونة فى الكلام أعظم من الطعن والاعتراض ، الذى حاصله إما تجهيل ، وإما تكذيب . فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه ، فقد جهله أو كذبه ، فيفوت به طيب الكلام

وقال صلى الله عليه وسلم «يُمَكِّنُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ طِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»[1] وقد قال الله تعالى (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا [(١)]) وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، من سلم عليك من خلق الله ، فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا ، إن الله تعالى يقول (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا [(٢)]) وقال ابن عباس أيضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه . وقال أنس[2] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَلَانَ الْكَلَامَ »

وروى أن عيسى عليه السلام مر به خنزير ، فقال مر بسلام . فقيل ياروح الله أتقول هذا لخنزير ؟ فقال أكره أن أعود لسانى الشر . وقال نبينا عليه السلام[3] « الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » وقال[4] «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» وقال عمر رضى الله عنه ، البر شىء هين ، وجه طلق وكلام لين . وقال بعض الحكماء ، الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح . وقال بعض الحكماء : كل كلام لا يسخط ربك

---

(١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام : الطبرانى من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هانى أبى شريح باسناد جيد : وجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام

(٢) حديث أنس ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها ـ الحديث : ت وقد تقدم

(٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة : م من حديث أبى هريرة

(٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة ـ الحديث : متفق عليه من حديث عدى ابن حاتم وقد تقدم

---

(١) البقرة : ٨٣ (٢) النساء : ٨٦

إلا أنك ترضى به جليساً . ولا تكن به عليه بخيلا ، فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين

وهذا كله فى فضل الكلام الطيب ، وتضاده الخصومة ، والمراء ، والجدال ، واللجاج فإنه الكلام المستكره الموحش ، المؤذي للقلب ، المنغص للعيش ، المهيج للغضب ، الموغر للصدر ، نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

الآفة السادسة

التقعر فى الكلام

بالتشدق . وتكلف السجع والفصاحة ، والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات ، وما جرت به عادة المتفاصحين ، المدعين للخطابة . وكل ذلك من التصنع المذموم ، ومن التكلف الممقوت ، الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التَّكَلُّفِ » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وقالت فاطمة رضى الله عنها [2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُوا بِالنَّعِيمِ يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » ثلاث مرات . والتنطع هو التعمق والاستقصاء .

وقال عمر رضى الله عنه ، إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان . وجاء عمرو بن سعد بن أبى وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة . فتكلم بين يدى حاجته بكلام . فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [4] « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُونَ الْكَلَامَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ الْكَلَأَ بِأَلْسِنَتِهَا »

(الآفة السادسة التقرع فى الكلام والتشدق)

(١) حديث ان أبغضكم الى الله وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون أحمد من حديث أبى ثعلبة وهو عند ت من حديث جابر وحسنه بلفظ ان أبغضكم الى

(٢) حديث فاطمة شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ـ الحديث : وفيه يتشدقون ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب

(٣) حديث ألا هلك المتنطعون م من حديث ابن مسعود

(٤) حديث سعد يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها رواه أحمد

وكأنه أنكر عليه ماقدمه على الكلام ، من التشبب : والمقـــدمة المصنوعة المتكلفة وهـذا أيضا من آفات اللسان ، ويدخل فيه كل سجع متكلف ، وكذلك التفاصيح الخارج عن حد العادة ؛ وكذلك التكلف بالسجع فى المحاورات ، إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين ، فقال بعض قوم الجانى ، [١] كيف ندى من لاشرب ولاأكل ولا صاح ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ! فقال « أَسَجْعًا كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ » وأنكر ذلك ، لأن أثر التكلف والتصنع بيّن عليه . بل ينبغى أن يقتصر فى كل شىء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض ، وما وراء ذلك تصنع مذموم

ولا يدخل فى هذه تحسين ألفاظ الخطابة ، والتذكير من غير إفراط وإغراب ، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها ، وقبضها وبسطها ، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه ،فهو لائق به . فأما المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات ، فلا يليق بها السجع والتشدق ، والاشتغال به من التكلف المذموم ، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة ، والتميز بالبراعة ، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ، ويزجر عنه

الآفة السابعة

الفحش والسب وبذاءة اللسان

وهو مذموم ومنهى عنه ؛ ومصدره الخبث واللؤم . قال صلى الله عليه وسلم [٢] « إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَيُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ » [٣] ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين ، فقال « لاَتَسُبُّوا هَؤُلاَءِ فَإِنَّهُ لاَ يَخْلُصُ إِلَيْهِمْ شَىْءٌ

(١) حديث كيف ندى من لاشرب ولاأكل . الحديث : م من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وأصلهما عند خ أيضا
(الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٢) حديث اياكم والفحش ـ الحديث : ن فى الكبرى فى التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبى هريرة

(٣) حديث النهى عن سب قتلى بدر من المشركين ـ الحديث : ابن أبى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع فى أب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه ـ الحديث : وفيه لاتسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا

مِمَّا تَقُولُونَ وَتُؤْذُونَ الْأَحْيَاءَ أَلاَ إِنَّ الْبَذَاءَ لُؤْمٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [١] « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الْفَاحِشِ وَلاَ الْبَذِيءِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « الْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ أَنْ يَدْخُلَهَا » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْأَذَى يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ وَالْجَحِيمِ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ رَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا ودَمًا فَيُقَالُ لَهُ مَا بَالُ الْأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَا بِنَا مِنَ الْأَذَى فَيَقُولُ إِنَّ الْأَبْعَدَ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ قَذِعَةٍ خَبِيثَةٍ فَيَسْتَلِذُّهَا كَمَا يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة [٤] « يَا عَائِشَةُ لَوْ كَانَ الْفُحْشُ رَجُلاً لَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] « الْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف مالا يجوز كشفه، ويحتمل أيضا المبالغة في الإيضاح، حتى ينتهى إلى حد التكلف ، ويحتمل أيضا البيان فى أمور الدين ، وفى صفات الله تعالى ، فإن إلقاء ذلك مجملا إلى أسماع العوام أولى من المبالغة فى بيانه ، إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب . ولكن ذكره مقرونا بالبذاء، يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحى الإنسان من بيانه ، فإن الأولى فى مثله الإغماض والتغافل ، دون الكشف والبيان

وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ الصَّيَّاحَ فِي الْأَسْوَاقِ »

---

(١) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى: ت بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه [illegible] موقوفا قال الدار قطنى فى العلل والموقوف أصح

(٢) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها: ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو

(٣) حديث أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الاذى ـ الحديث : وفيه ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ابن أبى الدنيا من حديث شفى بن ماتع واختلف فى صحبته فذكره أبو نعيم فى الصحابة وذكره حب فى التابعين

(٤) حديث ياعائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء: ابن أبى الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبى النضر عن أبى سلمة عنها

(٥) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق: ت وحسنه و ك وصححه على شرطهما من حديث أبى امامة وقد تقدم

(٦) حديث ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش الصياح فى الاسواق: ابن أبى الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله وللطبرانى من حديث أسامة بن زيد ان الله لا يحب الفاحش المتفحش واسناده جيد

وقال جابر بن سمرة [١] ، كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبى أمامى . فقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الفُحْشَ وَالتَّفَاحُشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا »

وقال ابراهيم بن ميسرة : يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف بن قيس ، ألا أخبركم بأدوإ الداء : اللسان البذى ، والخلق الدنى · فهذه مذمة الفحش

حد الفحش

فأما حده وحقيقته ، فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة . وأكثر ذلك يجرى فى ألفاظ الوقاع وما يتعلق به . فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه ، وأهل الصلاح يتحاشون عنها ، بل يكنون عنها، ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها . وقال ابن عباس ، إن الله حيي كريم ، يعفو ويكنو . كنى باللمس عن الجماع .فالمسيس،واللمس، والدخول ، والصحبة ، كنايات عن الوقاع . وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ، ويستعمل أكثرها فى الشتم والتعيير . وهذه العبارات متفاوتة فى الفحش ، وبعضها أفحش من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد ، وأوائلها مكروهة ، وأواخرها محظورة ، وبينهما درجات يترددفيها .

وليس يختص هذا بالوقاع ؛ بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول ، والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما · وإن هذا أيضا مما يخفى ، وكل ما يخفى يستحيا منه ، فلا ينبغى أن يذكر ألفاظه الصريحة ، فإنه فحش

وكذلك يستحسن فى العادة الكناية عن النساء ، فلا يقال قالت زوجتك كذا ،بل يقال قيل فى الحجرة ، أو من وراء الستر ، أوقالت أم الأولاد ، فالتلطف فى هذه الألفاظ محمود ، والتصريح فيها يفضى إلى الفحش

وكذلك من به عيوب يستحيا منها ، فلا ينبغى أن يعبر عنها بصريح لفظها ، كالبرص، والقرع ، والبواسير ، بل يقال العارض الذى يشكوه ، وما يجرى مجراه . فالتصريح بذلك داخل فى الفحش . وجميع ذلك من آفات اللسان ·قال العلاء بن هرون ، كان عمر بن عبد العزيز

(١) حديث جابر بن سمرة ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء ـ الحديث : أحمد وابن أبى الدنيا باسناد صحيح

يتحفظ فى منطقه ، فخرج تحت إبطه خراج ، فأتيناه نسأله لنرى ما يقول ، فقلنا من أين خرج ؟ فقال من باطن اليد

والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء ، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق، وأهل الخبث واللؤم ، ومن عادتهم السب . وقال أعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم [١] أوصنى فقال « عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ وَإِنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ يَكُنْ وَبَالُهُ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ وَلاَ تَسُبَّنَّ شَيْئاً » قال فما سببت شيئا بعده

وقال عياض بن حمار [٢] قلت يارسول الله ، إن الرجل من قومى يسبنى وهو دونى ، هل على من بأس أن أنتصر منه ؟ فقال « الْمُتَسَابَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَعَاوَيَانِ وَيَتَهَارَجَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « الْمُسْتَبَّانِ مَاقَالاَ فَعَلَى الْبَادِىءِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِىَ الْمَظْلُومُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ » وفى رواية « مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ » قالوا يارسول الله ، كيف يسب الرجل والديه ؟ قال « يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ الآخَرُ أَبَاهُ »

الآفة الثامنة

اللعن

إما لحيوان أو جماد أو إنسان . وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قال اعرابى أوصنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشىء تعلمه فيك فلا تعيره بشىء تعلمه فيه ـ الحديث : أحمد والطبرانى باسناد جيد من حديث أبى جرى الهجيمى قيل اسمه جابر ابن سليم وقيل سليم بن جابر

(٢) حديث عياض بن حمار قلت يارسول الله الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من بأس ان أنتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران : د الطيالسى واصله عند أحمد

(٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٤) حديث المستبان ماقالا فعلى البادىء حتى يعتدى المظلوم : م من حديث أبى هريرة وقال مالم يعتد

(٥) حديث ملعون من سب والديه وفى رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه ـ الحديث : أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باللفظ الأول باسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثانى من حديث عبد الله بن عمرو

(١) « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِلَعَّانٍ » وقال صلى الله عليه وسلم(٢) « لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ وَلَا بِغَضَبِهِ وَلَا بِجَهَنَّمَ » وقال حذيفة ، ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول. وقال عمران بن حصين (٣) بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، إذا امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها، فلعنتها . فقال صلى الله عليه وسلم « خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَأَعْرُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ » قال فكأنى أنظر إلى تلك الناقة تمشى بين الناس : لا يتعرض لها احد

تأديب الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه

وقال أبو الدرداء ، ما لعن أحد الأرض إلا قالت ، لعن الله أعصانا لله . وقالت عائشة رضى الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه ،فالتفت إليه وقال « يَا أَبَا بَكْرٍ أَصِدِّيقِينَ وَلَعَّانِينَ ! كَلَّا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ » مرتين أو ثلاثا ،فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال لا أعود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ، « إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال أنس (٦) : كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره ، فقال صلى الله عليه وسلم « يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مَلْعُونٍ » وقال ذلك إنكارا عليه

ذم اللعن

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى ، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل، وهو الكفر و الظلم، بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين

(الآفة الثامنة اللعن)

(١) حديث المؤمن ليس بلعان : تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ـ الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذى وحسنه من حديث ابن عمر لايكون المؤمن لعانا

(٢) حديث لاتلاعنوا بلعنة الله ـ الحديث : ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح

(٣) حديث عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها ـ الحديث : رواه م

(٤) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال ياأبا بكر لعانين وصديقين ـ الحديث : ابن أبى الدنيا في الصمت وشيخه بشار ابن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأى فيه

(٥) حديث إن اللعانين لايكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة : م من حديث أبى الدرداء

(٦) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال ياعبد الله لاتسر معنا على بعير ملعون ابن أبى الدنيا باسناد جيد

وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع ، فإن في اللعنة خطرا ، لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون ، وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ، ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلعه الله عليه

مقتضيات اللعن

والصفات المقتضية للعن ثلاثة ، الكفر ، والبدعة ، والفسق . وللعن في كل واحدة ثلاثة مراتب

الأولى : اللعن بالوصف الأعم ، كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين ، والفسقة

مراتب اللعن

الثانية : اللعن بأوصاف أخص منه ، كقولك لعنة الله على اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وعلى القدرية ، والخوارج ، والروافض ، أو على الزناة ، والظلمة ، وآكلي الربا ، وكل ذلك جائز ، ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر ، لأن معرفة البدعة غامضة ، ولم يرد فيه لفظ مأثور ، فينبغي أن يمنع منه العوام ، لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ، ويثير نزاعا بين الناس وفسادا

الثالثة . اللعن للشخص المعين ، وهذا فيه خطر . كقولك زيد لعنه الله ، وهو كافر ، أو فاسق ، أو مبتدع والتفصيل فيه ، أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا ، فتجوز لعنته .

الاحتياط الشديد في لعن شخص بعينه

كقولك فرعون لعنه الله ، وأبو جهل لعنه الله ، لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا . أما شخص بعينه في زماننا ، كقولك زيد لعنه الله ، وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر . فإنه ربما يسلم ؛ فيموت مقربا عند الله ، فكيف يحكم بكونه ملعونا ؟

فإن قلت . يلعن لكونه كافرا في الحال ، كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال ، وإن كان يتصور أن يرتد

فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله ، أي ثبته الله على الإسلام ، الذي هو سبب الرحمة . وعلى الطاعة . ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة . فإن هذا سؤال للكفر ، وهو في نفسه كفر . بل الجائز أن يقال ، لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنه الله إن مات على الإسلام . وذلك غيب لا يدرى . والمطلق متردد بين الجهتين ، ففيه خطر ، وليس في ترك اللعن خطر

وإذا عرفت هذا في الكافر ، فهو في زيد الفاسق ، أو زيد المبتدع أولى . فلعن الأعيان فيه خطر ، لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ، ولذلك عين قوما باللعن ، فكان يقول في دعائه على قريش ، [1] « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ » وذكر جماعة

(١) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة : متفق عليه من حديث ابن مسعود

قتلوا على الكفر ببدر حتى أن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه . [١] إذ روى أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا ، فنزل قوله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [(١)]) يعنى أنهم ربما يسلمون، فمن أين تعلم أنهم ملعونون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر ، جاز لعنه ، وجاز ذمه ، إن لم يكن فيه أذى على مسلم فإن كان لم يجز ، كما روى [٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سأل أبا بكر رضى الله عنه عن قبر مرّ به ، وهو يريد الطائف . فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص ، فغضب ابنه عمرو بن سعيد ، وقال يارسول الله ، هذا قبر رجل كان أطعم للطعام ، وأضرب للهام من أبى قحافة . فقال أبو بكر ، يكلمنى هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام ! فقال صلى الله عليه وسلم « اكْفُفْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ » فانصرف ثم أقبل على أبى بكر فقال « يَاأَبَا بَكْرٍ إِذَا ذَكَرْتُمُ الْكُفَّارَ فَعَمِّمُوا فَإِنَّكُمْ إِذَا خَصَّصْتُمْ غَضِبَ الْأَبْنَاءِ لِلْآبَاءِ » فكف الناس عن ذلك

سياسته صلى الله عليه وسلم فى فصل الخصومة

[٣] وشرب نعيمان الخمر، فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال بعض الصحابة ، لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به . فقال صلى الله عليه وسلم « لاَ تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ

(١) حديث انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا ـ الحديث : وفى رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان ـ الحديث : ولهما من حديث أبى هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه ـ الحديث : وفيه اللهم العن لحيان ورعلا ـ الحديث : وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء لفظ م

(٢) حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد ابن العاص فغضب ابنه ـ الحديث : د فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله ـ الحديث : وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا

(٣) حديث شرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على أخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر فى الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار

(١) آل عمران : ١٢٨.

عَلَى أَخِيكَ » وفي رواية « لاَ تَقُلْ هَذَا فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » فنهاه عن ذلك . وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز

وعلى الجملة ، ففي لعن الأشخاص خطر ، فليجتنب . ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلا ، فضلا عن غيره

فإن قيل : هل يجوز لعن يزيد ، لأنه قاتل الحسين أو آمر به ،

قلنا : هذا لم يثبت أصلا ، فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به مالم يثبت ، فضلا عن اللعنة ، لأنه لاتجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق . نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا، وقتل أبو لؤلؤة عمر رضى الله عنهم ، فإن ذلك ثبت متواترا . فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق . قال صلى الله عليه وسلم [1] « لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْكُفْرِ وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْفِسْقِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « مَا شَهِدَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ بِالْكُفْرِ إِلاَّ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَافِراً فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فَقَدْ كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ إِيَّاهُ » وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم . فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها ، كان مخطئا لا كافرا . وقال معاذ [3] قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنْهَاكَ أَنْ تَشْتُمَ مُسْلِماً أَوْ تَعْصِيَ إِمَاماً عَادِلاً »

والتعرض للأموات أشد . قال مسروق ، دخلت على عائشة رضى الله عنها ؛ فقالت ما فعل فلان لعنه الله ؟ قلت توفى . قالت رحمه الله ، قلت وكيف هذا ؟ فالت قال رسول الله

من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا ومحمد هذا ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمدا وكناه عبد الملك والبخارى من حديث عمر أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده فى الشرب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر مايؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتلعنوه فوالله ماعلمت الاأنه يحب الله ورسوله من حديث أبى هريرة فى رجل شرب والميسم وفيه لاتعينوا عليه الشيطان وفى رواية لاتكونوا عون الشيطان على أخيكم

(١) حديث لايرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك : متفق عليه والسياق للبخارى من حديث أبى ذر مع تقديم ذكر الفسق

(٢) حديث ماشهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره إياه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف

(٣) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلما أو تعصى اماما عادلا : أبو نعيم فى الحلية فى أثناء حديث له طويل

صلى الله عليه وسلم [١] « لاَ تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا » وقال عليه السلام [٢] « لاَ تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا بِهِ الْأَحْيَاءَ » وقال عليه السلام [٣] « أَيُّهَا النَّاسُ احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي وَأَصْهَارِي وَلاَ تَسُبُّوهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ فَاذْكُرُوا مِنْهُ خَيْراً »

فإن قيل : فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله ؟ أو الآمر بقتله لعنه الله

قلنا الصواب أن يقال ، قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله . لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة . فإن وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتله وهو كافر ، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا . ولا يجوز أن يلعن . والقتل كبيرة ، ولا تنتهي إلى رتبة الكفر . فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق ، كان فيه خطر . وليس في السكوت خطر ، فهو أولى

وإنما أوردناه هذا لتهاون الناس باللعنة ، وإطلاق اللسان بها . والمؤمن ليس بلعان . فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر ، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين . فالاشتغال بذكر الله أولى : فإن لم يكن ، ففي السكوت سلامة . قال مكي بن إبراهيم ، كنا عند ابن عون ، فذكروا بلال بن أبي بردة ، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه . وابن عون ساكت . فقالوا يا ابن عون ، إنما نذكره لما ارتكب منك ، فقال إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة . لا إله إلا الله ، ولعن الله فلانا . فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله ، أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] أوصني ، فقال « أُوصِيكَ أَنْ لاَ تَكُونَ لَعَّاناً »

---

(١) حديث عائشة لاتسبوا الاموات فانهم قد أفضوا إلى ماقدموا : خ وذكر المصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة

(٢) حديث لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء : الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلا لم يسم

(٣) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي واخواني وأصهاري ولاتسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيرا : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الانصاري احفظوني في أصحابي وأصهاري واسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائي من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم الا بخير واسناده جيد

(٤) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لاتكون لعانا : أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني من حديث جرموز الهجيمي وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم

وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طعان لعان . وقال بعضهم : لعن المؤمن يعدل قتله . وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا، لو قلت إنه مرفوع لم أبال . وعن أبي قتادة ، قال (١) كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله . وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر ، حتى الدعاء على الظالم . كقول الإنسان مثلا لا صحح الله جسمه ، ولا سلمه الله ، وما يجرى مجراه . فإن ذلك مذموم . وفى الخبر (٢) « إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُكَافِئَهُ ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

الآفة التاسعة

الغناء والشعر

وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل ، فلا نعيده

أما الشعر ، فكلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح . إلا أن التجرد له مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْراً » وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر ، فكرهه ، فقيل له فى ذلك ، فقال أنا أكره أن يوجد فى صحيفتى شعر . وسئل بعضهم عن شىء من الشعر ، فقال اجعل مكان هذا ذكرا ، فإن ذكر الله خير من الشعر .

وعلى الجملة : فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام ، إذا لم يكن فيه كلام مستكره . قال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » نعم مقصود الشعر المدح ، والذم ، والتشبيب ، وقد يدخله الكذب . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) حسان بن ثابت

---

(١) حديث لعن المؤمن كقتله : متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك

(٢) حديث ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة : لم أقف له على أصل وللترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر

﴿ الآفة التاسعة الغناء والشعر ﴾

(٣) حديث لأن يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا : مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة نحوه والبخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبى سعيد

(٤) حديث ان من الشعر لحكمة : تقدم فى العلم وفى آداب السماع

(٥) حديث أمره حسانا أن يهجو المشركين : متفق عليه من حديث البراء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان أهجهم وجبريل معك

الانصارى بهجاء الكفار . والتوسع فى المدح ، فإنه وإن كان كاذبا ، فإنه لا يلتحق فى التحريم بالكذب . كقول الشاعر

ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

التصريح ببعض المبالغة فى الشعر

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء . فإن لم يكن صاحبه سخيا ، كان كاذبا . وإن كان سخيا . فالمبالغة من صنعة الشعر ، فلا يقصد منه أن يعتقد صورته . وقد أنشدت أبيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو تتبعت ، لوجد فيها مثل ذلك ، فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها :(١) «كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخصف نعله، وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نورا ، قالت فبهت ، فنظر إلىّ فقال « مَالَكِ بُهِتِّ ؟ » فقلت يارسول الله ، نظرت إليك ، فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ، ولو رآك أبو كبير الهذلى ، لعلم أنك أحق بشعره . قال « وَمَا يَقُولُ يَا عَائِشَةُ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيٌّ ؟ » قلت يقول هذين البيتين

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده ، وقام إلىّ ، وقبل ما بين عينى ،وقال« جَزَاكِ اللهُ خَيْراً يَا عَائِشَةُ مَا سُرِرْتِ مِنِّى كَسُرُورِى مِنْكِ »(٢) ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين ، أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص ، فاندفع يشكو فى شعر له وفى آخره

---

(١) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا ـ الحديث : وفيه انشاد عائشة لشعر أبى كبير الهذلى

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

فاذا نظرت الى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

الى آخر الحديث : رواه البيهقى فى دلائل النبوة

(٢) حديث لما قسم الغنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفى آخره شعره

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس فى مجمع

وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه ـ الحديث : مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع ابن حابس كل انسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

وما كان بدر ولا حابس   يسودان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرىء منهما   ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم « اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ » فذهب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة من الإبل ، ثم رجع وهو من أرضى الناس . فقال له صلى الله عليه وسلم « أَتَقُولُ فِيَّ الشِّعْرَ ؟ » فجعل يعتذر إليه ويقول ، بأبى أنت وأمى ، إنى لأجد للشعر دبيبا على لسانى كدبيب النمل ، ثم يقرصنى كما يقرص النمل ، فلا أجد بدا من قول الشعر . فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال « لَا تَدَعُ الْعَرَبُ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الْإِبِلُ الْحَنِينَ »

الآفة العاشرة

المزاح

وأصله مذموم منهى عنه ، إلا قدرا يسيرا يستثنى منه . قال صلى الله عليه وسلم « لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ »(1)

فإن قلت : المماراة فيها إيذاء ، لأن فيها تكذيبا للأخ والصديق ، أو تجهيلا له ، وأما المزاح فمطايبة ، وفيه انبساط وطيب قلب ، فلمَ ينهى عنه؟

فاعلم . أن المنهى عنه الإفراط فيه ، أو المداومة عليه

أما المداومة، فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ، ولكن المواظبة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه ، فإنه يورث كثرة الضحك ، وكثرة الضحك تميت القلب ، وتورث الضغينة فى بعض الأحوال ، وتسقط المهابة والوقار . فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم ،

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كان بدر ولا حابس   يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرىء منهما   ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد فى رواية وأعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطعوا عنى لسانه فليست فى شىء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة المزاح)

(1) حديث لا تمار أخاك ولا تمازحه : الترمذى وقد تقدم

كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [١] « إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا. وأما غيره إذا فتح باب المزاح ؛ كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا »

كثرة الضحك تميت القلب

وقال عمر رضى الله عنه ، من كثر ضحكه ؛ قلت هيبته : ومن مزح استخف به ؛ ومن أكثر من شيء عرف به ؛ ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم [٣] « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا »

وقال رجل لأخيه يا أخي ؛ هل أتاك أنك وارد النار؟ قال : نعم ، قال. فهل أتاك أنك خارج منها ؟ قال : لا قال. ففيم الضحك ؟ قيل فما رئى ضاحكا حتى مات ، وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك . وقيل : أقام عطاء السلمى أربعين سنة لم يضحك . ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون فى عيد فطر ، فقال : إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبى يعلى يقول ، أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار ! وقال ابن عباس ، من أذنب ذنبا وهو يضحك ، دخل النار وهو يبكى. وقال محمد بن واسع : إذا رأيت فى الجنة رجلا يبكى ، ألست تعجب من بكائه؟ قيل بلى ، قال. فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى إلى ماذا يصير هو أعجب منه

فهذه آفة الضحك . والمذموم منه أن يستغرق ضحكا . والمحمود منه التبسم الذى ينكشف فيه السن ، ولا يسمع له صوت . وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] قال القاسم مولى معاوية [٥] أقبل أعرابى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، على قلوص له صعب

---

(١) حديث أنى امزح ولا أقول الا حقا : تقدم

(٢) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا : تقدم

(٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا : متفق عليه من حديث أنس وعائشة

(٤) حديث كان ضحكه التبسم : تقدم

(٥) حديث القاسم مولى معاوية أقبل اعرابى الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه

فسلّم ، فجعل كلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله ، يفربه ، فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه . ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله . فقيل يارسول الله ، إن الأعرابى قد صرعه قلوصه ، وقد هلك . فقال « نَعَمْ وَأَفْوَاهُكُمْ مَلأَى مِنْ دَمِهِ »

وأما أداء المزاح إلى سقوط الوقار ، فقد قال عمر رضى الله عنه ، من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر ، قالت لى أمى ، يابنى لا تمازح الصبيان فتهون عندهم . وقال سعيد ابن العاص لابنه ، يابنىّ لاتمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدنىء فيجترىء عليك . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، اتقوا الله وإياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ، ويجر إلى القبيح . تحدثوا بالقرءان ، وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال . وقال عمر رضى الله عنه . أتدرون لم سمي المزاح مزاحا ؟ قالوا لا . قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق . وقيل لكل شىء بذور ، وبذور العداوة المزاح . ويقال المزاح مسلبة للنهى ، مقطعة للأصدقاء .

فإن قلت . قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول . إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقا ، ولا تؤذى قلبا ، ولا تفرط فيه ، وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك فيه . ولكن من الغلط العظيم ، أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ، ويفرط فيه ، ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ، ينظر إليهم وإلى رقصهم ، ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة فى النظر إلى رقص الزنوج فى يوم عيد [1] . وهو خطأ . إذ من الصغائر مايصير كبيرة بالإصرار ، ومن المباحات مايصير صغيرة بالإصرار . فلا ينبغى أن يغفل عن هذا

ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وأفواهكم ملأى من دمه : ابن المبارك فى الزهد والرقائق وهو مرسل

(١) حديث أذنه لعائشة فى النظر إلى رقص الزنوج فى يوم عيد : تقدم

بعض أمثلة من مزاحه صلى الله عليه وسلم

نعم روى أبو هريرة [(١)] أنهم قالوا يارسول الله، إنك تداعبنا ،فقال « إِنِّي وَإِنْ دَاعَبْتُكُمْ لاَأَقُولُ إِلاَّ حَقًّا » وقال عطاء [(٢)] إن رجلا سأل ابن عباس ، أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال نعم . قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه : إنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا ،فقال لها « اَلْبَسِيهِ وَاحْمَدِي ، وَجُرِّي مِنْهُ ذَيْلاً كَذَيْلِ الْعَرُوسِ » وقال أنس ، إن النبي صلى الله عليه وسلم [(٣)] كان من أفكه الناس مع نسائه . وروى [(٤)] أنه كان كثير التبسم . وعن الحسن [(٥)] قال ، أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لها صلى الله عليه وسلم « لاَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ » فبكت فقال « إِنَّكِ لَسْتِ بِعَجُوزٍ يَوْمَئِذٍ » قال الله تعالى (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا [(١)])

وقال زيد بن أسلم [(٦)] إن امرأة يقال لها أم أيمن ، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ، إن زوجي يدعوك . قال « وَمَنْ هُوَ ؟ أَهُوَ الَّذِي بِعَيْنِهِ بَيَاضٌ ؟ » قالت والله مابعينه بياض . فقال « بَلَى إِنَّ بِعَيْنِهِ بَيَاضاً » فقالت لا والله. فقال صلى الله عليه وسلم « مَامِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَبِعَيْنِهِ بَيَاضٌ » وأراد به البياض المحيط بالحدقة . وجاءت امرأة أخرى فقالت [(٧)] يارسول الله ، احملني على بعير .فقال « بَلْ نَحْمِلُكِ عَلَى ابْنِ الْبَعِيرِ » فقالت ماأصنع به ؟ إنه لايحملني . فقال صلى الله عليه وسلم « مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا وَهُوَ ابْنُ بَعِيرٍ » فكان يمزح به

---

(١) حديث أبي هريرة قالوا أنك تداعبنا قال اني وان داعبتكم فلاأقول الاحقا: الترمذى وحسنه

(٢) حديث عطاء ان رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم ـ الحديث: فذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحمدي وجرى منه ذيلا كذيل العروس لم أقف عليه

(٣) حديث أنس كان من أفكه الناس: تقدم

(٤) حديث انه كان كثير التبسم

(٥) حديث الحسن لايدخل الجنة عجوز :الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا وأسنده ابن الجوزى في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف

(٦) حديث زيد بن أسلم فى قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت ان زوجي يدعوك أهو الذى بعينه بياض ـ الحديث :الزبير ابن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهرى مع اختلاف

(٧) حديث قوله لامرأة استحملته نحملك على ابن البعير ـ الحديث : ابوداود والترمذى وصححه من حديث انس بلفظ اناحاملك على ولد الناقة

---

(١) الواقعة : ٣٥

وقال أنس : كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير [١] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ » النغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور .

وقالت عائشة رضي الله عنها [٢] ، خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال « تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ » فشددت درعي على بطني ، ثم خططنا خطا ، فقمنا عليه واستبقنا ، فسبقني . وقال « هَذِهِ مَكَانَ ذِي الْمَجَازِ » وذلك أنه جاء يوما ونحن بذي المجاز ، وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء : فقال أعطينيه ، فأبيت وسعيت ، وسعى في أثري ، فلم يدركني . وقالت أيضا [٣] ، سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته : فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال « هَذِهِ بِتِلْكَ » وقالت أيضا رضي الله عنها [٤] ، كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسودة بنت زمعة ، فصنعت حريرة وجئت به ، فقلت لسودة كلي ، فقالت لا أحبه : فقلت والله لتأكلن أولأ لطخن به وجهك : فقالت ما أنا بذائقته . فأخذت بيدي من الصحفة شيئا منه . فلطخت به وجهها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها . فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني . فتناولت من الصحفة شيئا ، فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك

وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي ، [٥] كان رجلا دميما قبيحا ، فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم ، قال إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء ، وذلك قبل أن تنزل

---

(١) حديث أنس أبا عمير ما فعل النغير : متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة

(٢) حديث عائشة في مسابقته صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هذه بمكان ذي المجاز: لم أجد له أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر

(٣) حديث عائشة سابقني فسبقته : النسائي وابن ماجه وقد تقدم في النكاح

(٤) حديث عائشة في لطخ وجه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى باسناد جيد

(٥) حديث أن الضحاك بن سفيان الكلابي قال عندي امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما: الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلا أو معضلا وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة ابن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة

آية الحجاب ، أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها ؟ وعائشة جالسة تسمع فقالت ، أهي أحسن أم أنت ؟ فقال بل أنا أحسن منها وأكرم . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه ، لأنه كان دميما

وروى علقمة عن أبي سلمة [١] ، أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن على عليهما السلام ، فيرى الصبي لسانه ، فيهش له . فقال له عيينة بن بدر الفزارى ، والله ليكونن لى الابن قد تزوج، وبقل وجهه، وما قبلته قط. فقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ »

فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان . وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم ، من غير ميل إلى هزل . وقال صلى الله عليه وسلم [٢] مرة لصهيب وبه رمد ، وهو يأكل تمراه أَتَأْكُلُ التَّمْرَ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟ » فقال: إنما آكل بالشق الآخر يارسول الله . فتبسم صلى الله عليه وسلم . قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه.

مطايبته صلى الله عليه وسلم لخوات الانصارى

وروى [٣] أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسا إلى نسوة من بنى كعب بطريق مكة. فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَالَكَ مَعَ النِّسْوَةِ ؟ » فقال يفتلن ضفيراً لجمل لى شرود . قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، ثم عاد

---

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن على فيرى الصبي لسانه فيهش اليه فقال عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن لى الابن رجلا قد خرج وجهه وماقبلته قط فقال ان من لا يرحم لا يرحم :أبو يعلى من هذا الوجه دون ما فى آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب فى المبهمات قولين فى قائل ذلك أحدهما انه عيينة بن حصن والثانى انه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم

(٢) حديث قال لصهيب وبه رمد أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل على الشق الآخر فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم :ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات

(٣) حديث ان خوات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود ـ الحديث : الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة بن عمرو

فقال « يَاأَبَاعَبْدِ اللهِ أَمَا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَمَلُ الشِّرَادَ بَعْدُ ؟ » قال فسكت واستحييت، وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه : حتى قدمت المدينة ، وبعد ماقدمت المدينة، قال فرآنى فى المسجد يوما أصلى ، فجلس إلىّ ، فطولت ، فقال « لاَ تُطَوِّلْ فَإِنِّى أَنْتَظِرُكَ » فلما سلمت قال « يَاأَبَا عَبْدِ اللهِ أَمَا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَمَلُ الشِّرَادَ بَعْدُ ؟ » قال فسكت واستحييت ، فقام ، وكنت بعد ذلك أتفرر منه ، حتى لحقنى يوما وهو على حمار ، وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال « أَبَا عَبْدِ اللهِ أَمَا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَمَلُ الشِّرَادَ بَعْدُ ؟ » فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد منذ أسلمت فقال « اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ اهْدِ أَبَاعَبْدِ اللهِ » قال فحسن إسلامه وهداه الله

وكان نعيمان الأنصاري[1] رجلا مزاحا ، فكان يشرب الخمر فى المدينه ، فيؤتى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيضربه بنعله ، ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم . فلما كثر ذلك منه ، قال له رجل من الصحابة : لعنك الله. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ » وكان لايدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ، ثم أتى بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فيقول يارسول الله ، هذا قد اشتريته لك ، وأهديته لك . فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن ، جاء به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال يارسول الله ، أعطه ثمن متاعه . فيقول له صلى الله عليه وسلم « أَوَ لَمْ تُهْدِهِ لَنَا ؟ » فيقول يارسول الله، إنه لم يكن عندى ثمنه ، وأحببت أن تأكل منه . فيضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، ويأمر لصاحبه بثمنه

فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور ، لاعلى الدوام . والمواظبة عليها هزل مذموم ، وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشرة

السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان مؤذيا ، كما قال تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَيَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ

(١) حديث كان نعيمان رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه ـ الحديث وفيه أنه كان يشتري الشىء ويهديه الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يجىء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه ـ الحديث : الزبير بن بكار فى الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد ابن عمرو بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله

﴿ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء ﴾

عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ [١])ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص ، على وجه يضحك منه . وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء . وإذا كان بحضرة المستهزأ به ، لم يسم ذلك غيبة ، وفيه معنى الغيبة . قالت عائشة رضي الله عنها ، [١] حاكيت إنسانا ، فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنِّى حَاكَيْتُ إِنْسَانًا وَلِي كَذَا وَكَذَا » وقال ابن عباس فى قوله تعالى : (يَاوَيْلَتَنَا مَالِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا [٢]) إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك . وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زمعة [٢] أنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ، فوعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال « عَلَامَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ! » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ فَإِذَا أَتَاهُ أُغْلِقَ دُونَهُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ آخَرُ فَيُقَالُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ فَإِذَا أَتَاهُ أُغْلِقَ دُونَهُ فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَحُ لَهُ الْبَابُ فَيُقَالُ لَهُ هَلُمَّ هَلُمَّ فَلَا يَأْتِيهِ »

متى لا تكون السخرية ذنبا

وقال معاذ بن جبل ؛ [٤] قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ » وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير ، والضحك عليه استهانة به واستصغارا له . وعليه نبه قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ [٣]) أي لا تستحقره استصغارا ، فلعله خير منك . وهذا إنما يحرم فى حق من يتأذى به .

---

(١) حديث عائشه حكيت انسانا فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم ما يسرنى انى حاكيت انسانا ولى كذ وكذا : أبو داود والترمذى وصححه

(٢) حديث عبد الله بن زمعة وعظهم فى الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل: متفق عليه

(٣) حديث ان المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء أغلق دونه ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه فى ثمانيات النجيب من رواية أبى هدبة أحد الهالكين عن أنس

(٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله: الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس اسناده بمتصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه

---

(١) الحجرات : ١١ (٢) الكهف : ٤٩ (٣) الحجرات : ١١

فأما من جعل نفسه مسخرة ، وربما فرح من أن يسخر به ، كانت السخرية في حقه من جملة المزاح . وقد سبق مايذم منه وما يمدح . وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون ، وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوسة ، كالضحك على خطه ، وعلى صنعته ، أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا ، أو ناقصا لعيب من العيوب . فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها

الآفة الثانية عشرة

إفشاء السر

وهو منهي عنه ، لما فيه من الإيذاء ، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء . قال النبي صلى الله عليه وسلم [١] « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ » وقال [٢] مطلقا « الْحَدِيثُ بَيْنَكُمْ أَمَانَةٌ » وقال الحسن : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك

ويروى أن معاوية رضي الله عنه ، أسرّ إلى الوليد بن عتبة حديثا . فقال لأبيه ، ياأبت إن أمير المؤمنين أسرّ إليّ حديثا ، وما أراه يطوى عنك مابسطه إلى غيرك . قال فلا تحدثني به ؛ فإن من كتم سره كان الخيار إليه ؛ ومن أفشاه كان الخيار عليه . قال . فقلت ياأبت ، وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه ؟ فقال : لا والله يابني ، ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر . قال : فأتيت معاوية فأخبرته ، فقال . ياوليد ، أعتقك أبوك من رق الخطأ

فإفشاء السر خيانة ، وهو حرام إذا كان فيه إضرار ، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار . وقد ذكرنا مايتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة ، فأغنى عن الإعادة

الآفة الثالثة عشرة

الوعد الكاذب

فإن اللسان سباق إلى الوعد ، ثم النفس ربما لاتسمح بالوفاء ، فيصير الوعد خلفا ، وذلك

{ الآفة الثانية عشرة افشاء السر }

(١) حديث اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة : أبوداود والترمذي وحسنه من حديث جابر

(٢) حديث الحديث بينكم أمانة : ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

من أمارات النفاق قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [(١)]) وقال صلى الله عليه وسلم [(١)] « الْعِدَةُ عَطِيَّةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٢)] « الْوَأْيُ مِثْلُ الدَّيْنِ أَوْ أَفْضَلُ » والوأى الوعد . وقد أثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام ، فى كتابه العزيز ؛ فقال (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ [(٢)]) قيل إنه وعد إنسانا فى موضع ، فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسى . فبقى إسمعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال ، إنه كان خطب إلىّ ابنتى رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد ، فو الله لا ألقى الله بثلث النفاق ، أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى [(٣)] وعن عبد الله بن أبى الخنساء قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية ، فواعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك : فنسيت يومى والغد ، فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه ، فقال « يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ » وقيل لإبراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجىء . قال . ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التى تجىء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٤)] إذا وعد وعدا قال « عَسَى » وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله ، وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد ، فلابد من الوفاء ، إلا أن يتعذر . فإن كان عند الوعد عازما على أن لا يفى ؛ فهذا هو النفاق .

وقال أبو هريرة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم [(٥)] « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »

---

(١) حديث العدة عطية : الطبرانى فى الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن ابى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلا

(٢) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل : ابن أبى الدنيا فى الصمت من رواية أبن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف

(٣) حديث عبد الله بن أبى الخنساء بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يابنى قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك : رواه ابو داود واختلف فى اسناده وقال ابن مهدى ما اظن ابراهيم ابن طهمان الا اخطأ فيه

(٤) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى : لم اجد له اصلا

(٥) حديث ابى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق ـ الحديث : وفيه إذا وعد اخلف متفق عليه وقد تقدم

(١) المائدة : ١ (٢) مريم : ٥٤

وقال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف ، أو ترك الوفاء عن غير عذر . فأما من عزم على الوفاء ، فعنّ له عذر منعه من الوفاء ، لم يكن منافقا ، وإن جرى عليه ماهو صورة النفاق .

ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضا ، كما يحترز من حقيقته . ولا ينبغى أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] ، كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما ، فأتى بثلاثة من السبي ، فأعطى اثنين وبقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول . ألا ترى أثر الرحى بيدى ؟ فذكر موعده لأبى الهيثم ، فجعل يقول « كَيْفَ بِمَوْعِدِى لِأَبِى الْهَيْثَمِ » فآثره به على فاطمة ، لما كان قد سبق من موعده له ، مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة .

[٣] ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين ، فوقف عليه رجل من الناس ، فقال إن لى عندك موعدا يارسول الله ، قال « صَدَقْتَ فَاحْتَكِمْ مَاشِئْتَ » فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها . قال « هِيَ لَكَ » وقال « احْتَكَمْتَ يَسِيراً وَلَصَاحِبَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي دَلَّتْهُ عَلَى عِظَامِ يُوسُفَ كَانَتْ أَحْزَمَ مِنْكَ وَأَجْزَلَ حُكْماً مِنْكَ حِينَ حَكَّمَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ حُكْمِي أَنْ تَرُدَّنِي شَابَّةً وَأَدْخُلَ مَعَكَ الْجَنَّةَ »

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو اربع من كن فيه كان منافقا ـ الحديث متفق عليه

(٢) حديث كان وعد اباالهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين وبقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه ـ الحديث : وفيه فجعل يقول كيف بموعدى لأبى الهيثم فآثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة أبى الهيثم فى آداب الأكل وهى عند الترمذى من حديث أبى هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة

(٣) حديث انه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال ان لى عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ما شئت ـ الحديث : وفيه لصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك ـ الحديث : ابن حبان والحاكم فى المستدرك من حديث أبى موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الاسناد وفيه نظر

قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جمل مثلا : فقيل أشح من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « لَيْسَ الْخُلْفُ أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ » وفى لفظ آخر « إِذَا وَعَدَ الرَّجُلُ أَخَاهُ وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ فَلَمْ يَجِدْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ »

الآفة الرابعة عشرة

الكذب فى القول واليمين

وهو من قبائح الذنوب ، وفواحش العيوب . قال اسماعيل بن واسط ، سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال . [٢] : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ، ثم بكى وقال « إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ » وقال أبو أمامة . [٣] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْكَذِبَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النِّفَاقِ » وقال الحسن . كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج ، وإن الأصل الذى بنى عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام [٤] « كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ

---

(١) حديث ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفى وفى لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفى نيته أن يفى فلم يجد فلا اثم عليه: أبو داود والترمذى وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى الا أنهما قالا فلم يف

(الآفة الرابعة عشرة الكذب فى القول واليمين)

(٢) حديث أبى بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب ـ الحديث : ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبى بكر وانما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط واسناده حسن

(٣) حديث أبى أمامة ان الكذب باب من ابواب النفاق : ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى الوجيهى ضعيف جدا ويغنى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال فى كل منهما وإذا حدث كذب وهما فى الصحيحين وقد تقدما فى الآفة التى قبلها

(٤) حديث كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب: البخارى فى كتاب الأدب المفرد وابو داود من حديث سفيان بن اسيد وضعفه ابن عدى ورواه احمد والطبرانى من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد

بهِ كاذبٌ » وقال ابن مسعود ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً »

(٢) ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان ، يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر . والله لا أزيدك على كذا وكذا . فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما . فقال « أَوْجَبَ أَحَدُهُمَا بِالْإِثْمِ وَالْكَفَّارَةِ » وقال عليه السلام (٣) « الْكَذِبُ يُنْقِصُ الرِّزْقَ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ » فقيل يا رسول الله ، أليس قد أحل الله البيع ؟ قال « نَعَمْ وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) ، « ثَلَاثَةُ نَفَرٍ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ الْمَنَّانُ بِعَطِيَّتِهِ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « مَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللهِ فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا كَانَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وقال أبو ذر (٧) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ رَجُلٌ كَانَ فِي فِئَةٍ فَنَصَبَ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ

---

(١) حديث ابن مسعود لايزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا: متفق عليه

(٢) حديث مر برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان ـ الحديث : وفيه فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة ابو الفتح الازدي في كتاب الاسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناه في امالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال ابو حاتم هو عبد الله بن ناسخ

(٣) حديث الكذب ينقص الرزق : أبو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث أبي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر واسناده ضعيف

(٤) حديث ان التجار هم الفجار ـ الحديث : وفيه ويحدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل

(٥) حديث ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره : مسلم من حديث أبي ذر

(٦) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصحح اسناده من حديث عبد الله بن أنيس

(٧) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله ـ الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الحلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الاحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ اخر باسناد جيد وللنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف ـ الحديث : واسناده جيد

وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارُ سَوْءٍ يُؤْذِيهِ فَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ ظَعْنٌ وَرَجُلٌ كَانَ مَعَهُ قَوْمٌ فِي سَفَرٍ أَوْ سَرِيَّةٍ فَأَطَالُوا السُّرَى حَتَّى أَعْجَبَهُمْ أَنْ يَمَسُّوا الْأَرْضَ فَنَزَلُوا فَتَنَحَّى يُصَلِّي حَتَّى يُوقِظَ أَصْحَابَهُ لِلرَّحِيلِ . وَثَلَاثَةٌ يَشْنَؤُهُمُ اللهُ التَّاجِرُ أَوِ الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ وَالْبَخِيلُ الْمَنَّانُ » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ »

وقال صلى الله عليه وسلم [2] « رَأَيْتُ كَأَنَّ رَجُلاً جَاءَنِي فَقَالَ لِي قُمْ فَقُمْتُ مَعَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا قَائِمٌ وَالْآخَرُ جَالِسٌ بِيَدِ الْقَائِمِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُلْقِمُهُ فِي شِدْقِ الْجَالِسِ فَيَجْذِبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ كَاهِلَهُ ثُمَّ يَجْذِبُهُ فَيُلْقِمُهُ الْجَانِبَ الْآخَرَ فَيَمُدُّهُ فَإِذَا مَدَّهُ رَجَعَ الْآخَرُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ لِلَّذِي أَقَامَنِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ هَذَا رَجُلٌ كَذَّابٌ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وعن عبد الله بن جراد قال : [3] سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يارسول الله ، هل يزنى المؤمن ؟ قال « قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ » قال يانبي الله : هل يكذب المؤمن قال لا . ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ [1]) وقال أبو سعيد الخدرى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] يدعو فيقول فى دعائه « اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَفَرْجِي مِنَ الزِّنَا وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ »

---

(١) حديث ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له : أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده

(٢) حديث رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس ـ الحديث : البخارى من حديث سمرة ابن جندب فى حديث طويل

(٣) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم هل يزنى المؤمن [illegible] يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا ـ الحديث : ابن عبد البر فى التمهيد باسناد ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت مقتصرا على الكذب وجعل [illegible] أبا الدرداء

(٤) حديث أبى سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب هكذا وقع فى نسخ الاحياء عن ابن سعيد وانما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب فى التاريخ دون قوله وفرجى من الزنا وزاد وعملى من الرياء وعينى من الخيانة واسناده ضعيف

---

(١) النحل : ١٠٥

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » وقال عبد الله بن عامر ، (٢) جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير ، فذهبت لألعب ، فقالت أمي ، يا عبد الله ، تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم « وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ ؟ » قالت تمرا فقال « أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي لَكُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « لَوْ أَفَاءَ اللهُ عَلَيَّ نَعَمًا عَدَدَ هَذَا الْحَصَى لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا »

وقال صلى الله عليه وسلم ، وكان متكئا ، (٤) « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ » ثم قعد وقال « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ » وقال ابن عمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ فَيَتَبَاعَدُ الْمَلَكُ عَنْهُ مَسِيرَةَ مِيلٍ مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ » وقال أنس (٦) قال النبي صلى الله عليه وسلم « تَقَبَّلُوا إِلَيَّ بِسِتٍّ أَتَقَبَّلْ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ » فقالوا وما هن ؟ قال « إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ وَإِذَا ائْتُمِنَ فَلَا يَخُنْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ »

---

(١) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ـ الحديث : وفيه والامام الكذاب مسلم من حديث أبى هريرة

(٢) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت ان تعطيه قالت تمرا فقال ان لم تفعلى كتبت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم ان عبد الله بن عامر ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه قلت وله شاهد من حديث أبى هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات الا أن الزهرى لم يسمع من أبى هريرة

(٣) حديث لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا: رواه مسلم وتقدم فى أخلاق النبوة

(٤) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ الحديث : وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبى بكرة

(٥) حديث ابن عمر ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به الترمذى وقال حسن غريب

(٦) حديث أنس تقبلوا الى بست أتقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب ـ الحديث : الحاكم فى المستدرك والخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائى ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الاسناد

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ كُحْلاً وَلَعُوقًا وَنَشُوقًا أَمَّا لَعُوقُهُ فَالْكَذِبُ وَأَمَّا نَشُوقُهُ فَالْغَضَبُ وَأَمَّا كُحْلُهُ فَالنَّوْمُ »

وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال ، (٢) قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي هذا فيكم ، فقال « أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ عَلَى الْيَمِينِ وَلَمْ يُسْتَحْلَفْ وَيَشْهَدَ وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٣) « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ »

وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِإِثْمٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) ، أنه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها . وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « كُلُّ خَصْلَةٍ يُطْبَعُ أَوْ يَطْوِى عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ »

وقالت عائشة رضى الله عنها (٧) ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب ، فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها .

---

(١) حديث أن للشيطان كحلا ولعوقا ـ الحديث: الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم

(٢) حديث خطب عمر بالجابية ـ الحديث : وفيه ثم يفشو الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر

(٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين مسلم فى مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب

(٤) حديث من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرىء مسلم ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٥) حديث انه رد شهادة رجل فى كذبة كذبها : ابن أبي الدنيا فى الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل

(٦) حديث على كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب: ابن ابى شيبة فى المصنف من حديث أبى امامة ورواه ابن عدى فى مقدمة الكامل من حديث سعد ابن أبى وقاص وابن عمر أيضا وأبى أمامة أيضا ورواه ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدار قطني فى العلل

(٧) حديث ما كان من خلق الله شيء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات الا أنه قال عن ابن أبى مليكة أو غيره وقد رواه ابو الشيخ فى الطبقات فقال ابن أبى مليكة ولم يشك وهو صحيح

وقال موسى عليه السلام : يارب ، أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لايكذب لسانه ، ولايفجر قلبه ، ولايزنى فرجه . وقال لقمان لابنه يابنى ، إياك والكذب ، فإنه شهى كلحم العصفور : عما قليل يقلاه صاحبه .

وقال عليه السلام فى مدح الصدق [١] « أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ يَضُرُّكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا صِدْقُ الْحَدِيثِ وَحِفْظُ الأَمَانَةِ وَحُسْنُ خُلُقٍ وَعِفَّةُ طُعْمَةٍ » وقال أبو بكر رضى الله عنه [٢] فى خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقامى هذا عام أول ؛ ثم بكى وقال « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ » وقال معاذ . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَبَذْلِ السَّلاَمِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ »

الآثار فى ذم الكذب

وأما الآثار فقد قال على رضى الله عنه أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب : وشر الندامة ندامة يوم القيامة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه . ما كذبت كذبة منذ شددت علىّ إزارى . وقال عمر رضي الله عنه ، أحبكم إلينا مالم نركم أحسنكم اسما فإذا رأينا كم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اختبرنا كم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة

وعن ميمون بن أبى شبيب قال ، جلست أكتب كتابا ، فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت ، فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [١]) وقال الشعبى ما أدرى أيهما أبعد غورا فى النار ، الكذاب أو البخيل . وقال ابن السماك ، ما أرانى أوجر على ترك الكذب ، لأنى إنما أدعه أنفة

---

(١) حديث أربع إذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا صدق الحديث .. الحديث : الحاكم والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة

(٢) حديث أبى بكر عليكم بالصدق فانه مع البر وهما فى الجنة ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وقد تقدم بعضه فى أول هذا النوع

(٣) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث : أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم

---

(١) ابراهيم : ٢٧

وقيل لخالد بن صبيح، أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة ؟ قال نعم . وقال مالك بن دينار ، قرأت في بعض الكتب ، مامن خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله ، فإن كان صادقا صدق ، وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار ، كلما قرضتا نبتتا . وقال مالك ابن دينار ، الصدق والكذب يعتركان في القلب ، حتى يخرج أحدهما صاحبه . وكلم عمر ابن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء ، فقال له كذبت . فقال عمر ، والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه

بيان
مارخص فيه من الكذب

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره . فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ماهو عليه، فيكون جاهلا ، وقد يتعلق به ضرر غيره . ورب جهل فيه منفعة ومصلحة . فالكذب محصل لذلك الجهل ،فيكون مأذونا فيه ، وربما كان واجبا، قال ميمون بن مهران ، الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ، أرأيت لو أن رجلا سعي خلف إنسان بالسيف ليقتله، فدخل دارا، فانتهى إليك فقال أرأيت فلانا ؟ ما كنت قائلا ؟ ألست تقول لم أره ، وماتصدق به ؟ وهذا الكذب واجب

الكذب الواجب والكذب المباح

فنقول : الكلام وسيلة إلى المقاصد . فكل مقصود محمود، يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا، فالكذب فيه حرام. وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق، فالكذب فيه مباح ، إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا، وواجب إن كان المقصود واجبا . كما أن عصمة دم المسلم واجبة ، فمهما كان في الصدق سفك دم امرىء مسلم قد اختفى من ظالم ، فالكذب فيه واجب . ومهما كان لا يتم مقصود الحرب ، أو إصلاح ذات البين ، أو استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب ، فالكذب مباح ، إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن ، لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه ، فيخشى أن يتداعى إلى مايستغنى عنه ، وإلى مالا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة .

والذى يدل على الاستثناء، ماروى عن أم كلثوم قالت [١]، ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شيء من الكذب، إلا فى ثلاث، الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول فى الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها. وقالت أيضا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « لَيْسَ بِكَذَّابٍ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْراً أَوْ نَمَى خَيْراً » وقالت أسماء بنت يزيد [٣] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا »

وروى عن أبى كاهل [٤] قال وقع بين اثنين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما. فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان؟ فقد سمعته يحسن عليك الثناء. ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك، حتى اصطلحا. ثم قلت أهلكت نفسى وأصلحت بين هذين، فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال « يَا أَبَا كَاهِلٍ أَصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ » أى ولو بالكذب. وقال عطاء بن يسار [٥] قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم، أكذب على أهلى؟ قال « لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ » قال أعدها وأقول لها؟ قال « لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ »

وروى أن ابن أبى عذرة الدؤلى، وكان فى خلافة عمر رضى الله عنه، كان يخلع النساء اللاتى يتزوج بهن. فطارت له فى الناس من ذلك أحدوثة يكرهها. فلما علم بذلك، أخذ بيد عبد الله ابن الأرقم، حتى أتى به إلى منزله. ثم قال لامرأته، أنشدك بالله هل تبغضينى؟ قالت لا تنشدنى

---

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص فى شيء من الكذب إلا فى ثلاث: مسلم وقد تقدم.

(٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس ـ الحديث: متفق عليه وقد تقدم والذى قبله عند مسلم بعض هذا

(٣) حديث اسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما: أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه

(٤) حديث أبى كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلام ـ الحديث: وفيه ياأبا كاهل اصلح بين الناس رواه الطبرانى ولم يصح

(٥) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم أكذب على أهلى قال لا خير فى الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك: ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو فى الموطأ عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار

قال فإني أنشدك الله. قالت نعم ؛ فقال لابن الأرقم أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن . فاسأل ابن الأرقم . فسأله فأخبره . فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة ؛ فجاءت هي وعمتها . فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه ؟ فقالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى ، إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم ، فاكذبي ؛ فإن كانت إحدا كن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ؛ ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب .

وعن النواس بن سمعان الكلابي[1] ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَالِي أَرَاكُمْ تَتَهَافَتُونَ فِي الْكَذِبِ تَهَافُتَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ لَا مَحَالَةَ إِلَّا أَنْ يَكْذِبَ الرَّجُلُ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ أَوْ يَكُونَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ شَحْنَاءُ فَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا أَوْ يُحَدِّثَ امْرَأَتَهُ يُرْضِيهَا » وقال ثوبان . الكذب كله إثم ، إلا ما نفع به مسلما ، أو دفع عنه ضررا . وقال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه. وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم ، فالحرب خدعة

(ما يرخص فيه الكذب)

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء ؛ وفي معناها ماعداها ؛ إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره

أما ماله : فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله ، فله أن ينكره . أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها، فله أن ينكر ذلك ؛ فيقول مازنيت وماسرقت وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَنِ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى ، فللرجل أن يحفظ دمه ، وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه ، وإن كان كاذبا

(الكذب لدفع الضرر عن النفس والغير)

---

(١) حديث النواس بن سمعان مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب ـ الحديث : أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق بلفظ تتبايعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيها شهر بن حوشب

(٢) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله :الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله واسناده حسن

وأما عرض غيره ، فبأن يسأل عن سر أخيه، فله أن ينكره. وأن يصلح بين اثنين،وأن يصلح بين الضرات من نسائه ، بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه . وإن كانت امرأته لاتطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه ، فيعدها فى الحال تطييبا لقلبها . أو يعتذر إلى إنسان وكان لايطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد ، فلا بأس به .

حد الكذب المبيح للكذب

ولكن الحد فيه ، أن الكذب محذور . ولو صدق فى هذه المواضع تولد منه محذور . فينبغى أن يقابل أحدهما بالآخر ، ويزن بالميزان القسط . فإذا علم أن المحذور الذى يحصل بالصدق ، أشد وقعا فى الشرع من الكذب ، فله الكذب . وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق ، فيجب الصدق . وقد يتقابل الأمران ،بحيث يتردد فيهما ، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى ، لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة . فإن شك فى كون الحاجة مهمة ، فالأصل التحريم ، فيرجع إليه . ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ، ينبغى أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه . وكذلك مهما كانت الحاجة له ، فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب .فأما إذا تعلق بغرض غيره،فلا تجوز المسامحة لحق الغير ،والإضرار به .

وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم . ثم هو لزيادات المال والجاه ، ولأمور ليس فواتها محذورا ، حتى أن المرأة لتحكى عن زوجها ماتفخر به ، وتكذب لأجل مراغمة الضرات ، وذلك حرام . وقالت أسماء [1] ، سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : إن لى ضرة ، وإنى أتكثر من زوجى بما لم يفعل ، أضارها بذلك ،فهل علىّ شيء فيه؟ فقال صلى الله عليه وسلم « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ تَطَعَّمَ بِمَا لَايُطْعَمُ أَوْ قَالَ لِي وَلَيْسَ لَهُ أَوْ أُعْطِيتُ وَلَمْ يُعْطَ فَهُوَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ويدخل فى هذا فتوى العالم بما لا يتحققه، وروايته الحديث الذى لا يتثبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه ، فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدرى ، وهذا حرام

(١) حديث اسماء قالت امرأة ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بما لم يفعل ـ الحديث : متفق عليه وهى أسماء بنت أبى بكر الصديق

(٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لى وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبى زور يوم القيامة : لم أجده بهذا اللفظ

وربما يلتحق بالنساء الصبيان . فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد ، أو وعيد ، أو بتخويف كاذب ، كان ذلك مباحا . نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ، ويحاسب عليه ، ويطالب بتصحيح قصده فيه ، ثم يعفى عنه ، لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ، ويتطرق إليه غرور كبير ، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه ، وإنما يتعلل ظاهرا بالإصلاح ، فلهذا يكتب

وكل من أتى بكذبة ، فقد وقع في خطر الاجتهاد ، ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا . وذلك غامض جداً . والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه ، كما لو أدى إلى سفك دم ، أو ارتكاب معصية كيف كانه

خطر وضع الاحاديث على المصلحة

وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال ، وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح . وهو خطأ محض ، إذ قال صلى الله عليه وسلم[1] «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ، ولا ضرورة . إذ في الصدق مندوحة عن الكذب . ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها .

وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه ، وما هو جديد فوقعه أعظم ، فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ، ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة : فلا يقاوم خير هذا شره أصلا . والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء ، نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

بيان

الحذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف : أن في المعاريض مندوحة عن الكذب . قال عمر رضي الله عنه : أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب ! وروى ذلك عن ابن عباس وغيره .

(١) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار: متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم

وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب . فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة ، فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ، ولكن التعريض أهون

ومثال التعريض ماروى أن مطرفا دخل على زياد ، فاستبطأه . فتعلل بمرض وقال : مارفعت جنبي مذ فارقت الأمير إلا مارفعني الله . وقال إبراهيم ، إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب ، فقل إن الله تعالى ليعلم ماقلت من ذلك من شيء . فيكون قوله ما حرف نفي عند المستمع ، وعنده للإبهام

أمثلة التعريض

وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضي الله عنه . فلما رجع ، قالت له امرأته ، ماجئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم ؟ وما كان قد أتاها بشيء ، فقال : كان عندي ضاغط . قالت : كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضي الله عنه ، فبعث عمر معك ضاغطا ! وقامت بذلك بين نسائها ، واشتكت عمر . فلما بلغه ذلك ، دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا ؟ قال لم أجد ماأعتذر به إليها إلا ذلك . فضحك عمر رضي الله عنه ، وأعطاه شيئا ، فقال أرضها به . ومعنى قوله ضاغطا يعني رقيبا ، وأراد به الله تعالى

وكان النخعي لايقول لابنته أشترى لك سكرا ، بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا ؟ فإنه ربما لايتفق له ذلك . وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار ، قال للجارية ، قولي له أطلبه في المسجد ، ولاتقولي ليس ههنا ، كيلا يكون كذبا . وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه ، خط دائرة ، وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي ليس ههنا

وهذا كله في موضع الحاجة . فأما في غير موضع الحاجة فلا : لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا ، فهو مكروه على الجملة . كما روى عبد الله بن عتبة قال ، دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه : فخرجت وعلي ثوب ، فجعل الناس يقولون ، هذا كساكه أمير المؤمنين ؟ فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا . فقال لي أبي يابني اتق الكذب وما أشبهه . فنهاه عن ذلك ، لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب ، لأجل غرض المفاخرة ، وهذا غرض باطل لافائدة فيه . نعم المعاريض تباح لغرض خفيف ، كتطييب

قلب الغير بالمزاح ، كقوله صلى الله عليه وسلم [١] « لَايَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ » وقوله للأخرى الذي في عين زوجك بياض ، وللأخرى نحملك على ولد البعير ، وما أشبهه

المزاح والكذب فيه

وأما الكذب الصريح ، كما فعله نعيمان الأنصاري مع عثمان ، في قصة الضرير ، إذ قال له إنه نعيمان ، وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمق : بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب ، فهو حرام . وإن لم يكن إلا لمطايبته : فلا يوصف صاحبها بالفسق ، ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه. قال صلى الله عليه وسلم [٢] « لَا يَكْمُلُ الْمَرْءُ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَحَتَّى يَجْتَنِبَ الْكَذِبَ فِي مِزَاحِهِ »

وأما قوله عليه السلام [٣] « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا النَّاسَ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا » ، أراد به ما فيه غيبة مسلم ، أو إيذاء قلب ، دون محض المزاح

ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ، ما جرت به العادة في المبالغة ، كقوله طلبتك كذا وكذا مرة ، وقلت لك كذا مائة مرة ، فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها ، بل تفهيم المبالغة . فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا . وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة ، لا يأثم ، وإن لم تبلغ مائة . وبينهما درجات ، يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب

بعض الكذب المعتاد

ومما يعتاد الكذب فيه ، ويتساهل به ، أن يقال كل الطعام ، فيقول لا أشتهيه. وذلك منهي عنه ، وهو حرام ، وإن لم يكن فيه غرض صحيح . قال مجاهد : [٤] قالت أسماء بنت عميس : كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث لا يدخل الجنة عجوز وحديث في عين زوجك بياض وحديث نحملك على ولد البعير: تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة

(٢) حديث لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة الدماري وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وللدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر

(٣) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا: تقدم في الآفة الثالثة

(٤) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث ؛ وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني

وهي نسوة ، قالت فو الله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن ، فشرب ، ثم ناوله عائشة ، قالت فاستحيت الجارية ، فقلت لاتردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خذي منه . قالت فأخذت منه على حياء ، فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك . فقلن لانشتهيه . فقال « لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا » قالت فقلت يارسول الله ، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه ، أيعد ذلك كذبا ؟ قال « إِنَّ الْكَذِبَ لَيُكْتَبُ كَذِبًا حَتَّى تُكْتَبُ الْكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً »

وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب ، قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص ، حتى يبلغ الرمص خارج عينيه ، فيقال له لو مسحت عينيك ، فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينيك ، فأقول لا أفعل ؟ وهذه مراقبة أهل الورع . ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره ، فيكذب ولا يشعر .

وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له ، فانكبت عليه ، فقالت كيف أنت يابني ؟ فجلس الربيع وقال أرضعتيه؟ قالت لا . قال ماعليك لو قلت ياابن أخي فصدقت

ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه . قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله ، أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم

وربما يكذب في حكاية المنام ، والإثم فيه عظيم ، إذ قال عليه السلام [1] « إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرْيَةِ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يُرِي عَيْنَيْهِ فِي الْمَنَامِ مَالَمْ يَرَ أَوْ يَقُولَ عَلَيَّ مَالَمْ أَقُلْ » وقال عليه السلام [2] « مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمٍ كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ بِعَاقِدٍ بَيْنَهُمَا أَبَدًا »

في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الاصبهانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء ابن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زففنا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ـ الحديث : فاذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك

(١) حديث ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في النام مالم تريا أو يقول على مالم أقل : البخاري من حديث واثلة بن الاسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تريا

(٢) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين البخاري من حديث ابن عباس

الآفة الخامسة عشرة

الغيبة

مذمة الغيبة في الكتاب والسنة

والنظر فيها طويل ، فلنذكر أولا مذمة الغيبة ، وما ورد فيها من شواهد الشرع

وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه ، وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة ، فقال تعالى (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ [(1)]) وقال عليه السلام [(1)] « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » والغيبة تتناول العرض ، وقد جمع الله بينه وبين المال والدم . وقال أبو برزة، قال عليه السلام [(2)] « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا »

وعن جابر وأبي سعيد [(3)] قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِيَّاكُمْ وَالْغِيبَةَ فَإِنَّ الْغِيبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْنِي وَيَتُوبُ فَيَتُوبُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ » وقال أنس [(4)] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى أَقْوَامٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ بِأَظَافِيرِهِمْ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » وقال سليم بن جابر [(5)] أتيت النبي عليه الصلاة والسلام، فقلت علمني خيرا أنتفع به . فقال « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَقِي وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ وَإِنْ أَدْبَرَ فَلَا تَغْتَابَنَّهُ »

﴿ الآفة الخامسة عشرة الغيبة ﴾

(١) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه : مسلم من حديث أبي هريرة

(٢) حديث أبي هريرة لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا : متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة

(٣) حديث جابر وأبي سعيد اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ـ الحديث : ابن ابي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير

(٤) حديث أنس مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم ـ الحديث : أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح

(٥) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به ـ الحديث: أحمد في المسند وابن ابي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يغتابه وفي اسنادها ضعف

(١) الحجرات : ١٢

وقال البراء [1] خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتهن ، فقال « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام ، من مات تائبا من الغيبة ، فهو آخر من يدخل الجنة . ومن مات مصرا عليها ، فهو أول من يدخل النار

وقال أنس ، [2] أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم ، فقال « لاَ يُفْطِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آذَنَ لَهُ » فصام الناس ، حتى إذا أمسوا ، جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فائذن لى لأفطر ، فيأذن له . والرجل ، والرجل ، حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين ، وإنهما يستحيان أن يأتياك ، فائذن لهما أن يفطرا . فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده ، فأعرض عنه ثم عاوده ، فقال « إِنَّهُمَا لَمْ يَصُومَا وَكَيْفَ يَصُومُ مَنْ ظَلَّ نَهَارَهُ يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ اذْهَبْ فَمُرْهُمَا إِنْ كَانَتَا صَائِمَتَيْنِ أَنْ تَسْتَقِيآ » فرجع إليهما فأخبرهما ، فاستقاءتا ، فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم . فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ بَقِيَتَا فِي بُطُونِهِمَا لأَكَلَتْهُمَا النَّارُ » وفى رواية : أنه لما أعرض عنه . جاء بعد ذلك وقال : يارسول الله ، والله إنهما قد ماتتا أوكادتا أن تموتا . فقال صلى الله عليه وسلم ، [3] « ائْتُونِي بِهِمَا » فجاءتا . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح ، فقال لأحداهما قيىء . فقاءت من قيح ودم وصديد ، حتى ملأت القدح . وقال للأخرى قيىء فقاءت كذلك . فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما ،

(١) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ـ الحديث : ابن ابى الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد

(٢) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس ـ الحديث : فى ذكر المرأتين اللتين اغتابتا فى صيامهما فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم : ابن ابى الدنيا فى الصمت وابن مردويه فى التفسير من رواية يزيد الرقاشى عنه ويزيد ضعيف

(٣) حديث المرأتين المذكورتين وقال فيه ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ـ الحديث : أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى فى مسنده فاسقط منه ذكر الرجل المبهم

وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس

وقال أنس .[1] خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال . إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا ، أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل : وأربى الربا عرض المسلم

الغيبة وعذاب القبر

وقال جابر[2] ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير ، فأتى على قبرين يعذب صاحباهما . فقال « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَيَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ » فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين ، فكسرهما ، ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر . وقال « أَمَا إِنَّهُ سَيُهَوَّنُ مِنْ عَذَابِهِمَا مَا كَانَتَا رَطْبَتَيْنِ أَوْ مَالَمْ يَيْبَسَا »

ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] ما عزا فى الزنا ، قال رجل لصاحبه ، هذا أقعص كما يقعص الكلب . فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة ، فقال ، « انْهَشَا مِنْهَا » فقالا يارسول الله ، ننهش جيفة ! فقال « مَاأَصَبْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا أَنْتَنُ مِنْ هَذِهِ » .

وكان الصحابة رضى الله عنهم ، يتلاقون بالبشر ، ولا يغتابون عند الغيبة . ويرون ذلك أفضل الأعمال ، ويرون خلافه عادة المنافقين . وقال أبو هريرة[4] من أكل لحم أخيه فى الدنيا ، قرب إليه لحمه فى الآخرة ، وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا ، فيأكله ، فينضج ويكلح . وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد ،

---

(١) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه ـ الحديث : وفيه واربى الربا عرض الرجل المسلم . ابن أبى الدنيا بسند ضعيف

(٢) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال أمانهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى الصمت وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب باسناد جيد وهو فى الصحيحين من حديث ابن عباس الا أنه ذكر فيه النميمة بدل الغيبة وللطيالسى فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة نحوه باسناد جيد

(٣) حديث قوله للرجل الذى قال لصاحبه فى حق المرجوم هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر بجيفة فقال انهشامنها ـ الحديث : أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة نحوه باسناد جيد

(٤) حديث أبى هريرة من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا ـ الحديث : ابن مردويه فى التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن اسحاق رواه بالعنعنة

فمر بهما رجل كان محتشا فترك ذلك . فقالا لقد بقى فيه منه شيء ، وأقيمت الصلاة ، فدخلا ، فصليا مع الناس ، فذلك فى أنفسهما ماقالا فأتيا عطاء فسألاه ، فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد ، أنه قال فى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ[1]) الهمزة الطعان فى الناس ، واللمزة الذى يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ، ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث . ثلث من الغيبة ، وثلث من النميمة ، وثلث من البول . وقال الحسن ، والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد . وقال بعضهم ، أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ، ولكن فى الكف عن أعراض الناس . وقال ابن عباس ، إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك ، فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة ، يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ، ولا يبصر الجذع فى عين نفسه . وكان الحسن يقول ، ابن آدم ، إنك لن تصيب حقيقة الأيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب ، فتصلحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك ، كان شغلك فى خاصة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار ، مر عيسى عليه السلام ، ومعه الحواريون ، بجيفة كلب . فقال الحواريون ، ماأنتن ريح هذا الكلب ! فقال عليه الصلاة والسلام : ماأشد بياض أسنانه . كأنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر ، فقال له إياك والغيبة ، فإنها إدام كلاب الناس وقال عمر رضى الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء ، وإياكم وذكر الناس فإنه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

بيان

معنى الغيبة وحدودها

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص فى بدنه أو نسبه، أو فى خُلُقِهِ أو فى فعله ، أو فى قوله ، أو فى دينه ، أو فى دنياه ، حتى فى ثوبه ، وداره ، ودابته أما البدن ، فكذكرك العمش ، والحول ، والقرع ، والقصر ، والطول ، والسواد ،

(١) الهمزة : ١

والصفرة ؛ وجميع مايتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان . وأما النسب، فبأن تقول أبوه نبطى ؛ أوهندى ، أوفاسق ، أوخسيس ، أوإسكاف ، أوزبال ، أوشىء مما يكرهه كيفما كان . وأما الخلق ، فبأن تقول ، هوسيء الخلق ؛ بخيل ، متكبر مراء ؛ شديد الغضب ،جبان،عاجز ، ضعيف القلب ، متهور، ومايجرى مجراه . وأما فى أفعاله المتعلقة بالدين ،فكقولك هوسارق ، أوكذاب، أوشارب خمر ، أوخائن،أوظالم ،أومتهاون بالصلاة، أو الزكاة ، أولا يحسن الركوع ،أوالسجود ؛ أولا يحترز من النجاسات ،أوليس بارا بوالديه، أولا يضع الزكاة موضعها، أولا يحسن قسمتها ، أولا يحرس صومه عن الرفث ، والغيبة ، والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا ، فكقولك إنه قليل الأدب ،متهاون بالناس ، أولايرى لأحدعلى نفسه حقا ، أويرى لنفسه الحق على الناس ،أوأنه كثير الكلام ، كثير الأكل ، نؤم ، ينام فى غير وقت النوم ، ويجلس فى غير موضعه . وأما فى ثوبه ، فكقولك إنه واسع الكم ، طويل الذيل ، وسخ الثياب

الغيبة فى الدين

وقال قوم ؛ لاغيبة فى الدين ، لأنه ذم ماذمه الله تعالى ، فذكره بالمعاصى ،وذمه بها يجوز، بدليل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] ذكرت له امرأة ،وكثرة صلاحها وصومها، ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال « هِيَ فِي النَّارِ » [٢] وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة ، فقال « فَمَا خَيْرُهَا إِذاً » فهذا فاسد ، لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ، ولم يكن غرضهم التنقيص ولايحتاج إليه فى غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم . والدليل عليه ، إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حد الغيبة . وكل هذا ، وإن كان صادقا فيه ؛ فهو به مغتاب ، عاص لربه ، وآكل لحم أخيه، بدليل ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم [٣] قال « هَلْ تَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ » قالوا الله ورسوله أعلم. قال « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ »

---

(١) حديث ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذى جيرانها فقال هى فى النار : ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فماخيرها اذا :الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى جعفر محمد بن على مرسلا ورويناه فى أمالى ابن شمعون هكذا

(٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة

قيل أرأيت إن كان فى أخى ماأقوله ، قال « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » وقال معاذ بن جبل ، (١) ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ماأعجزه ، فقال صلى الله عليه وسلم « اغْتَبْتُمْ أَخَاكُمْ » قالوا يارسول الله ، قلنا مافيه . قال « إِنْ قُلْتُمْ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتُّمُوهُ » وعن حذيفة ، عن عائشة رضي الله عنها، (٢) أنها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة، فقالت إنها قصيرة. فقال صلى الله عليه وسلم « اغْتَبْتِيهَا »

وقال الحسن ، ذكر الغير ثلاثة : الغيبة، والبهتان، والإفك. وكل فى كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول مافيه . والبهتان أن تقول ماليس فيه . والإفك أن تقول مابلغك . وذكر ابن سيرين رجلا فقال ، ذاك الرجل الأسود ، ثم قال ، أستغفر الله ، إنى أرانى قد اغتبته وذكر ابن سيرين : إبراهيم النخعى ، فوضع يده على عينه ، ولم يقل الأعور . وقالت عائشة (٣) لايغتابن أحدكم أحدا ، فإنى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إن هذه لطويلة الذيل ، فقال لى « الْفِظِي الْفِظِي » فلفظت مضغة لحم

بيان

أن الغيبة لاتقتصر على اللسان

اعلم أن الذكر باللسان ، إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك . وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح، والفعل فيه كالقول ، والإشارة ، والإيماء ، والغمز ، والهمز ، والكتابة والحركة ، وكل مايفهم المقصود، فهو داخل فى الغيبة، وهو حرام فمن ذلك، قول عائشة رضى الله عنها (٤) : دخلت علينا امرأة ، فلما ولت ، أومأت بيدى أنها قصيرة ، فقال عليه السلام « اغْتَبْتِيهَا »

(١) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه ـ الحديث : الطبرانى بسند ضعيف

(٢) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال اغتبتيها : رواه احمد واصله عند ابى داود والترمذى وصححه بلفظ اخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو فى الصمت لابن ابى الدنيا والصواب عن أبى حذيفة كما عند احمد وابى داود والترمذى واسم ابى حذيفة سلمة بن صهيب

(٣) حديث عائشة قلت لامرأة ان هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظى فلفظت بضعة من لحم ابن أبى الدنيا وابن مردويه فى التفسير وفى اسناده امرأة لا أعرفها

(٤) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت بيدى أى قصيرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها ابن أبى الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات

ومن ذلك المحاكاة ، كأن يمشي متعارجا ، أو كما يمشي ، فهو غيبة ، بل هو أشد من الغيبة ، لأنه أعظم فى التصوير والتفهيم . ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة حاكت امرأة قال [1] « مَا يَسُرُّنِى أَنِّى حَاكَيْتُ إِنْسَانًا وَلِى كَذَا وَكَذَا »

وكذلك الغيبة بالكتابة ، فإن القلم أحد اللسانين . وذكر المصنف شخصا معينا ، وتهجين كلامه فى الكتاب غيبة ، إلا أن يقترن به شىء من الأعذار المحوجة إلى ذكره ، كما سيأتى بيانه. وأما قوله ؛ قال قوم كذا، فليس ذلك غيبة. إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حى وإما ميت

ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم ، أو بعض من رأيناه ؛ إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا ، لأن المحذور تفهيمه ، دون ما به التفهيم . فأما إذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [2] إذا كره من إنسان شيئا ، قال « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا » فكان لا يعين . وقولك بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم ، إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص ، فهى غيبة

أخبث أنواع الغيبة

وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين . فإنهم يفهمون المقصود ، على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ، ويفهمون المقصود . ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين ، الغيبة والرياء . وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان : فيقول ، الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان ، والتبذل فى طلب الحطام . أو يقول ، نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها . وإنما قصده أن يفهم عيب الغير ، فيذكره بصيغة الدعاء . وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته ؛ فيقول ما أحسن أحوال فلان ، ما كان يقصر فى العبادات ولكن قد اعتراه فتور ، وابتلى بما يبتلى به كلنا ، وهو قلة الصبر . فيذكر نفسه ، ومقصوده أن يذم غيره فى ضمن ذلك ، ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين ، بأن يذم نفسه . فيكون مغتابا ومرائيا ، ومزكيا نفسه . فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو بجهله ، يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة . ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل ؛ إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعهم ، ويحبط بمكايده عملهم ، ويضحك عليهم ، ويسخر منهم

---

(١) حديث ما يسرنى أنى حكيت ولى كذا وكذا: تقدم فى الآفة الحادية عشرة

(٢) حديث كان إذا كره من انسان شيئا قال مابال أقوام يفعلون كذا وكذا ـ الحديث : أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعينه ورجاله رجال الصحيح

ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان ، فلا يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول سبحان الله ماأعجب هذا ، حتى يصغى إليه ، ويعلم مايقول . فيذكر الله تعالى ، ويستعمل إسمه آلة له فى تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره، جهلا منه وغرورا . وكذلك يقول، ساءنى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به ، نسأل الله أن يروح نفسه . فيكون كاذبا فى دعوى الاغتمام ، وفى إظهار الدعاء له . بل لو قصد الدعاء لأخفاه فى خلوته عقيب صلاته . ولو كان يغتم به لاغتم أيضا بإظهار مايكرهه . وكذلك يقول، ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه . فهو فى كل ذلك يظهر الدعاء ، والله مطلع على خبث ضميره، وخفي قصده . وهو لجهله لايدرى أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا

ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب . فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة ، فيندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق . فيقول، عجب ، ماعلمت أنه كذلك ، ماعرفته إلى الآن إلا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا ، عافانا الله من بلائه . فإن كل ذلك تصديق للمغتاب ، والتصديق بالغيبة غيبة ، بل الساكت شريك المغتاب ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « الْمُسْتَمِعُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ » وقد روى عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، [2] أن أحدهما قال لصاحبه : إن فلانا لنؤوم ، ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليأكلا به الخبز . فقال صلى الله عليه وسلم « قَدِ ائْتَدَمْتُمَا » فقالا مانعلمه . قال « بَلَى إِنَّكُمَا أَكَلْتُمَا مِنْ لَحْمِ أَخِيكُمَا » فانظر كيف جمعهما، وكان القائل أحدهما ، والآخر مستمعا . وقال للرجلين اللذين قال أحدهما، اقعص الرجل كما يقعص الكلب [3] « انْهَشَا مِنْ هَذِهِ الْجِيفَةِ » فجمع بينهما . فالمستمع لايخرج من إثم الغيبة ، إلا أن ينكر بلسانه ، أو بقلبه إن خاف ، وإن قدر على القيام ، أو قطع الكلام بكلام آخر ، فلم يفعل

---

(١) حديث المستمع أحد المغتابين: الطبرانى من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف

(٢) حديث ان أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد ائتدمتما فقالا ما نعلم فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما: أبو العباس الدغولى فى الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى مرسلا نحوه

(٣) حديث انهشا من هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص كما يقعص الكلب : تقدم قبل هذا بإثنى عشر حديثا

لزه . وإن قال بلسانه اسكت ، وهو مشتهٍ لذلك بقلبه ، فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الإثم ما لم يكرهه بقلبه . ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت ، أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور ، بل ينبغي أن يعظم ذلك ، فيذب عنه صريحا . وقال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ أَذَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ » وقال أبو الدرداء ، [2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْ عِرْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال أيضا [3] « مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ » وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة ، وفي فضل ذلك أخبار كثيرة ، أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين ، فلا نطول بإعادتها

بيان

الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ، ولكن يجمعها أحد عشر سببا ، ثمانية منها تطرد في حق العامة ، وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة ، أما الثمانية

فالأول : أن يشفي الغيظ ، وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه ، فإنه إذا هاج غضبه ، يشتفي بذكر مساويه ، فيسبق اللسان إليه بالطبع ، إن لم يكن ثم دين وازع . وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب ، فيحتقن الغضب في الباطن ، فيصير حقدا ثابتا ، فيكون سببا دائما لذكر المساوي . فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة

الحقد والغضب

(١) حديث من أذل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق : الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة

(٢) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف

(٣) حديث من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار : احمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد

الثانى : موافقة الأقران ، ومجاملة الرفقاء ، ومساعدتهم على الكلام . فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض ، فيرى أنه لو أنكر عليهم ، أو قطع المجلس ، استثقلوه ، ونفروا عنه ، فيساعدهم ، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ، ويظن أنه مجاملة فى الصحبة . وقد يغضب رفقاؤه ، فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم ، إظهارا للمساهمة فى السراء والضراء ، فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى

الثالث : أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ، ويطول لسانه عليه ، أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة ، فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ، ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته ، أو يبتدىء بذكر ما فيه صادقا ، ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول ، ما من عادتى الكذب ، فإنى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله ، فكان كما قلت

الرابع : أن ينسب إلى شىء ، فيريد أن يتبرأ منه ، فيذكر الذى فعله ، وكان من حقه أن يبرىء نفسه ، ولا يذكر الذى فعل ، فلا ينسب غيره إليه ، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له فى الفعل ، ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله

الخامس : إرادة التصنع والمباهاة ، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره ، فيقول فلان جاهل ، وفهمه ركيك ، وكلامه ضعيف ، وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ، ويريهم أنه أعلم منه ، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه ، فيقدح فيه لذلك

السادس : الحسد ، وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ، ويحبونه ، ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه ، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه ، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس ، حتى يكفوا عن كرامته ، والثناء عليه ، لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه ، وإكرامهم له ، وهذا هو عين الحسد ، وهو غير الغضب والحقد ، فإن ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه ، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن ، والرفيق الموافق

السابع : اللعب ، والهزل ، والمطايبة ، وتزجية الوقت بالضحك ، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ، ومنشؤه التكبر والعجب

السخرية والتحقير

الثامن : السخرية والاستهزاء ، استحقاراً له ، فإن ذلك قد يجرى فى الحضور ويجرى أيضا فى الغيبة . ومنشؤه التكبر . واستصغار المستهزأ به

وأما الأسباب الثلاثة التى هى فى الخاصة : فهى أغمضها وأدقها ، لأنها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات ، وفيها خير ، ولكن شاب الشيطان بها الشر

إظهار التعجب من حال المخطىء

الاول : أن تنبعث من الدين داعية التعجب فى إنكار المنكر والخطأ فى الدين ، فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان ، فإنه قد يكون به صادقا ، ويكون تعجبه من المنكر ، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه ، فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى إظهار تعجبه ، فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدرى . ومن ذلك قول الرجل : تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة ، وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل

إظهار الرحمة

الثانى : الرحمة ، وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به ، فيقول مسكين فلان قد غمنى أمره وما ابتلى به ، فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام ، ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه ، فيذكره فيصير به مغتابا ، فيكون غمه ورحمته خيرا ، وكذا تعجبه ، ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدرى ، والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه ، فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه

الغضب لله تعالى

الثالث : الغضب لله تعالى ، فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه ، فيظهر غضبه ، ويذكر اسمه . وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولا يظهره على غيره . أو يستر اسمه ، ولا يذكره بالسوء

فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام . فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة ، والغضب إذا كان لله تعالى ، كان عذرا فى ذكر الاسم ، وهو خطأ . بل المرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة ، لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم ، كما سيأتى ذكره

روى عن عامر بن واثلة ،[1] أن رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم ، فردوا عليه السلام . فلما جاوزهم ، قال رجل منهم ، إنى لأبغض هذا فى الله تعالى

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انى لأبغض هذا فى الله ـ الحديث : بطوله وفيه فقال قم فلعله خير منك : أحمد باسناد صحيح

فقال أهل المجلس ، لبئس ماقلت . والله لننبئنه . ثم قالوا يافلان ، لرجل منهم ، قم فأدركه وأخبره بما قال . فأدركه رسولهم . فأخبره . فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحكى له ماقال ، وسأله أن يدعوه له ، فدعاه وسأله . فقال قد قلت ذلك . فقال صلى الله عليه وسلم « لِمَ تَبْغُضُهُ » فقال أنا جاره ، وأنا به خابر . والله مارأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة . قال فاسأله يارسول الله ، هل رآني أخرتها عن وقتها ؟ أو أسأت الوضوء لها؟ أو الركوع أو السجود فيها ؟ فسأله فقال لا . فقال والله مارأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر . قال فاسأله يارسول الله ، هل رآني قط أفطرت فيه ؟ أو نقصت من حقه شيئا ؟ فسأله عنه . فقال والله مارأيته يعطي سائلا ولا مسكينا قط ، ولا رأيته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله ، إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر . قال فاسأله هل رآني نقصت منها ؟ أو ماكست فيها طالبها الذي يسألها ؟ فسأله فقال لا . فقال صلى الله عليه وسلم للرجل « قُمْ فَلَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ »

بيان

العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها ، إنما تعالج بمعجون العلم والعمل . وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلنفحص عن سببها

وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين : أحدهما على الجملة . والآخر على التفصيل

أما على الجملة ، فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته ، بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة ، فإنها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه ، بدلا عما استباحه من عرضه . فإن لم تكن له حسنات ، نقل إليه من سيئات خصمه ، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ، ومشبه عنده بآكل الميتة . بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته ، وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه ، فيحصل بها الرجحان ، ويدخل بها النار . وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله ، وذلك

بعد المخاصمة والمطالبة ، والسؤال والجواب والحساب . قال صلى الله عليه وسلم [١] « مَا النَّارُ فِي الْيَبَسِ بِأَسْرَعَ مِنَ الْغِيبَةِ فِي حَسَنَاتِ الْعَبْدِ »

وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي . فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة ، لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك

وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه ؛ فإن وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه . وذكر قوله صلى الله عليه وسلم [٢] « طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ » ومهما وجد عيبا ، فينبغي أن يستحيي من أن يترك ذم نفسه ، ويذم غيره . بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره عن نفسه ، في التنزه عن ذلك العيب ، كعجزه . وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره . وإن كان أمرا خلقيا ، فالذم له ذم للخالق ، فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه ، قال ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه . وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه ، فليشكر الله تعالى ؛ ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب ، فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب . بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه برىء من كل عيب ، جهل بنفسه ، وهو من أعظم العيوب . وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته ، كتألمه بغيبة غيره له . فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب ، فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه . فهذه معالجات جملية

أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة ، فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب

أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب ؛ وهو أن يقول إني إذا أمضيت غضبي عليه ، فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة ، إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه ، واستخففت بزجره . وقد قال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِنَّ لِجَهَنَّمَ بَابًا لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ شَفَى غَيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] « مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ كَلَّ لِسَانُهُ وَلَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ »

---

(١) حديث ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد : لم أجد له أصلا

(٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس : البزار من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله : البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٤) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الاربعين البلدانية للسلفي

وقال صلى الله عليه وسلم[1] «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُمْضِيَهُ دَعَاهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» وفى بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين ، ياابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ، فلا أمحقك فيمن أمحق

وأما الموافقة : فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك ، إذا طلبت سخطه فى رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك ، وتحقر مولاك ، فتترك رضاه لرضاهم ، إلا أن يكون غضبك لله تعالى . وذلك لايوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء ؛ بل ينبغى أن تغضب لله أيضا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء ، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب ، وهى الغيبة

وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة ، حيث يستغنى عن ذكر الغير ، فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق ، أشد من التعرض لمقت المخلوقين . وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ، ولاتدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك فى الدنيا بالتوهم ، وتهلك فى الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة . ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا ، وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة ، وهذا غاية الجهل والخذلان .

وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله ، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله ؛ فهذا جهل . لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لايجوز الاقتداء به . فإن من خالف أمر الله تعالى لايقتدى به ، كائنا من كان . ولو دخل غيرك النار ، وأنت تقدر على أن لاتدخلها ، لم توافقه . ولو وافقته لسفه عقلك . ففيما ذكرته غيبة ، وزيادة معصية ، أضفتها إلى مااعتذرت عنه ؛ وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك ، وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل ، فهى أيضا تردى نفسها ، ولو كان لها لسان ناطق بالعذر ، وصرحت بالعذر ، وقالت العنز أكيس منى ، وقد أهلكت نفسها ، فكذلك أنا أفعل ، لكنت تضحك من جهلها . وحالك مثل حالها . ثم لاتعجب ولا تضحك من نفسك

وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس ، بزيادة الفضل بأن تقدح فى غيرك ، فينبغى أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله ، وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر .

---

(١) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه ـ الحديث : أبوداود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس

وربما انقص اعتقادهم فيك ، إذا عرفوك بثلب الناس ، فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا ، بما عند المخلوقين وهما ، ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل ، لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا

الحسد وأما الغيبة لأجل الحسد : فهو جمع بين عذابين ، لأنك حسدته على نعمة الدنيا ، وكنت في الدنيا معذبا بالحسد : فما قنعت بذلك ، حتى أضفت إليه عذاب الآخرة ، فكنت خاسرا نفسك في الدنيا ، فصرت أيضا خاسراً في الآخرة ، لتجمع بين النكالين . فقد قصدت محسودك ، فأصبت نفسك ، وأهديت إليه حسناتك ، فإذا أنت صديقه وعدو نفسك ، إذ لا تضره غيبتك وتضرك ، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك ، أو تنقل إليك سيآته ولا تنفعك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة . وربما يكون حسدك وقدحك ، سبب انتشار فضل محسودك ، كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

الاستهزاء بالغير وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس ، بإخزاء نفسك عند الله تعالى ، وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام . فلو تفكرت في حسرتك ، وجنايتك ، وخجلتك ، وخزيك يوم القيامة ، يوم تحمل سيآت من استهزأت به وتساق إلى النار ، لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك . ولو عرفت حالك ، لكنت أولى أن تضحك منك ، فانك سخرت به عند نفر قليل ، وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ، ويسوقك تحت سيآته ، كما يساق الحمار إلى النار ، مستهزئا بك ، وفرحا بخزيك ، ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك ، وتسلطه على الانتقام منك

الغيبة عن طريق الرحمة وأما الرحمة له على إثمه ، فهو حسن ، ولكن حسدك ابليس ، فأضلك ، واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك ، فيكون جبرا لإثم المرحوم ، فيخرج عن كونه مرحوما ، وتنقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما ، إذ حبط أجرك ، ونقصت من حسناتك

الغيبة عن طريق الغضب لله تعالى وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة ، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ، ليحبط أجر غضبك ، وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة

التعجب وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة ، فتعجب من نفسك أنت ، كيف أهلكت

نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه . وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا ، وهو أن يهتك الله سترك ، كما هتكت بالتعجب ستر أخيك .

فإذاً علاج جميع ذلك المعرفة فقط ، والتحقق بهذه الأمور التى هى من أبواب الإيمان . فمن قوى إيمانه بجميع ذلك ، انكف لسانه عن الغيبة لامحالة

بيان

تحريم الغيبة بالقلب

اعلم أن سوء الظن حرام ، مثل سوء القول . فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير ، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك . ولست أعنى به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء . فأما الخواطر وحديث النفس ، فهو معفو عنه . بل الشك أيضا معفو عنه . ولكن المنهى عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ، ويميل إليه القلب . فقد قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ[1]) . وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لايعلمها إلا علام الغيوب ، فليس لك أن تعتقد فى غيرك سوأ إلا إذا انكشف لك بعيان لايقبل التأويل ، فعندذلك لايمكنك إلا أن تعتقد ماعلمته وشاهدته . وما لم تشاهده بعينك ، ولم تسمعه بأذنك ، ثم وقع فى قلبك : فإنما الشيطان يلقيه إليك ، فينبغى أن تكذبه ، فإنه أفسق الفساق . وقد قال الله تعالى . (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ[2]) فلا يجوز تصديق إبليس : وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد : واحتمل خلافه ، لم يجز أن تصدق به ، لأن الفاسق يتصور أن يصدق فى خبره ، ولكن لايجوز لك أن تصدق به . حتى أن من استنكه فوجد منه رائحة الخمر ، لايجوز أن يحد ، إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها ، وما شربها ، أو حمل عليه قهرا . فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة

(١) الحجرات : ١٢ (١) الحجرات:٦

فلا يجوز تصديقها بالقلب ، وإساءة الظن بالمسلم بها . وقد قال صلى الله عليه وسلم[١] « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ » فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال ، وهو نفس مشاهدته ، أو بينة عادلة . فإذا لم يكن كذلك ، وخطر لك وسواس سوء الظن ، فينبغي أن تدفعه عن نفسك ، وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان ، وأن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر

فإن قلت . فبماذا يعرف عقد الظن ، والشكوك تختلج ، والنفس تحدث

علامة عقد سوء الظن

فنقول : أمارة عقد سوء الظن ، أن يتغير القلب معه عما كان ، فينفر عنه نفورا ما ، ويستثقله ، ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه ، والاغتمام بسببه ، فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه . وقد قال صلى الله عليه وسلم[٢] « ثَلَاثٌ فِي الْمُؤْمِنِ وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ فَمَخْرَجُهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَنْ لَا يُحَقِّقَهُ » أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل ، لا في القلب ولا في الجوارح . أما في القلب ، فبتغيره إلى النفرة والكراهة . وأما في الجوارح ، فبالعمل بموجبه ، والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ، ويلقى إليه أن هذا من فطنتك ، وسرعة فهمك ، وذكائك ، وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى ، وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته . وأما إذ أخبرك به عدل ، فمال ظنك إلى تصديقه، كنت معذورا . لأنك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل ، إذ ظننت به الكذب ، وذلك أيضا من سوء الظن ، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر . نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت ، فتتطرق التهمة بسببه[٣] ، فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة . ورد شهادة العدو . فلك عند ذلك أن تتوقف ، وإن كان عدلا ، فلا تصدقه ولا تكذبه .

---

(١) حديث ان الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء : البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر

(٢) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج : الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف

(٣) حديث رد الشرع شهادة لوالد العدل وشهادة العدو : الترمذي من حديث عائشة وضعفه لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر لأخيه وفيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولأبي داود وابن ماجه باسنا جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذي الغمر على أخيه

ولكن تقول فى نفسك ، المذكور حاله كان عندى فى ستر الله تعالى ، وكان أمره محجوبا عنى ، وقد بقى كما كان ، لم ينكشف لى شىء من أمره

وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ، ولا محاسدة بينه وبين المذكور ، ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس ، وذكر مساويهم . فهذا يظن انه عدل ، وليس بعدل . فإن المغتاب فاسق . وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته . إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى أمر الغيبة ، ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق

ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم ، فينبغى أن تزيد فى مراعاته ، وتدعو له بالخير ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ، ويدفعه عنك ، فلا يلقى إليك الخاطر السوء ، خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة

ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة ، فانصحه فى السر ، ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه . وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه ، لينظر إليك بعين التعظيم ، وتنظر إليه بعين الاستحقار ، وتترفع عليه بأبداء الوعظ . وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين ، كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان فى دينك . وينبغى أن يكون تركه لذلك من غير نصحك ، أحب إليك من تركه بالنصيحة . فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته ، وأجر الاعانة له على دينه.

ومن ثمرات سوء الظن التجسس ، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس ، وهو أيضا منهى عنه . قال الله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا [1]) فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهى عنه فى آية واحدة . ومعنى التجسس ، أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر ، حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه ، وقد ذكرنا فى كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته .

بيان

الاعذار المرخصة فى الغيبة

اعلم أن المرخص فى ذكر مساوى الغير هو غرض صحيح فى الشرع لا يمكن التوصل اليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة ، وهى ستة أمور :

(١) الحجرات : ١٢

التظلم

الأول : التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم ، والخيانة ، وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا إن لم يكن مظلوما . أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم . إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به . قال صلى الله عليه وسلم [(1)] « إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً » وقال عليه السلام [(2)] « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » وقال عليه السلام [(3)] « لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ »

الاستعانة على تغيير المنكر

الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه، فسلم عليه، فلم يرد السلام. فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه: فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك، ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه، أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام. كتب إليه، بسم الله الرحمن الرحيم (حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ [(1)]) الآية فتاب . ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة ، إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك، فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره . وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح . فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما

الاستفتاء

الثالث : الاستفتاء ، كما يقول للمفتي ، ظلمني أبي ، أو زوجتي، أو أخي، فكيف طريقي في الخلاص . والأسلم التعريض ، بأن يقول ، ما قولك في رجل ظلمه أبوه ، أو أخوه ، أو زوجته . ولكن التعيين مباح بهذا القدر ، لما روى عن هند بنت عتبة ، أنها قالت [(4)] للنبي صلى الله عليه وسلم ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي ، أفآخذ من غير علمه ؟ فقال « خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ » فذكرت الشح ، والظلم لها ولولدها ، ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء

تحذير المسلم من الشر

الرابع . تحذير المسلم من الشر ، فإذا رأيت فقيها يتردد إلى مبتدع أو فاسق ، وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه ، فلك أن تكشف له بدعته وفسقه ، مهما كان الباعث لك

---

(١) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث مطل الغني ظلم متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث لي الواجد يحل عرضه وعقوبته أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح

(٤) حديث ان هندا قالت ان أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة

---

(1) غافر : ١ و٢ و٣

الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره . وذلك موضع الغرور . إذ قد يكون الحسد هو الباعث ، ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق . وكذلك من اشترى مملوكا ، وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق ، أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك ، فإن في سكوتك ضرر المشتري ، وفي ذكرك ضرر العبد ، والمشتري أولى بمراعاة جانبه . وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد ، فله الطعن فيه إن علم مطعنا

وكذلك المستشار في التزويج ، وإيداع الأمانة ، له أن يذكر مايعرفه على قصد النصح للمستشير ، لا على قصد الوقيعة . فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك ، فهو الواجب ، وفيه الكفاية . وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه ، فله أن يصرح به . إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « أَتَرْعَوْنَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ اهْتِكُوهُ حَتَّى يَعْرِفَهُ النَّاسُ اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ » وكانوا يقولون ، ثلاثة لا غيبة لهم ، الإمام الجائر ، والمبتدع ، والمجاهر بفسقه

الخامس . أن يكون الإنسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه ، كالأعرج ، والأعمش ، فلا إثم على من يقول ، روى أبو الزناد عن الأعرج ، وسلمان عن الأعمش ، وما يجري مجراه . فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه ، بعد أن قد صار مشهورا به . نعم إن وجد عنه معدلا ، وأمكنه التعريف بعبارة أخرى ، فهو أولى . ولذلك يقال للأعمى البصير ، عدولا عن اسم النقص

ذكر اللقب المعروف به

السادس . أن يكون مجاهرا بالفسق ، كالمخنث ، وصاحب الماخور ، والمجاهر بشرب الخمر ، ومصادرة الناس ، وكان ممن يتظاهر به ، بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ، ولا يكره أن يذكر به . فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به ، فلا إثم عليك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ » وقال عمر رضي الله عنه

التجاهر بالفسوق

---

(١) حديث أترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزياده ابن أبي الدنيا في الصمت

(٢) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب ثواب الاعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم

ليس لفاجر حرمة · وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر . إذ المستتر . لابد من مراعاة حرمته . وقال الصلت بن طريف ، قلت للحسن ، الرجل الفاسق المعلن بفجوره ، ذكرى له بما فيه غيبة له ؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن . ثلاثة لاغيبة لهم صاحب الهوى ؛ والفاسق المعلن بفسقه ؛ والإمام الجائر . فهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به ، وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك ، وهم يقصدون إظهاره . نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به إثم

وقال عوف ، دخلت على ابن سيرين ، فتناولت عنده الحجاج . فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه ، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه · وإنك إذا لقيت الله تعالى غدا ، كان أصغر ذنب أصبته ، أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

بيان

كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ، ويتأسف على ما فعله ؛ ليخرج به من حق الله سبحانه . ثم يستحل المغتاب ، ليحله ، فيخرج من مظلمته . وينبغي أن يستحله وهو حزين ؛ متأسف ، نادم على فعله إذ المرائى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ،وفى الباطن لا يكون نادما ، فيكون قد قارف معصية أخرى . وقال الحسن ، يكفيه الاستغفار دون الاستحلال . وربما استدل فى ذلك بما روى أنس بن مالك قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « كَفَّارَةُ مَنِ اغْتَبْتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ » وقال مجاهد ، كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه ، وتدعو له بخير

الاستحلال والاستغفار

وسئل عطاء بن أبى رباح عن التوبة من الغيبة ، قال أن تمشى إلى صاحبك فتقول له ، كذبت فيما قلت ، وظلمتك ، وأسأت . فإن شئت أخذت بحقك ، وإن شئت عفوت . وهذا هو الأصح

وقول القائل ، العرض لاعوض له ، فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال ، كلام ضعيف ، إذ قد وجب فى العرض حد القذف ، وتثبت المطالبة به

(١) حديث كفارة من اغتبته أن تستغفر له ابن أبى الدنيا فى الصمت والحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس بسند ضعيف

بل فى الحديث الصحيح : ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال [١] « مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَسْتَحِلَّهَا مِنْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَزِيدَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ » وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل ، قد اغتبتيها فاستحليها

فإذا لا بد من الاستحلال إن قدر عليه ، فإن كان غائبا أو ميتا ، فينبغى أن يكثر له الاستغفار والدعاء ، ويكثر من الحسنات

فإن قلت . فالتحليل هل يجب؟ فأقول لا . لأنه تبرع ، والتبرع فضل وليس بواجب . ولكنه مستحسن . وسبيل المعتذر ، أن يبالغ فى الثناء عليه ، والتودد إليه ؛ ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطب قلبه ، كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له ، يقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة

تحليل وحكم .

وكان بعض السلف لا يحلل . قال سعيد بن المسيب ، لا أحلل من ظلمنى . وقال ابن سيرين إنى لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه ، وما كنت لأحلل ماحرم الله أبدا

فإن قلت . فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحِلَّهَا » وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن

فنقول : المراد به العفو عن المظلمة ، لا أن ينقلب الحرام حلالا . وما قاله ابن سيرين ، حسن فى التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة

فإن قلت : فما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم [٢] « أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى النَّاسِ » فكيف يتصدق بالعرض ؟ ومن تصدق به فهل يباح تناوله ؟ فإن كان لا تنفذ صدقته ، فما معنى الحث عليه

---

(١) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليتحلله ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان اذ خرج من بيته قال اللهم انى تصدقت بعرضى على الناس البزار وابن السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر أبى ضمضم فى الصحابة قلت وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى

فنقول معناه أني لا أطلب مظلمة في القيامة منه . ولا أخاصمه . وإلا فلا تصير الغيبة حلالا به ، ولا تسقط المظلمة عنه ، لأنه عفو قبل الوجوب . إلا أنه وعد ، وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فإن رجع وخاصم ، كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك . بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف ، لم يسقط حقه من حد القاذف . ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا

وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن ، إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، نودوا ليقم من كان له أجر على الله . فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا .

وقد قال الله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [١]) فقال النبي صلى الله عليه وسلم [١] « يَاجِبْرِيلُ مَا هَذَا الْعَفْوُ ؟ » فقال ، إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك . وروي عن الحسن : أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك . فبعث إليه رطبا على طبق ، وقال قد بلغني أنك أهديت إليّ من حسناتك ، فأردت أن أكافئك عليها . فاعذرني ، فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام .

الآفة السادسة عشرة

النميمة

قال الله تعالى (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ [٢]) ثم قال (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ [٣]) قال عبد الله ابن المبارك . الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث . وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ، دل على أنه ولد زنا ، استنباطا من قوله عز وجل (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) والزنيم هو الدعي . وقال تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ [٤]) قيل الهمزة النمام وقال تعالى (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ [٥]) قيل إنها كانت نمامة ، حمالة للحديث . وقال تعالى (فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا [٦]) قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان ، وامرأة نوح تخبر أنه مجنون

---

(١) حديث نزول خذ العفو الآية فقال ياجبريل ماهذا فقال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك تقدم في رياضة النفس

---

(١) الاعراف : ١٩٩ (٢) و٣ القلم : ١١ و١٣ (٤) الهمزة : ١ (٥) المسد : ٤ (٦) التحريم : ١٠

وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] «لاَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» وفي حديث آخر «لاَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ» والقتات هو النمام . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] «أَحَبُّكُمْ إِلَى اللهِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللهِ الْمَشَّاؤُنَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَثَرَاتِ» وقال صلى الله عليه وسلم [٣] «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟» قالوا بلى . قال «الْمَشَّاؤُنَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَيْبَ» وقال أبو ذر [٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيَشِينَهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ شَانَهُ اللهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقال أبو الدرداء [٥] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ لِيَشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ» وقال أبو هريرة [٦] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ شَهِدَ عَلَى مُسْلِمٍ بِشَهَادَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» ويقال إن ثلث عذاب القبر من النميمة

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم [٧] «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ قَالَ لَهَا تَكَلَّمِي فَقَالَتْ سَعِدَ مَنْ دَخَلَنِي فَقَالَ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَيَسْكُنُ فِيكِ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ مِنَ النَّاسِ لاَيَسْكُنُكِ مُدْمِنُ خَمْرٍ وَلاَ مُصِرٌّ عَلَى الزِّنَا وَلاَ قَتَّاتٌ وَهُوَ النمام

(١) حديث لايدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم

(٢) حديث أبي هريرة وأحبكم الى الله أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الطبراني في الأوسط والصغير وتقدم في آداب الصحبة

(٣) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الاشعري وقد تقدم

(٤) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن ابي الدنيا في الصمت والطبراني في مكارم الاخلاق وفيه عبدالله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث

(٥) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوفا على أبي الدرداء ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم

(٦) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن ابي الدنيا من الاسناد

(٧) حديث ابن عمر ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزتي وجلالي لايسكن فيك ثمانية فذكر منها ولاقتات وهو النمام لم أجده هكذا بتمامه ولأحمد لايدخل الجنة

وَلَا دَيُّوثٌ وَلَا شُرَطِيٌّ وَلَا مُخَنَّثٌ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ وَلَا الَّذِي يَقُولُ عَلَيَّ عَهْدُ اللهِ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ لَمْ يَفِ بِهِ »

وروى كعب الأحبار: أن بنى اسرائيل أصابهم قحط، فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا. فأوحى الله تعالى إليه، إنى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام، قد أصر على النميمة. فقال موسى، يارب من هو؟ دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا. قال ياموسى، أنهاكم عن النميمة وأكون نماما! فتابوا جميعا، فسقوا. ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات. فلما قدم عليه، قال إنى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم: أخبرنى عن السماء وما أثقل منها؟ وعن الأرض وما أوسع منها؟ وعن الصخر وما أقسى منه؟ وعن النار وما أحر منها؟ وعن الزمهرير وما أبرد منه؟ وعن البحر وما أغنى منه؟ وعن اليتيم وما أذل منه؟ فقال له الحكيم، البهتان على البرىء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض؟ والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم

بيان

حد النميمة وما يجب فى ردها

اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق فى الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا. وليست النميمة مختصة به. بل حدها كشف مايكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث. وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة، أو بالرمز، أو بالأيماء. وسواء كان المنقول من الأعمال، أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه، أو لم يكن. بل حقيقة النميمة إفشاء السر،

عاق لوالديه ولاديوث وللنسائى من حديث عبد الله بن عمر ولايدخل الجنة منان ولاعاق ولامدمن خمر وللشيخين من حديث حذيفة لايدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لايدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى تزينى فتزينت فقالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه الهى فقال الله عزوجل لاسكنك مخنث ولا نائحة

وهتك الستر عما يكره كشفه . بل كل مارآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره، فينبغى أن يسكت عنه ، إلا مافى حكايته فائدة لمسلم ، أو دفع لمعصية . كما إذا رأى من يتناول مال غيره ، فعليه أن يشهد به ، مراعاة لحق المشهود له . فأما إذا رآه يخفى مالا لنفسه ، فذكره فهو نميمة ، وإفشاء للسر. فإن كان ماينم به نقصا وعيبا فى المحكى عنه، كان قد جمع بين الغيبة والنميمة

فالباعث على النميمة أما إرادة السوء للمحكى عنه ،أو إظهار الحب للمحكى له ، أو التفرج بالحديث والخوض فى الفضول والباطل .

الباعث على النميمة

وكل من حملت إليه النميمة ، وقيل له إن فلانا قال فيك كذا ، أو فعل فى حقك كذا أوهو يدبر فى إفساد أمرك ،أو فى ممالأة عدوك ،أو تقبيح حالك ،أو مايجرى مجراه، فعليه ستة أمور

واجب المنم له

الأول. أن لايصدقه لأن النمام فاسق ،وهو مردود الشهادة، قال الله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ [1])

تكذيب النمام

الثانى . أن ينهاه عن ذلك، وينصح له ، ويقبح عليه فعله . قال الله تعالى (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ [2])

نهيه

الثالث. أن يبغضه فى الله تعالى، فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى

بغضه

الرابع . أن لاتظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ [3])

تحسين الظن بالأخيه

الخامس . أن لايحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا [4])

التحرز عن التجسس

السادس . أن لاترضى لنفسك مانهيت النمام عنه ، ولا تحكى نميمته ، فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا ، فتكون به نماما ومغتابا ، وقد تكون قد أتيت ماعنه نهيت

وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، أنه دخل عليه رجل ، فذكر له عن رجل شيئا . فقال له عمر ، إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا [5]) وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ [6]) وإن شئت عفونا عنك . فقال العفو ياأمير المؤمنين لاأعود إليه أبدا

(١) الحجرات : ٦ (٢) لقمان : ١٧ (٣) و(٤) الحجرات : ١٢ (٥) الحجرات : ٦ (٦) القلم : ١١

وذكر أن حكيما من الحكماء زاره بعض إخوانه ، فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه . فقال له الحكيم ، قد أبطأت فى الزيارة ، وأتيت بثلاث جنايات . بغضت أخى إلى ، وشغلت قلبى الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة . وروى أن سليمان بن عبد الملك، كان جالسا وعنده الزهرى، فجاءه رجل ، فقال له سليمان، بلغنى إنك وقعت فىّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل مافعلت ولا قلت . فقال سليمان ، إن الذى أخبرنى صادق . فقال له الزهرى : لا يكون النمام صادقا . فقال سليمان صدقت . ثم قال للرجل إذهب بسلام

وقال الحسن . من نم اليك ، نم عليك . وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغى أن يبغض ، ولا يوثق بقوله ، ولا بصداقته . وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة ، والغدر والخيانة ، والغل والحسد والنفاق ، والإفساد بين الناس والخديعة . وهو ممن يسعى فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض

وقال تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ [1]) والنمام منهم . وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ » والنمام منهم . وقال [2] « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ » قيل وما القاطع . قال « قَاطِعٌ بَيْنَ النَّاسِ » وهو النمام ، وقيل قاطع الرحم

ملازمة النمام للصفات الذميمة

وروى عن علي رضى الله عنه ، أن رجلا سعى إليه برجل ، فقال ياهذا ، نحن نسأل عما قلت ، فإن كنت صادقا مقتناك ، وإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن شئت أن نقيلك أقلناك . فقال أقلنى ياأمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى ، أى خصال المؤمن أوضع له؟ فقال كثرة الكلام ، وإفشاء السر ، وقبول قول كل أحد. وقال رجل لعبد الله بن عامر، وكان أميرا بلغنى أن فلانا أعلم الأمير أنى ذكرته بسوء . قال قد كان ذلك . قال فأخبرنى عما قال لك . حتى أظهر كذبه عندك . قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى ، وحسبى أنى لم أصدقه فيما قال ، ولا أقطع عنك الوصال

---

(١) حديث ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره: متفق عليه من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث لايدخل الجنة قاطع: متفق عليه من حديث جبير بن مطعم

---

(١) الشورى : ٤٢

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ، ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم ؟ وقال مصعب بن الزبير ، نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء فأخبر به ، كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعي ، فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ، ولم يستر العورة

والسعاية هي النميمة ، إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية . وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] « السَّاعِي بِالنَّاسِ إِلَى النَّاسِ لَغَيْرُ رِشْدَةٍ » يعني ليس بولد حلال

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك ، فاستأذنه في الكلام ، وقال إني مكلمك ياأمير المؤمنين بكلام ، فاحتمله وإن كرهته ، فإن وراءه ماتحب إن قبلته . فقال قل . فقال ياأمير المؤمنين، إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ماائتمنك الله عليه ، ولا تصخ إليهم فيما استحفظك الله إياه ، فإنهم لن يألوا في الأمة خسفا ، وفي الأمانة تضييعا ، والأعراض قطعا وانتهاكا أعلى قربهم البغي والنميمة ، وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة : وأنت مسؤول عما أجرموا ، وليسوا المسؤلين عما أجرمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره

وسعى رجل بزياد الأعجم ، إلى سليمان بن عبد الملك ، فجمع بينهما للموافقة . فأقبل زياد على الرجل وقال

فأنت امرؤ ما ائتمنتك خاليا ... فخنت وإما قلت قولا بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والإثم

---

(١) حديث الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة : الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شيء منها وقال له أسانيد هذا أمثلها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال ـ والحديث : لا أصل له وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلفظ لايسعى على الناس الاولد بغي والامن فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال ابن أبي بردة أباالوليد القرشي

وقال رجل لعمرو بن عبيد ، أن الأسوارى ما يزال يذكرك فى قصصه بشر . فقال له عمرو ، ياهذا ، ما رعيت حق مجالسة الرجل ، حيث نقلت إلينا حديثه . ولا أديت حقى ، حين اعلمتنى عن أخى ما أكره . ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا ، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين

ورفع بعض السعاة إلى الصاحب بن عبادرقعة ، نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها . السعاية قبيحة ، وإن كانت صحيحة . فإن كنت أجريتها مجرى النصح، فخسرانك فيها أفضل من الربح . ومعاذالله أن نقبل مهتوكا فى مستور . ولولا أنك فى خفارة شيبتك ، لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك . فتوق يا ملعون العيب ، فإن الله أعلم بالغيب . الميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعى لعنه الله

وقال لقمان لابنه ، يابنى ، أوصيك بخلال، إن تمسكت بهن لم تزل سيدا . ابسط خلقك للقريب والبعيد ، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم ، واحفظ إخوانك ، وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع ، أو سماع باغ يريد فسادك ، ويروم خداعك. وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك .

وقال بعضهم: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق ،وهى أثافى الذل. وقال بعضهم لو صح مانقله النمام إليك ، لكان هو المجترىء بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بحلمك ، لأنه لم يقابلك بشتمك . وعلى الجملة ، فشر النمام عظيم ، ينبغى أن يتوقى . قال حماد ابن سلمة : باع رجل عبدا ، وقال للمشترى : مافيه عيب إلا النميمة . قال قدرضيت . فاشتراه فمكث الغلام أياما ، ثم قال لزوجة مولاه ، إن سيدى لايحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات ، حتى أسحره عليها ، فيحبك . ثم قال للزوج ، إن امرأتك اتخذت خليلا ، وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها حتى تعرف ذلك . فتناوم لها ، فجاءت المرأة بالموسى ، فظن أنها تريد قتله ، فقام إليها فقتلها ، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ، ووقع القتال بين القبيلتين . فنسأل الله حسن التوفيق

تأثير النميمة فى الفرقة بين الزوجين

الآفة السابعة عشرة

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه

وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين . وذلك عين النفاق . قال عمار بن ياسر ، (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال أبو هريرة ، (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِحَدِيثٍ وَهَؤُلَاءِ بِحَدِيثٍ » وفي لفظ آخر « الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ »

وقال أبو هريرة : لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله . وقال مالك بن دينار : قرأت في التوراة ، بطلت الأمانة، والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين ، يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين . وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « أَبْغَضُ خَلِيقَةِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكَذَّابُونَ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ وَالَّذِينَ يُكْثِرُونَ الْبَغْضَاءَ لِإِخْوَانِهِمْ فِي صُدُورِهِمْ فَإِذَا لَقُوهُمْ تَمَلَّقُوا لَهُمْ وَالَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَانُوا بُطَاءً وَإِذَا دُعُوا إِلَى الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ كَانُوا سِرَاعًا » . وقال ابن مسعود : لا يكونن أحدكم إمعة . قالوا وما الإمعة ؟ قال الذي يجري مع كل ريح . واتفقوا على أن ملاقاة الإثنين بوجهين نفاق، وللنفاق علامات كثيرة، وهذه من جملتها وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة . فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تصل عليه فقال يا أمير المؤمنين ، إنه منهم . فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ، ولا أؤمن منها أحدا بعدك

(الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة : البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

(٢) حديث أبي هريرة تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين ـ الحديث: متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخاري وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف

(٣) حديث أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تملقوا لهم ـ الحديث : لم أقف له على أصل

فإن قلت : بماذا يصير الرجل ذا لسانين ! وما حد ذلك؟

فأقول : إذا دخل على متعاديين ، وجامل كل واحـد منهما ، وكان صادقا فيه ، لم يكن منافقا ، ولا ذا لسانين . فإن الواحد قد يصادق متعاديين . ولـكن صداقة ضعيفة ، لا تنتهى إلى حد الأخوة . إذ لو تحققت الصداقة ، لاقتضت معاداة الأعداء ، كما ذكرنا فى كتاب آداب الصحبة والأخوة . نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر ، فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة ، إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط . فإذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام . وإن لم ينقل كلاما ، ولـكن حسن لـكل واحـد منهما ماهو عليه من المعاداة مع صاحبه ، فهذا ذو لسانين . وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته . وكذلك إذا أثنى على أحدهما ، وكان إذا خرج من عنده يذمه ، فهو ذو لسانين . بل ينبغى أن يسكت ، أو يثنى على المحق من المتعاديين ، ويثنى عليه فى غيبته ، وفى حضوره ، وبين يدى عدوه . قيل لابن عمر رضى الله عنهما ، [1] إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول ، فإذا خرجنا قلنا غيره . فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير ، وعن الثناء عليه . فلو استغنى عن الدخول ، ولـكن إذا دخل يخاف إن لم يثن ، فهو نفاق ، لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك . فإن كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل ، وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى ، وأثنى ، فهو منافق . وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم [2] «حُبُّ الْمَالِ وَالْجَاهِ يُنْبِتَانِ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ» لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراآتهم . فأما إذا ابتلى به لضرورة ، وخاف إن لم يثن ، فهو معذور فإن اتقاء الشر جائز . قال أبو الدرداء رضي الله عنه ، إنا لنكشر فى وجوه أقوام ،

---

(١) حديث قيل لابن عمر انا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق

(٢) حديث حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل: أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة بسند ضعيف الا انه قال حب الغناء وقال الشعب مكان البقل

وإن قلوبنا لتلعنهم . وقالت عائشة رضى الله عنها : [١] استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ هُوَ » ثم لما دخل ألان له القول . فلما خرج قلت يارسول الله ، قلت فيه ماقلت ، ثم ألنت له القول ! فقال « يَاعَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ الَّذِي يُكْرَمُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ » ولكن هذا ورد فى الإقبال ، وفى الكشر والتبسم . فأما الثناء ، فهو كذب صراح ، ولا يجوز إلا لضرورة ، أو إكراه يباح الكذب بمثله ، كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لايجوز الثناء ، ولا التصديق ، ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فإن فعل ذلك ، فهو منافق . بل ينبغى أن ينكر ، فإن لم يقدر فيسكت بلسانه ، وينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشرة

المـــدح

وهو منهى عنه فى بعض المواضع . أما الذم ، فهو الغيبة والوقيعة ، وقد ذكرنا حكمها .
والمدح يدخله ست آفات ، أربع فى المادح ، واثنتان فى الممدوح . فأما المادح :

فالأولى . أنه قد يفرط ، فينتهى به إلى الكذب . قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤس الأشهاد ، بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه

الثانية : أنه قد يدخله الرياء ، فإنه بالمدح مظهر للحب ، وقد لايكون مضمرا له ، ولا معتقدا لجميع مايقوله ، فيصير به مرائيا منافقا .

الثالثة : إنه قد يقول مالايتحققه ، ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه . روى [٢] أن رجلا مدح رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له عليه السلام « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » ثم قال « إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ لَابُدَّ مَادِحاً أَخَاهُ فَلْيَقُلْ أَحْسَبُ فُلَاناً وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَداً حَسِيبُهُ اللهُ إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ »

---

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة ـ الحديث : وفيه ان شر الناس الذى يكرم اتقاء لشره : متفق عليه وقد تقدم فى الآفة التى قبلها

(الآفة الثامنة عشرة المدح)

(٢) حديث ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبى بكرة بنحوه وهو فى الصمت لابن أبى الدنيا بلفظ المصنف

وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة، التي تعرف بالأدلة، كقوله إنه متق وورع، وزاهد، وخير، وما يجري مجراه. فأما إذا قال رأيته يصلي بالليل، ويتصدق، ويحج، فهذه أمور مستيقنة. ومن ذلك قوله إنه عدل، رضا، فإن ذلك خفي، فلا ينبغي أن يجزم القول فيه. إلا بعد خبرة باطنة. سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل، فقال أسافرت معه؟ قال لا. قال. أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال لا. قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال لا. فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه

عدم جواز مدح الفاسق او الظالم

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْضَبُ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ» وقال الحسن. من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه. والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم، ولا يمدح ليفرح . وأما الممدوح فيضره من وجهين:

ادراك الكبر في الممدوح

أحدهما. أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا، وهما مهلكان. قال الحسن رضي الله عنه. كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة، والناس حوله، إذ أقبل الجارود بن المنذر، فقال رجل هذا سيد ربيعة. فسمعها عمر ومن حوله، وسمعها الجارود. فلما دنا منه، خفقه بالدرة. فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين؟ قال مالي ولك أما لقد سمعتها؟ قال سمعتها فمه. قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحببت أن أطأطيء منك.

فتور الممدوح وكسله

الثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر، ورضي عن نفسه. ومن أعجب بنفسه قل تشمره. وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً. فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه، ظن أنه قد أدرك. ولهذا قال عليه السلام «قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ» وقال صلى الله عليه وسلم [2] «إِذَا مَدَحْتَ أَخَاكَ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّمَا أَمْرَرْتَ عَلَى حَلْقِهِ مُوسَى وَمِيضاً» وقال أيضا لمن مدح رجلا [3] «عَقَرْتَ الرَّجُلَ عَقَرَكَ اللَّهُ»

---

(١) حديث ان الله يغضب اذا مدح الفاسق: ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى الموصلي وابن عدي بلفظ اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب الكسب

(٢) حديث اذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى وميضا: ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلا

(٣) حديث عقرت الرجل عقرك الله: قاله لمن مدح رجلا لم أجد له أصلا

وقال مطرف، ماسمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسى . وقال زياد بن أبى مسلم: ليس أحد يسمع ثناء عليه أومدحة ، إلا تراءى له الشيطان . ولكن المؤمن يراجع . فقال ابن المبارك، لقدصدق كلاهما . أماماذكره زياد، فذلك قلب العوام . وأماماذكره مطرف: فذلك قلب الخواص . وقال صلى الله عليه وسلم [١] « لَوْ مَشَى رَجُلٌ إِلَى رَجُلٍ بِسِكِّينٍ مُرْهَفٍ كَانَ خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ » وقال عمر رضى الله عنه : المدح هو الذبح . وذلك لأن المذبوح هو الذى يفتر عن العمل . والمدح يوجب الفتور . أو لأن المدح يورث العجب والكبر ؛ وهما مهلكان كالذبح : فلذلك شبهه به

فإن سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والممدوح ، لم يكن به بأس. بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال [٢] « لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ » وقال فى عمر [٣] « لَوْ لَمْ أُبْعَثْ لَبُعِثْتَ يَا عُمَرُ » وأى ثناء يزيد على هذا ؟ ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا . بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر . إذقال صلى الله عليه وسلم [٤] « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ » أى لست أقول هذا تفاخرا ، كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم . وذلك لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله ، وبالقرب من الله ، لا بولد آدم وتقدمه عليهم . كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما إنما يفتخر بقبوله إياه ، وبه يفرح ،لا بتقدمه على بعض رعاياه

وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه . قال صلى الله عليه وسلم [٥] « وَجَبَتْ » لما أثنوا على بعض الموتى . وقال مجاهد إن لبنى آدم جلساء

(١) حديث لومشى رجل بسكين مرهف كان خيراله من أن يثنى عليه فى وجهه: لم أجده أيضا

(٢) حديث لووزن ايمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح: تقدم فى العلم

(٣) حديث لولم أبعث لبعثت ياعمر : أبومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وهومنكر والمعروف حديث عقبة بن عامر لوكان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذى وحسنه

(٤) حديث أناسيد ولد آدم ولافخر: الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت أناسيد الناس يوم القيامة ولافخر ولمسلم من حديث أبى هريرة أناسيد ولد آدم يوم القيامة

(٥) حديث وجبت قاله لما أثنوا على بعض الموتى :متفق عليه من حديث أنس

من الملائكة ، فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير ، قالت الملائكة ولك بمثله . وإذا ذكره بسوء ، قالت الملائكة ياابن آدم المستور عورتك أربع على نفسك ، واحمد الله الذى ستر عورتك . فهذه آفات المدح

بيان

ما على الممدوح

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب ، وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ؛ ويتأمل ما فى خطر الخاتمة ، ودقائق الرياء ، وآفات الأعمال ، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح . ولو انكشف له جميع أسراره ، وما يجرى على خواطره ، لكف المادح عن مدحه

وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح . قال صلى الله عليه وسلم[1] « أُحْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَادِحِينَ » وقال سفيان بن عيينة ؛ لا يضر المدح من عرف نفسه . وأثنى على رجل من الصالحين ؛ فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفونى ، وأنت تعرفنى . وقال آخر لما أثنى عليه ، اللهم إن عبدك هذا تقرب إلىّ بمقتك ، وأنا أشهدك على مقته . وقال على رضى الله عنه لما أثنى عليه ، اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون ، واجعلنى خيرا مما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه ، فقال أتهلكنى وتهلك نفسك ؟ وأثنى رجل على علىّ كرم الله وجهه فى وجهه ، وكان قد بلغه أنه يقع فيه ، فقال أنا دون ما قلت ، وفوق ما فى نفسك

بيانه رامب

الآفة التاسعة عشرة

الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام

لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ، ويرتبط بأمور الدين . فلا يقدر على تقويم اللفظ فى أمور الدين إلا العلماء الفصحاء . فمن قصر فى علم أو فصاحة ، لم يخل كلامه عن الزلل . لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله . مثاله ما قال حذيفة قال النبى صلى الله عليه وسلم

(١) حديث احثوا فى وجوه المداحين التراب : مسلم من حديث المقداد

(١) « لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ مَاشَاءَ اللهُ وَشِئْتَ وَلَكِنْ لِيَقُلْ مَاشَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ » وذلك لأن في العطف المطلق تشريكا وتسوية ، وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، (٢) جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكلمه فى بعض الأمر ، فقال ماشاء الله وشئت . فقال صلى الله عليه وسلم « اجَعَلْتَنِي لِلّهِ عَدِيلاً بَلْ مَاشَاءَ اللهُ وَحْدَهُ » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى . فقال « قُلْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما ، لأنه تسوية وجمع

وكان ابراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ، ولا يقول لولا الله وفلان . وكره بعضهم أن يقال ، اللهم أعتقنا من النار ، وكان يقول العتق يكون بعد الورود . وكانوا يستجيرون من النار ، ويتعوذون من النار

وقال رجل : اللهم اجعلنى ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقال حذيفة ، إن الله يغنى المؤمنين عن شفاعة محمد ، وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين

وقال ابراهيم ، إذا قال الرجل للرجل ياحمار ، ياخنزير ، قيل له يوم القيامة ، حمارا رأيتنى خلقته ! خنزيرا رأيتنى خلقته ؟ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن أحدكم ليشرك ، حتى يشرك بكلبه ، فيقول لولاه لسُرقنا الليلة

وقال عمر رضى الله عنه ، (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » قال عمر رضى الله عنه : فو الله ما حلفت بها منذ سمعتها . وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « لاَ تُسَمُّوا الْعِنَبَ كَرْماً

(الآفة التاسعة عشرة فى الغفلة عن دقائق الخطأ)

(١) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ـ الحديث : أبوداود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح

(٢) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الامر فقال ماشاء الله وشئت فقال جعلتنى لله عدلا قل ماشاء الله وحده النسائى فى الكبرى باسناد حسن وابن ماجه

(٣) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى ـ الحديث : مسلم من حديث عدى بن حاتم

(٤) حديث عمر ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم : متفق عليه

(٥) حديث لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم : متفق عليه من حديث أبي هريرة

إِنَّمَا الْكَرْمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ »

وقال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلاَ أَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ وَلْيَقُلْ غُلاَمِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي وَلاَ يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَلاَ رَبَّتِي وَلْيَقُلْ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ وَالرَّبُّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم [1] « لاَ تَقُولُوا لِلْفَاسِقِ سَيِّدَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلاَمِ فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلاَمِ سَالِماً »

فهذا وأمثاله مما يدخل فى الكلام ، ولا يمكن حصره . ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان ، علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم . وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم [3] « مَنْ صَمَتَ نَجَا » لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب ، وهى على طريق المتكلم ، فإن سكت سلم من الكل : وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه ، إلا أن يوافقه لسان فصيح ، وعلم غزير ، وورع حافظ ؛ ومراقبة لازمة ، ويقلل من الكلام ، فعساه يسلم عند ذلك . وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر . فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم ، فكن ممن سكت فسلم ، فالسلامة إحدى الغنيمتين .

الآفة العشرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما فى القرءان . إلا أن ذلك ثقيل على النفوس ، والفضول خفيف على القلب . والعامى يفرح بالخوض فى العلم . إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ، ولا يزال يحبب إليه ذلك ؛ حتى يتكلم فى العلم بما هو كفر ، وهو لا يدرى

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا — الحديث : أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح

(٢) حديث من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال — الحديث : النسائى وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح

(٣) حديث من صمت نجا : الترمذى وقد تقدم فى أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

وكل كبيرة يرتكبها العامى ، فهى أسلم له من أن يتكلم فى العلم ، لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات ، والإيمان بما ورد به القرءان ، والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث . وسؤالهم عن غير مايتعلق بالعبادات سوء أدب منهم ؛ يستحقون به المقت من الله عز وجل ، ويتعرضون لخطر الكفر . وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك ، وهو موجب للعقوبة . وكل من سأل عن علم غامض ؛ ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم . فإنه بالإضافة إليه عامى . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] « ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ مَانَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَااسْتَطَعْتُمْ »

وقال أنس : [2] سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال « سَلُونِى وَلاَ تَسْأَلُونِى عَنْ شَىْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ » فقام إليه رجل ؛ فقال يارسول الله من أبى ؟ فقال « أَبُوكَ حُذَافَةُ » فقام إليه شابان أخوان ، فقالا يارسول الله ، من أبونا ؟ فقال « أَبُوكُمَا الَّذِى تُدْعَيَانِ إِلَيْهِ » ثم قام إليه رجل آخر ، فقال يارسول الله : أفى الجنة أنا أم فى النار ؟ فقال « لاَ بَلْ فِى النَّارِ » فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا . فقام إليه عمر رضى الله عنه ، فقال رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا . فقال « اجْلِسْ يَاعُمَرُ رَحِمَكَ اللهُ إِنَّكَ مَا عَلِمْتَ لَمُوَفَّقٌ » وفى الحديث ، [3] نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل ، والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال . وقال صلى الله عليه وسلم [4] « يُوشِكُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا قَدْ خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ

---

(١) حديث ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلونى فلا تسألونى عن شىء الاأنبأتكم به ـ الحديث : متفق عليه مقتصرا على سؤال عبد الله بن حذافة وقول عمر ولمسلم من حديث أبى موسى فقام آخر فقال من أبى فقال أبوك سالم مولى شيبة

(٣) حديث النهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

(٤) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم

اللَّهُ الصَّمَدُ[1]) حَتَّى تَخْتِمُوا السُّورَةَ ثُمَّ لِيَتْفُلْ أَحَدُكُمْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » وقال جابر (١) ، مانزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال

وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام ، تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا[2]) فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر ، وقال (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا[3]) فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ[4]) وفارقه

فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات ، وهو من المثيرات للفتن ،فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك. وخوضهم فى حروف القرءان ، يضاهى حال من كتب الملك إليه كتابا ، ورسم له فيه أمورا ، فلم يشتغل بشيء منها ، وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث ، فاستحق بذلك العقوبة لامحالة . فكذلك تضييع العامي حدود القرءان واشتغاله بحروفه أهى قديمة أم حديثة؛ وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى. والله تعالى أعلم

---

(١) حديث جابر مانزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال رواه البزار باسناد جيد

(١) الصمد : ١، ٢ (٢ ، ٣ ، ٤) الكهف : ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات
من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لايتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون . الذى استدرج عباده من حيث لايعلمون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك مايشتهون ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون . ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لايخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون ، فقال (مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ [١]) . والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرضيين ، صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى ببركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد . فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة ، التى تطلع على الأفئدة ، وإنها لمستكنة فى طى الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد . ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد ، كاستخراج الحجر النار من الحديد . وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب ، فقد قويت فيه قرابة الشيطان ، حيث قال (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [٢]) فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظى والاستعار ، والحركة والاضطراب . ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك ، وفسد من فسد . ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد . وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ،

---

[١] يس : ٤٩ ، ٥٠ [٢] الاعراف : ١٢

فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ، ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان ، وينفيه ، ويعالجه إن رسخ فى قلبه ويداويه ، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ، ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ، مالم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر ويقصيه

ونحن نذكر ذم الغضب ، وآفات الحقد والحسد فى هذا الكتاب : ويجمعها بيان ذم الغضب ، ثم بيان حقيقة الغضب ، ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ، ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ، ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ، ثم بيان فضيلة الحلم ، ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ، ثم القول فى معنى الحقد ونتائجه ، وفضيلة العفو والرفق ، ثم القول فى ذم الحسد ، وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته ، وغاية الواجب فى إزالته ، ثم بيان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال ، والأقران ، والأخوة ، وبنى العم ، والأقارب . وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه ، ثم بيان الدواء الذى به ينفى مرض الحسد عن القلب ، ثم بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب ، وبالله التوفيق

بيان

ذم الغضب

قال الله تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ [1]) الآية ، ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة . وروى أبو هريرة [١] أن رجلا قال يارسول الله ، مرنى بعمل وأقلل . قال « لاَ تَغْضَبْ » ثم أعاد عليه فقال « لاَ تَغْضَبْ » وقال ابن عمر [٢] قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قل لى قولا وأقلله لعلى أعقله . فقال « لاَ تَغْضَبْ » فأعدت عليه مرتين ، كل ذلك يرجع إلى لا تغضب .

(كتاب الغضب والحقد والحسد)

(١) حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال لاتغضب ثم أعاد عليه فقال لاتغضب : رواه البخارى

(٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لى قولا وأقلل الحديث : نحوه أبو يعلى باسناد حسن

(١) الفتح : ٢٦

وعن عبد الله بن عمرو [١] ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماذا ينقذني من غضب الله ؟ قال « لاَ تَغْضَبْ » وقال ابن مسعود [٢] ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ؟ » قلنا الذي لا تصرعه الرجال . قال « لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنِ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » وقال أبو هريرة [٣] قال النبي صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » وقال ابن عمر [٤] قال النبي صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ » . وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى (وَسَيِّداً وَحَصُوراً [١]) قال السيد الذي لا يغلبه الغضب . وقال أبو الدرداء ، [٥] قلت يارسول الله ، دلني على عمل يدخلني الجنة . قال « لاَ تَغْضَبْ » وقال يحيى لعيسى عليهما السلام ، لا تغضب ، قال : لاأستطيع أن لا أغضب ، إنما أنا بشر . قال لا تقتن مالا ، قال هذا عسى

وقال صلى الله عليه وسلم [٦] « الْغَضَبُ يُفْسِدُ الإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٧] « مَا غَضِبَ أَحَدٌ إِلاَّ أَشْفَى عَلَى جَهَنَّمَ » وقال له رجل [٨] ، أي شيء أشد قال « غَضَبُ اللهِ » قال فما يبعدني عن غضب الله ؟ قال « لاَ تَغْضَبْ »

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبعدني من غضب الله قال لاتغضب الطبراني في مكارم الاخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وان عبد الله ابن عمرو هو السائل

(٢) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة ـ الحديث : رواه مسلم

(٣) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة ـ الحديث : متفق عليه

(٤) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته : ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان

(٥) حديث أبي الدرداء دلني على عمل يدخلني الجنة قال لاتغضب : ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والاوسط باسناد حسن

(٦) حديث الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل : الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف

(٧) حديث ماغضب أحد الاأشفى على جهنم : البزار وابن عدي من حديث ابن عباس للمارباب لايدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله واسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان

(٨) حديث قال رجل أي شيء أشد على قال غضب الله قال فمايبعدني من غضب الله قال لاتغضب : أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الاخير منه وقدتقدم قبله بست أحاديث

---

(١) آل عمران : ٣٩

الآثار. قال الحسن : يا ابن آدم ، كلما غضبت وثبت ، ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار . وعن ذى القرنين ، أنه لقى ملكا من الملائكة ، فقال علمنى علما أزداد به إيمانا ويقينا ، قال لا تغضب : فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ، فرد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة . وإياك والعجلة ، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك . وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ، ولا تكن جبارا عنيدا

وعن وهب بن منبه ، أن راهبا كان فى صومعته : فأراد الشيطان أن يضله ، فلم يستطع فجاءه حتى ناداه ، فقال له افتح فلم يجبه ، فقال افتح . فإنى إذ ذهبت ندمت ، فلم يلتفت إليه . فقال إنى أنا المسيح قال الراهب ، وإن كنت المسيح ، فما أصنع بك ؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ؟ ووعدتنا القيامة ؟ فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك . فقال إنى الشيطان ، وقد أردت أن أضلك فلم أستطع ، فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك . فقال ما أريد أن أسألك عن شىء قال : فولى مدبرا . فقال الراهب ألا تسمع ؟ قال بلى . قال أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ؟ قال الحدة . إن الرجل إذا كان حديدا ، قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة

وقال خيثمة . الشيطان يقول ، كيف يغلبنى ابن آدم : وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه ، وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه . وقال جعفر بن محمد ، الغضب مفتاح كل شر . وقال بعض الأنصار ، رأس الحمق الحدة ، وقائده الغضب . ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم ، والحلم زين ومنفعة ، والجهل شين ومضرة ، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وقال مجاهد ، قال إبليس ، ما أعجزنى بنو آدم فلن يعجزونى فى ثلاث . إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا ، وعمل لنا بما أحببنا ، وإذا غضب قال بما لا يعلم ، وعمل بما يندم . ونبخله بما فى يديه ، ونمنيه بما لا يقدر عليه . وقيل لحكيم ، ما أملك فلانا لنفسه قال إذا لا تذله الشهوة . ولا يصرعه الهوى ، ولا يغلبه الغضب . وقال بعضهم إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار . وقيل اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود : انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه . وأمانته عند طمعه . وما علمك بحلمه إذا لم يغضب ، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله : أن لا تعاقب عند غضبك على رجل فاحبسه ، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه . ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا . وقال على بن زيد ، أغلظ

رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول ، فأطرق عمر زمانا طويلا ، ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا . وقال بعضهم لابنه ، يابني ، لا يثبت العقل عند الغضب ، كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة .

أعقل الناس أقلهم غضبا

فأقل الناس غضبا أعقلهم . فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا ، وإن كان للآخرة كان حلما وعلما . فقد قيل الغضب عدو العقل ، والغضب غول العقل . وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته ، أفلح منكم من حفظ من الطمع ، والهوى ، والغضب . وقال بعضهم ، من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار . وقال الحسن : من علامات المسلم قوة في دين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وعلم في حلم ، وكيس في رفق ، وإعطاء في حق ، وقصد في غنى ، وتجمل في فاقة ، وإحسان في قدرة ، وتحمل في رفاقة ، وصبر في شدة ، لايغلبه الغضب ، ولا تجمح به الحمية . ولا تغلبه شهوة ، ولا تفضحه بطنه ، ولا يستخفه حرصه ، ولا تقصر به نيته ، فينصر المظلوم ، ويرحم الضعيف ، ولا يبخل ، ولا يبذر ، ولا يسرف ، ولا يقتر ، يغفر إذا ظلم ، ويعفو عن الجاهل ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في رخاء

وقيل لعبد الله بن المبارك ، أجمل لنا حسن الخلق في كلمة . فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه ، من يتكفل لي أن لا يغضب ، فيكون معي في درجتي ، ويكون بعدي خليفتي . فقال شاب من القوم ، أنا . ثم أعاد عليه ، فقال الشاب أنا أوفي به فلما مات كان في منزلته بعده ، وهو ذو الكفل . سمي به لأنه تكفل بالغضب ، ووفى به . وقال وهب ابن منبه : للكفر أربعة أركان ، الغضب ، والشهوة ، والخرق ، والطمع

بيان
حقيقة الغضب

طبيعة تكوين الجسم تقتضي فناءه

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان ، بأسباب في داخل بدنه ، وأسباب خارجة عنه ، أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ، ويدفع عنه الهلاك ، إلى أجل معلوم سماه في كتابه . أما السبب الداخل ، فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة ، وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة ، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة ، وتجففها ، وتبخرها ،

حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها ، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء ، يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها ، لفسد الحيوان . فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان ، وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء ، كالموكل به في جبر ما انكسر ، وسد ما انثلم ، ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب

الاسباب الخارجة عن الجسم التي تهلك فتاركه

وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان، فكالسيف، والسنان، وسائر المهلكات التي يقصد بها ، فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه ، فتدفع المهلكات عنه ، فخلق الله طبيعة الغضب من النار ، وغرزها في الإنسان ، وعجنها بطينته : فمهما صد عن غرض من أغراضه ، ومقصود من مقاصده ، اشتعلت نار الغضب ، وثارت به ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ، ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار، وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر . فلذلك ينصب إلى الوجه ، فيحمر الوجه والعين : والبشرة لصفائها ، تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم ، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها . وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه ، واستشعر القدرة عليه . فإن صدر الغضب على من فوقه ، وكان معه يأس من الانتقام ، تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب ، وصار حزنا . ولذلك يصفر اللون . وإن كان الغضب على نظير يشك فيه ، تردد الدم بين انقباض وانبساط ، فيحمر ويصفر ويضطرب

وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب : ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام . وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها ، وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها . والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها ، وفيه لذتها ، ولا تسكن إلا به

ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة ، من التفريط ، والإفراط والاعتدال . أما التفريط ، فبفقد هذه القوة أو ضعفها ، وذلك مذموم . وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له . ولذلك قال الشافعي رحمه الله ، من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا . فهو ناقص جدا . وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية ، فقال (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [1]) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ [2]) الآية . وإنما الغلظة والشدة

(1) الفتح : ٢٩ (2) التحريم : ٩

من آثار قوة الحمية ، وهو الغضب . وأما الإفراط . فهو أن تغلب هذه الصفة ، حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ، ولااختيار ، بل يصير فى صورة المضطر . وسبب غلبته أمور غريزية ، وأمور اعتيادية . فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب ، حتى كأن صورته فى الفطرة صورة غضبان . ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب ، لأن الغضب من النار ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم ، « وَإِنَّمَا بُرُودَةُ الْمِزَاجِ تُطْفِئُهُ وَتُكْسِرُ سَوْرَتَهُ »[1]

وأما الأسباب الاعتيادية ، فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفى الغيظ ، وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية ، فيقول الواحد منهم أنا الذى لاأصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ، ومعناه لاعقل فيّ ولا حلم . ثم يذكره فى معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ فى نفسه حسن الغضب ، وحب التشبه بالقوم ، فيقوى به الغضب . ومهما اشتدت نار الغضب ، وقوى اضطرامها ، أعمت صاحبها ، وأصمته عن كل موعظة ، فإذا وعظ لم يسمع ، بل زاده ذلك غضبا . وإذا استضاء بنور عقله ، وراجع نفسه ، لم يقدر . إذ ينطفىء نور العقل ، وينمحى فى الحال بدخان الغضب . فإن معدن الفكر الدماغ . ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ ، يستولى على معادن الفكر . وربما يتعدى إلى معادن الحس ، فتظلم عينه ، حتى لايرى بعينه ، وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار ، فاسود جوه ، وحمى مستقره ، وامتلأ بالدخان جوانبه ، وكان فيه سراج ضعيف فانمحى ، أو انطفأ نوره ، فلا تثبت فيه قدم ، ولايسمع فيه كلام ، ولا ترى فيه صورة ، ولا يقدر على إطفائه لامن داخل ولا من خارج ، بل ينبغى أن يصبر إلى أن يحترق جميع مايقبل الاحتراق . فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ . وربما تقوى نار الغضب ، فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب ؛ فيموت صاحبه غيظا ، كما تقوى النار فى الكهف فينشق ، وتنهد أعاليه على أسفله وذلك لإبطال النار مافى جوانبه من القوة الممسكة ، الجامعة لأجزائه . فهكذا حال القلب عند الغضب . وبالحقيقة

---

(١) حديث الغضب من النار : الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ولابى داود من حديث عطية السعدى ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار

فالسفينة فى ملتطم الأمواج ، عند اضطراب الرياح فى لجة البحر ، أحسن حالا ، وأرجى سلامة ، من النفس المضطربة غيظا . إذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها ، وينظر لها ويسوسها ، وأما القلب ، فهو صاحب السفينة ، وقد سقطت حيلته ، إذ أعماه الغضب وأصمه

أثر الغضب فى الظاهر

ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر ، تغير اللون ، وشدة الرعدة فى الأطراف ، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام ، واضطراب الحركة والكلام ، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق ، وتنقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة . ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته ، لسكن غضبه حياء من قبح صورته ، واستحالة خلقته . وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فإن الظاهر عنوان الباطن . وإنما قبحت صورة الباطن أولا ، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا ، فتغيرُ الظاهر ثمرة تغير الباطن ، فقس الثمرة بالمثمرة . فهذا أثره فى الجسد

أثره فى اللسان

وأما أثره فى اللسان ، فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام ، الذى يستحى منه ذو العقل ، ويستحى منه قائله عند فتور الغضب . وذلك مع تخبط النظم ، واضطراب اللفظ

أثره فى الأعضاء

وأما أثره على الأعضاء ، فالضرب ، والتهجم ، والتمزيق ، والقتل ، والجرح عند التمكن من غير مبالاة . فإن هرب منه المغضوب عليه ، أو فاته بسبب ، وعجز عن التشفى ، رجع الغضب على صاحبه ، فمزق ثوب نفسه ، ويلطم نفسه ، وقد يضرب بيده على الأرض ، ويعدو عدو الواله السكران ، والمدهوش المتحير ، وربما يسقط سريعا ، لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ، ويعتريه مثل الغشية ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض ، وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها ، ويتعاطى أفعال المجانين ، فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ، ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت ؟ كأنه يخاطب عاقلا ، حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ، ويقابلها بذلك

أثره فى القلب

وأما أثره فى القلب مع المغضوب عليه ، فالحقد ، والحسد ، وإضمار السوء ، والشماتة بالمساءات ، والحزن بالسرور ، والعزم على إفشاء السر ، وهتك الستر ، والاستهزاء ، وغير ذلك من القبائح . فهذه ثمرة الغضب المفرط . وأما ثمرة الحمية الضعيفة ، فقلة الأنفة مما يؤنف منه ، من التعرض للحرم ، والزوجة ، والأمة ، واحتمال الذل من الأخساء ، وصغر النفس ، والقماءة ، وهو أيضا مذموم . إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم ، وهو خنوثة

قال صلى الله عليه وسلم (١) « إنَّ سَعْداً لَغَيُورٌ وأنا أغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ وَإنَّ اللهَ أغْيَرُ مِنِّي » وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب : ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب . ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة فى رجالها ، وضعت الصيانة فى نسائها .

الغيرة من عزائم الأمور

ومن ضعف الغضب الخور ، والسكوت عند مشاهدة المنكرات . وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) « خَيْرُ أُمَّتِي أَحِدَّاؤُهَا » يعنى فى الدين . وقال تعالى (وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللهِ [1]) بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه ، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة ، حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة .

الغضب المحمود

ففقد الغضب مذموم ، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية ، وينطفىء حيث يحسن الحلم . وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده . وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (٣) « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » . فمن مال غضبه إلى الفتور ، حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله . فينبغى أن يعالج نفسه ، حتى يقوى غضبه . ومن مال غضبه إلى الإفراط ، حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش ، فينبغى أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين ، فهو الصراط المستقيم ، وهو أرق من الشعرة ، وأحد من السيف . فإن عجز عنه ، فليطلب القرب منه قال تعالى (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ [2]) فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ، ينبغى أن يأتى بالشر كله . ولكن بعض الشر أهون من بعض ، وبعض الخير أرفع من بعض

فهذه حقيقة الغضب ودرجاته ، نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه ، إنه على ما يشاء قدير

---

(١) حديث ان سعد الغيور ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه وتقدم فى النكاح

(٢) حديث خير أمتى احداؤها : الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث على بسند ضعيف وزاد الذين اذا غضبوا رجعوا

(٣) حديث خير الامور أوساطها : البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم

---

[1] النور : ٢ [2] النساء : ١٢٩

بيان

الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية ، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد . وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج ، وهذا رأى من يظن أن الخُلُق كالخَلْق وكلاهما لا يقبل التغيير . وكلا الرأيين ضعيف . بل الحق فيه ما نذكره ، وهو أنه ما بقى الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً ، فلا يخلو من الغيظ والغضب . وما دام يوافقه شيء ، ويخالفه آخر . فلا بد من أن يحب ما يوافقه ، ويكره ما يخالفه : والغضب يتبع ذلك . فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة . وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة . إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام

أقسام ما يحبه الإنسان

الضرورات

الأول : ما هو ضرورة فى حق الكافة ، كالقوت ، والمسكن ، والملبس ، ، وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح ، فلابد وأن يغضب . وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذى يستر عورته ، وكذلك إذا أخرج من داره التى هى مسكنه ، أو أريق ماؤه الذى لعطشه . فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ؛ ومن غيظ على من يتعرض لها

الكماليات

القسم الثانى : ما ليس ضروريا لأحد من الخلق ، كالجاه : والمال الكثير ، والغلمان والدواب . فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة ، والجهل بمقاصد الأمور ، حتى صار الذهب والفضة محبوبين فى أنفسهما فيكنزان ؛ ويغضب على من يسرقهما . وإن كان مستغنيا عنهما فى القوت . فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه . فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه ، فهدمها ظالم ، فيجوز أن لا يغضب . إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا ، فيزهد فى الزيادة على الحاجة ، فلا يغضب بأخذها ، فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها ؛ وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضرورى ؛ كالجاه ، والصيت ، والتصدر فى المجالس ، والمباهاة فى العلم . فمن غلب هذا الحب عليه ، فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل . ومن لا يحب ذلك

فلا يبالى ولو جلس فى صف النعال ، فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه . وهذه العادات الرديئة هى التى أكثرت محاب الإنسان ومكارهه ، فأكثرت غضبه . وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر ، كان صاحبها أحط رتبة وأنقص . لأن الحاجة صفة نقص . فهما كثرت كثر النقص . والجاهل أبدا جهده فى أن يزيد فى حاجاته وفى شهواته ، وهو لا يدرى أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن ، حتى ينتهى بعض الجهال بالعادات الرديئه ، ومخالطة قرناء السوء : إلى أن يغضب لو قيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور ، واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير ، وتناول الطعام الكثير ، وما يجرى مجراه من الرذائل . فالغضب على هذا الجنس ليس بضرورى ، لأن حبه ليس بضرورى

الضرورات فى حق البعض دون البعض

القسم الثالث : ما يكون ضروريا فى حق بعض الناس دون البعض . الكتاب ، مثلا فى حق العالم ، لأنه مضطر إليه فيحبه ، فيغضب على من يحرقه ويغرقه . وكذلك أدوات الصناعات فى حق المكتسب : الذى لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها . فإن ما هو وسيلة إلى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا . وهذا يختلف بالأشخاص . وإنما الحب الضرورى ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله [1] « مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِى سِرْبِهِ مُعَافًى فِى بَدَنِهِ وَلَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا » ومن كان بصيرا بحقائق الأمور ، وسلم له هذه الثلاثة ، يتصور : أن لا يغضب فى غيرها

فهذه ثلاثة أقسام ، فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها

تهذيب الغضب لفوات الضرورات

أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ، ولكن لكى يقدر على أن لا يطيع الغضب ، ولا يستعمله فى الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ، ويستحسنه العقل . وذلك ممكن بالمجاهدة : وتكلف الحلم والاحتمال مدة ، حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا . فأما قمع أصل الغيظ من القلب ، فذلك ليس مقتضى الطبع ، وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه ، حتى لا يشتد هيجان الغيظ فى الباطن . وينتهى ضعفه إلى أن لا يظهر أثره فى الوجه . ولكن ذلك شديد جدا . وهذا حكم القسم الثالث أيضا

(١) حديث من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها : الترمذى وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله بحذا فيرها قال الترمذى حسن غريب

لأن ما صار ضروريا فى حق شخص ، فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه . فالرياضة فيه تمنع العمل به ، وتضعف هيجانه فى الباطن ، حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه

تهذيب الغضب بفوات الكماليات

وأما القسم الثانى : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه ، إذ يمكن إخراج حبه من القلب . وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ، ومستقره الآخرة ، وإن الدنيا معبر يعبر عليها ، ويتزود منها قدر الضرورة ، وما وراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا ، ويمحو حبها عن قلبه . ولو كان للإنسان كلب لا يحبه ، لا يغضب إذا ضربه غيره . فالغضب تبع للحب . فالرياضة فى هذا تنتهى إلى قمع أصل الغضب ، وهو نادر جدا وقد تنتهى إلى المنع من استعمال الغضب ، والعمل بموجبه ، وهو أهون

فإن قلت : الضرورى من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب . فمن له شاة مثلا وهى قوته ، فماتت ، لا يغضب على أحد ، وإن كان يحصل فيه كراهة . وليس من ضرورة كل كراهة غضب ، فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ، ولا يغضب على الفصاد والحجام . فمن غلب عليه التوحيد ، حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه : فلا يغضب على أحد من خلقه ، إذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته ، كالقلم فى يد الكاتب ، ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ، فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته ، كما لا يغضب على موتها ، إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل ، فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ، ويندفع أيضا بحسن الظن بالله ، وهو أن يرى أن الكل من الله ، وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة فى مرضه ، وجوعه ، وجرحه وقتله : فلا يغضب ، كما لا يغضب على الفصاد والحجام ، لأنه يرى أن الخيرة فيه . فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد ، إنما تكون كالبرق الخاطف ، تغلب فى أحوال مختطفة ولا تدوم ، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط ، رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه . ولو تصور ذلك على الدوام لبشر ، لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فإنه كان يغضب

---

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه : مسلم من حديث جابر كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه وللحاكم كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم فى أخلاق النبوة

حتى تحمر وجنتاه ، حتى قال (١) « اللَّهُمَّ أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ ضَرَبْتُهُ فَاجْعَلْهَا مِنِّي صَلَاةً عَلَيْهِ وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ، (٢) يارسول الله : أكتب عنك كل ماقلت فى الغضب والرضا ؟ فقال « اُكْتُبْ فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ » وأشار إلى لسانه . فلم يقل إنى لاأغضب . ولكن قال إن الغضب لايخرجنى عن الحق ، أى لاأعمل بموجب الغضب . وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « مَالَكِ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ » فقالت ومالك شيطان ؟ قال « بَلَى وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِالْخَيْرِ » ولم يقل لاشيطان لى . وأراد شيطان الغضب : لكن قال لايحملنى على الشر . وقال علي رضي الله عنه ، (٤) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايغضب للدنيا . فإذا أغضبه الحق ، لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء ، حتى ينتصر له . فكان يغضب على الحق ، وإن كان غضبه لله : فهو التفات إلى الوسائط على الجملة

بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته ، التى لا بد له فى دينه منها ، فإنما غضب لله ، فلا يمكن الانفكاك عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضرورى ، إذا كان القلب مشغولا بضرورى أهم منه ، فلا يكون فى القلب متسع للغضب ، لاشتغاله بغيره ، فإن استغراق القلب ببعض المهمات ، يمنع الاحساس بما عداه : وهذا كما أن سلمان لما شتم قال ، إن خفت موازينى فأنا شر مما تقول : وإن ثقلت موازينى لم يضرنى ماتقول . فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة ، فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال ياهذا ، قد سمع الله كلامك ، وإن دون الجنة عقبة ، إن قطعتها لم يضرنى ما تقول ،

---

(١) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر ـ الحديث : مسلم من حديث أبى هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلدته بدل ضربته وفى رواية اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وتقدم ولمسلم من حديث أنس انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبى يعلى من حديث أبى سعيد أوضربته

(٢) حديث عبد الله بن عمرو يارسول الله أكتب عنك كل ماقلت فى الغضب والرضا قال اكتب فوالذى بعثنى بالحق مايخرج منه الاحق وأشار الى لسانه : أبوداود بنحوه

(٣) حديث غضبت عائشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك ـ الحديث : مسلم من حديث عائشة

(٤) حديث علي كان لايغضب للدنيا ـ الحديث : الترمذى فى الشمائل وقد تقدم

وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه ، فقال ماستر الله عنك أكثر . فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق تقاته ، ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان ، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان . وذلك لجلالة قدره . وقالت امرأة لمالك بن دينار ' يا مرائى . فقال ماعرفنى غيرك . فكأنه كان مشغولا بأن ينفى عن نفسه آفة الرياء ، ومنكرا على نفسه مايلقيه الشيطان إليه ، فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعبى فقال ، إن كنت صادقا فغفر الله لى ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك

فهذه الأقاويل دالة فى الظاهر على أنهم لم يغضبوا ، لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم . ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر فى قلوبهم ، ولكنهم لم يشتغلوا به ، واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم . فإذاً اشتغال القلب ببعض المهمات ، لايبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب . فإذاً يتصور فقد الغيظ : إما باشتغال القلب بمهم ، أو بغلبة نظر التوحيد ، أو بسبب ثالث ، وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لايغتاظ ، فيطفىء شدة حبه لله غيظه ، وذلك غير محال فى أحوال نادرة ' وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محوُ حب الدنيا عن القلب ، وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ، كما سيأتى فى كتاب ذم الدنيا . ومن أخرج حب المزايا عن القلب ، تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لايمكن محوه ، يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ، ويهون دفعه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه ، إنه على كل شىء قدير ، والحمد لله وحده .

بيان

الأسباب المهيجة للغضب

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها ، وإزالة أسبابها . فلابد من معرفة أسباب الغضب . وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام ، أي شيء أشد؟ قال غضب الله . قال فما يقرب من غضب الله؟ قال أن تغضب ، قال فما يبدى الغضب وما ينبته؟ قال عيسى الكبر ، والفخر ، والتعزز ، والحمية

والأسباب المهيجة للغضب ، هى الزهو : والعجب ، والمزاح ، والهزل ، والهزء والتعيير والمماراة . والمضادة ، والغدر ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهى بأجمعها أخلاق

رديئة مذمومة شرعا ، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب ؛ فلابد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها . فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع ، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك ، كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب ، وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا ، فبنو آدم جنس واحد ، وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك . فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك ، من حيث البنية والنسب ، والأعضاء الظاهرة والباطنة

وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة ، والعلوم الدينية ، التي تبلغك إلى سعادة الآخرة . وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس ، وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح ، وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة ، طلبا لعز الاستغناء، وترفعا عن ذل الحاجة . وكل خلق من هذه الأخلاق ، وصفة من هذه الصفات ؛ يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة . وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها ، لترغب النفس عنها ، وتنفر عن قبحها . ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة ، حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس . فإذا انمحت عن النفس ، فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل ، وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها . ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال ، تسميتهم الغضب شجاعة ، ورجولية ، وعزة نفس ، وكبر همة ؛ وتلقيبه بالألقاب المحمودة ، غباوة وجهلا ، حتى تميل النفس إليه وتستحسنه . وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر ، في معرض المدح بالشجاعة . والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه . وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل ، بل هو مرض قلب ، ونقصان عقل ، وهو لضعف النفس ونقصانها . وآية أنه لضعف النفس ، أن المريض أسرع غضبا من الصحيح ، والمرأة أسرع غضبا من الرجل ، والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل ، وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا

من صاحب الفضائل . فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ، ولبخله إذا فاتته الحبة ، حتى أنه يغضب على أهله وولده وأصحابه . بل القوى من يملك نفسه عند الغضب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو ، وما استحسن منهم من كظم الغيظ ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء ، والحكماء والعلماء ، وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك ؟ والجهلة والأغبياء ، الذين لا عقول لهم ، ولا فضل فيهم

بيان

علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب ؛ وقطع لأسبابه حتى لا يهيج . فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت ، حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم . وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور

رجاء ثواب كظم الغيظ

الأول : أن يتفكر فى الأخبار التى سنوردها ، فى فضل كظم الغيظ ؛ والعفو ، والحلم ، والاحتمال ، فيرغب فى ثوابه ؛ فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام وينطفىء عنه غيظه . قال مالك بن أوس بن الحدثان ، غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ[1]) فكان عمر يقول (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ[2]) فكان يتأمل فى الآية ، وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلى عليه ، كثير التدبر فيه ، فتدبر فيه ، وخلى الرجل . وأمر عمر ابن عبد العزيز بضرب رجل ، ثم قرأ قوله تعالى (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ[3]) فقال لغلامه خل عنه

الخوف من الله تعالى

الثانى : أن يخوف نفسه بعقاب الله ، وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبى عليه ، لم آمن أن يمضى الله غضبه علىّ يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو ، فقد قال تعالى فى بعض الكتب القديمة ، يا ابن آدم ، اذكرنى حين

---

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

(١) و(٢) الاعراف : ١٩٩ (٣) آل عمران : ١٣٤

تغضب، أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفاً إلى حاجة، فأبطأ عليه، فلما جاء قال[1] « لَوْلاَ ٱلْقِصَاصُ لَأَوْجَعْتُكَ » أي القصاص في القيامة. وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم: إذا غضب أعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين، واخش الموت: واذكر الآخرة، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه

الحذر من الاكثار من الأعداء

الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام، وتشمر العدو لمقابلته، والسعي في هدم أغراضه: والشماتة بمصائبه، وهو لا يخلو عن المصائب: فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا، إن كان لا يخاف من الآخرة. وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب، وليس هذا من أعمال الآخرة، ولا ثواب عليه، لأنه متردد على حظوظه العاجلة، يقدم بعضها على بعض، إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل، وما يعينه على الآخرة، فيكون مثابا عليه

التذكر مع صورة الغضبان

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب، بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه، ومشابهة صاحبه للكلب الضاري، والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب، للأنبياء والأولياء، والعلماء والحكماء: ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس، وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء، إن كان قد بقي معه مسكة من عقل

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب. مثل قول الشيطان له، إن هذا يحمل منك على العجز، وصغر النفس والذلة، والمهانة، وتصير حقيرا في أعين الناس. فيقول لنفسه، ما أعجبك! تأنفين من الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح، إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه! وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين! فهما كظم الغيظ. فينبغي أن يكظمه لله، وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس، وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن. أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله. فلا يقوم إلا من عفا. فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يقرره على قلبه.

(١) حديث لولا القصاص لاوجعتك: أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله ، لا على وفق مراده. فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه

وأما العمل ، فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] أن يقال عند الغيظ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [٢] إذا غضبت عائشة ، أخذ بأنفها وقال « يَاعُوَيْشُ قُولِي اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ » فيستحب أن تقول ذلك

الجلوس والاضطجاع عند الغضب

فإن لم يزل بذلك ،فاجلس إن كنت قائما ، واضطجع إن كنت جالسا ، واقرب من الأرض التي منها خلقت ، لتعرف بذلك ذل نفسك . واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون، فإن سبب الغضب الحرارة ؛ وسبب الحرارة الحركة . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي الْقَلْبِ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ؟ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ وَإِنْ كَانَ جَالِسًا فَلْيَنَمْ »

الوضوء عند الغضب

فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل ، فإن النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم [٤] « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ بِالْمَاءِ فَإِنَّمَا الْغَضَبُ مِنَ النَّارِ » وفي رواية « إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ

---

(١) حديث الامر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ :متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه ـ الحديث : وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه مايجد فقالوا له ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ الحديث :

(٢) حديث كان اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال ياعويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي ـ الحديث : ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والدعوات

(٣) حديث ان الغضب جمرة توقد في القلب ـ الحديث : الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب

(٤) حديث اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد ـ الحديث : أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم

بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ » وقال ابن عباس[١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ » وقال أبو هريرة[٢]، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب وهو قائم جلس ؛ وإذا غضب وهو جالس اضطجع ، فيذهب غضبه . وقال أبو سعيد الخدرى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم[٣] « أَلاَ إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَلْيُلْصِقْ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ » وكان هذا إشارة إلى السجود ، وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل ، وتزايل به العزة والزهو الذى هو سبب الغضب

السجود لله مذهب للغضب

وروى أن عمر غضب يوما ؛ فدعا بماء فاستنشق وقال : إن الغضب من الشيطان ، وهذا يذهب الغضب . وقال عروة بن محمد ، لما استعملت على اليمن ، قال لى أبى ، أوليت ؟ قلت نعم . قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، وإلى الأرض تحتك ، ثم عظم خالقهما

وروى أن أباذر قال لرجل ياابن الحمراء ، فى خصومة بينهما . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال[٤] « يَا أَبَا ذَرٍّ بَلَغَنِي أَنَّكَ الْيَوْمَ عَيَّرْتَ أَخَاكَ بِأُمِّهِ » فقال نعم . فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه ، فسبقه الرجل فسلم عليه ، فذكر ذلك لرسول الله

---

(١) حديث ابن عباس اذا غضبت فاسكت: احمد وابن ابى الدنيا والطبرانى واللفظ لهما والبيهقى فى شعب الايمان وفيه ليث بن أبى سليم

(٢) حديث أبى هريرة كان اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبى الدنيا وفيه من لم يسم ولأحمد باسناد جيد فى اثناء حديث فيه وكان أبوذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع والمرفوع عند أبى داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الاسود

(٣) حديث أبى سعيد ألا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ـ الحديث : الترمذى وقال حسن

(٤) حديث أبى ذر أنه قال لرجل ياأبا الحمراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ـ الحديث: وفيه فقال يا أباذر ارفع رأسك فانظر ـ الحديث : وفيه ثم قال اذا غضبت الى آخره ابن أبى الدنيا فى العفو وذم الغضب باسناد صحيح وفى الصحيحين من حديثه قال كان بينى وبين رجل من إخوانى كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكانى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأباذر إنك إمرؤ فيك جاهلية ولأحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات

صلى الله عليه وسلم فقال « يَا أَبَا ذَرٍّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَانْظُرْ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّكَ لَسْتَ بِأَفْضَلَ مِنْ أَحْمَرَ فِيهَا وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ تَفْضُلَهُ بِعَمَلٍ » ثم قال « إِذَا غَضِبْتَ فَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاقْعُدْ وَإِنْ كُنْتَ قَاعِدًا فَاتَّكِئْ وَإِنْ كُنْتَ مُتَّكِئًا فَاضْطَجِعْ »

وقال المعتمر بن سليمان : كان رجل ممن كان قبلكم ،يغضب فيشتد غضبه. فكتب ثلاث صحائف ، وأعطى كل صحيفة رجلا . وقال للأول . إذا غضبت فأعطني هذه . وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه . وقال للثالث . إذا ذهب غضبي فأعطني هذه . فاشتد غضبه يوما ، فأعطى الصحيفة الأولى ، فإذا فيها ، ماأنت وهذا الغضب ، إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا . فسكن بعض غضبه ، فأعطي الثانية ، فإذا فيها ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء . فأعطى الثالثة ،فإذا فيها ،خذ الناس بحق الله ، فإنه لايصلحهم إلا ذلك . أى لاتعطل الحدود . وغضب المهدى على رجل ، فقال شبيب لاتغضب لله بأشد من غضبه لنفسه ، فقال خلوا سبيله

فضيلة
كظم الغيظ

قال الله تعالى (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ [1]) وذكر ذلك فى معرض المدح .وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى رَبِّهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَشَدُّكُمْ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَأَحْلَمُكُمْ مَنْ عَفَا عِنْدَ الْقُدْرَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم

الأحاديث الدالة على فضيلة كظم الغيظ

﴿ فضيلة كظم الغيظ ﴾

(١) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه ـ الحديث : الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الايمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه ـ الحديث : وقد تقدم فى آفات اللسان

(٢) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة : ابن أبي الدنيا من حديث على بسند ضعيف والبيهقي فى الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلا باسناد جيد وللبزار والطبراني فى مكارم الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه

[1] آل عمران : ١٣٤

(١) « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ لَأَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًا » وفى رواية « مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا » وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « مَاجَرَعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى » وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، (٣) قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ لِجَهَنَّمَ بَابًا لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ شَفَى غَيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « مَامِنْ جُرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ وَمَا كَظَمَهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ وَيُخَيِّرُهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ »

الآثار الواردة فى كظم الغيظ

الآثار: قال عمر رضى الله عنه . من اتقى الله لم يشف غيظه ، ومن خاف الله لم يفعل مايشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون . وقال لقمان لابنه . يابنى : لاتذهب ماء وجهك بالمسألة ، ولا تشف غيظك بفضيحتك ، واعرف قدرك تنفعك معيشتك . وقال أيوب : حلم ساعة يدفع شرا كثيرا : واجتمع سفيان الثورى ، وأبو خزيمة اليربوعى ، والفضيل ابن عياض ، فتذاكروا الزهد ، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب ، والصبر عند الجزع . وقال رجل لعمر رضي الله عنه ، والله ما تقضى بالعدل ، ولا تعطى الجزل . فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه ، فقال له رجل ياأمير المؤمنين ، ألا تسمع أن الله تعالى

---

(١) حديث من كظم غيظا ولوشاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية أمنا وإيمانا ابن أبى الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبى سراج تكلم فيه ابن حبان وأبوداود بالرواية الثانية من حديث رجل من ابناء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواها ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة وفيه من لم يسم

(٢) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله: ابن ماجه

(٣) حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لايدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله: تقدم فى آفات اللسان

(٤) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا: ابن ابى الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابى الذى لم يسم وقد تقدما

(٥) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق حتى يخير من أى الحورشاء: تقدم فى آفات اللسان

يقول . (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١)) فهذا من الجاهلين . فقال عمر صدقت . فكأنما كانت نارا فأطفئت . وقال محمد بن كعب . ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ، إذا رضى لم يدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، وإذا قدر لم يتناول ماليس له . وجاء رجل إلى سلمان ، فقال ياعبد الله أوصنى . قال: لا تغضب . قال لا أقدر . قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك :

بيان

فضيلة الحلم

كيفية الوصول إلى الحلم

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم ، أى تكلف الحلم ، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة . ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ . وإن هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى ، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه ، انكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا . قال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ وَمَنْ يَتَخَيَّرِ الْخَيْرَ يُعْطَهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ » وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه ، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم

الأحاديث فى فضيلة الحلم

وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ لِينُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَيَغْلِبَ جَهْلُكُمْ حِلْمَكُمْ » أشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر ، هو الذى يهيج

(فضيلة الحلم)

(١) حديث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم - الحديث : الطبرانى والدار قطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

(٢) حديث أبى هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم - الحديث : ابن السنى فى رياضة المتعلمين بسند ضعيف

---

(١) الاعراف : ١١٩

الغضب ويمنع من الحلم واللين. وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم [(١)] « اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَزَيِّنِّي بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنِي بِالْعَافِيَةِ » وقال أبو هريرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم [(٢)] « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللهِ » قالوا وما هي يارسول الله؟ قال « تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَحْلُمُ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْكَ »

وقال صلى الله عليه وسلم [(٣)] « خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحَيَاءُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَامَةُ وَالسِّوَاكُ وَالتَّعَطُّرُ » وقال علي كرم الله وجهه: [(٤)] قال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ لَيُدْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَإِنَّهُ لَيُكْتَبُ جَبَّاراً عَنِيداً وَلاَ يَمْلِكُ إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِهِ » وقال أبو هريرة، [(٥)] إن رجلا قال يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، ويجهلون عليّ وأحلم عنهم. قال « إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ* وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ مَادُمْتَ عَلَى ذَلِكَ » الملّ يعني به الرمل.

[(٦)] وقال رجل من المسلمين، اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة. فأوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أني قد غفرت له

---

(١) حديث كان من دعائه اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية: لم أجد له أصلا

(٢) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي قال تصل من قطعك ـ الحديث: الحاكم والبيهقي وقد تقدم

(٣) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والعلم والحجامة والسواك والتعطر: أبو بكر بن أبي عاصم في المثاني والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح

(٤) حديث علي ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم ـ الحديث: الطبراني في الأوسط بسند ضعيف

(٥) حديث أبي هريرة ان رجلا قال يارسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون الي ويجهلون علي وأحلم عنهم ـ الحديث رواه مسلم

(٦) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه ـ الحديث: أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد ابن أبي عبس بن جبر عن ابيه عن جده باسنادلين زاد البيهقي عن علية بن زيد وعلية هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب انه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبا ضمضم قلت وليس بأبي ضمضم انما هو علية بن زيد وأبو ضمضم ليس له صحبة وانما هو متقدم

---

* تسفهم الملّ: يعني تجعل وجوههم كلون الرماد

وقال صلى الله عليه وسلم[(1)] « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟» قالوا وما أبو ضمضم؟ قال « رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إنى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى » . وقيل فى قوله تعالى (ربانيين[(1)]) أى حلماء علماء .

وعن الحسن فى قوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما[(2)]) قال حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا . وقال عطاء بن أبى رباح (يمشون على الأرض هونا[(3)]) أى حلما . وقال ابن أبى حبيب فى قوله عز وجل (وكهلا[(4)]) قال الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد (وإذا مروا باللغو مروا كراما[(5)]) أى إذا أوذوا صفحوا[(2)] . وروى أن ابن مسعود مر بلغو معرضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » ثم تلا إبراهيم ابن ميسرة ، وهو الرواى ، قوله تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراما[(6)]) وقال النبى صلى الله عليه وسلم[(3)] « اللهم لا يدركنى ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب » وقال صلى الله عليه وسلم[(4)] « ليلينى منكم ذوو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات* الأسواق » . وروى أنه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم الأشج ، فأناخ راحلته ثم عقلها ، وطرح عنه ثوبين كانا عليه ، وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما ، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ، ثم أقبل يمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام[(5)] « إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله »

---

(١) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كابى ضمضم ـ الحديث : تقدم فى آفات اللسان

(٢) حديث ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك فى البر والصلة

(٣) حديث اللهم لا يدركنى ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم ـ الحديث: أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف

(٤) حديث ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى ـ الحديث : مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهى عند أبى داود والترمذى وحسنه وهى عند مسلم فى حديث آخر لابن مسعود

(٥) حديث يا أشج ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة ـ الحديث : متفق عليه

---

(١) آل عمران : ٧٩ ، (٢) الفرقان : ٦٣ (٣) ، (٤) آل عمران : ٤٦ ، (٥) ، (٦) الفرقان : ٧٢

*الهيشات : الفتن

قال ماهما بأبي أنت وأمي يارسول الله ؟ قال « الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ » فقال خلتان تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما ؟ فقال « بَلْ خُلُقَانِ جَبَلَكَ اللهُ عَلَيْهِمَا » فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله . وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْحَلِيمَ الْحَيِيَّ الْغَنِيَّ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ التَّقِيَّ وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ الْغَبِيَّ »

وقال ابن عباس ، [2] قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثَلاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَلا تَعْتَدُّوا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ تَقْوَى تَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحِلْمٌ يَكُفُّ بِهِ السَّفِيهَ وَخُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] « إِذَا جَمَعَ اللهُ الْخَلائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ ؟ فَيَقُومُ نَاسٌ وَهُمْ يَسِيرٌ فَيَنْطَلِقُونَ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ فَيَقُولُونَ لَهُمْ إِنَّا نَرَاكُمْ سِرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ الْفَضْلِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ مَا كَانَ فَضْلُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ كُنَّا إِذَا ظُلِمْنَا صَبَرْنَا وَإِذَا أُسِيءَ إِلَيْنَا عَفَوْنَا وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْنَا حَلُمْنَا فَيُقَالُ لَهُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ »

الآثار الواردة في فضل الحلم

الآثار : قال عمر رضي الله عنه . تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم . وقال علي رضي الله عنه . ليس الخير إن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، ويعظم حلمك وأن لا تباهي الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى ، وقال الحسن اطلبوا العلم ، وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكثم بن صيفي : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر . وقال ابو الدرداء : أدركت الناس ورقا لا شوك فيه ، فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ، إن عرفتهم نقدوك ، وإن تركتهم لم يتركوك . قالوا كيف نصنع ؟ قال تقرضهم عن عرضك ليوم فقرك . وقال علي رضي الله عنه : إن أول ما عوض الحليم من حلمه ، أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى ، لا يبلغ العبد مبلغ الرأي ،

---

(١) حديث ان الله يحب الحيي الحليم الغني المتعفف ـ الحديث : الطبراني من حديث سعد أن الله يحب العبد التقي الغني الخفي

(٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الايجاز باسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة باسنادلين وقد تقدم في آداب الصحبة

(٣) حديث اذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس ـ الحديث : وفيه اذا جهل علينا حلمنا البيهقي في شعب الايمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في اسناده ضعف

حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته . ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمرو ابن الأهتم ، أي الرجال أشجع ؟ قال من رد جهله بحلمه . قال أي الرجال أسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه . وقال أنس بن مالك ، في قوله تعالى (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [1]) إلى قوله (عَظِيمٍ [2]) هو الرجل يشتمه أخوه ، فيقول إن كنت كاذبا فغفر الله لك ، وإن كنت صادقا فغفر الله لي .

وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة ، فحلم علي ، فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعرابة بن أوس ، بم سدت قومك يا عرابة ؟ قال يا أمير المؤمنين ، كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حوائجهم . فمن فعل فعلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما ، فلما فرغ ، قال يا عكرمة ، هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحى . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ، أشهد أنك من الفاسقين . فقال ليس تقبل شهادتك .

وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم : أنه سبه رجل ، فرمى إليه بخميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم . فقال بعضهم ، جمع له خمس خصال محمودة ، الحلم ، وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل ، وحمله على الندم والتوبة ، ورجوعه إلى مدح بعد الذم . اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير . وقال رجل لجعفر بن محمد ، إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر ، وإني أريد أن أتركه ، فأخشى أن يقال لي إن تركك له ذل . فقال جعفر : إنما الذليل الظالم . وقال الخليل بن أحمد ، كان يقال من أساء فأحسن إليه ، فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته . وقال الأحنف بن قيس ، لست بحليم ، ولكنني أتحلم . وقال وهب بن منبه ، من يرحم يُرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يجهل يُغلب ، ومن يعجل يخطىء ، ومن يحرص على الشر لا يسلم ، ومن لا يدع المراء يشتم ، ومن لا يكره الشر يأثم . ومن يكره الشر يُعصم ومن يتبع وصية الله يُحفظ ومن يحذر الله يأمن ، ومن يتول الله يمنع ، ومن لا يسأل الله يفتقر ، ومن يأمن مكر الله

حلم علي بن الحسين

حكم غالية لابن منبه

(٢،١) فصلت : ٣٤ و ٣٥

يخذل : ومن يستعن بالله يظفر . وقال رجل لمالك بن دينار ، بلغنى أنك ذكرتنى بسوء قال أنت إذاً أكرم علىّ من نفسي . إنى إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتى . وقال بعض العلماء : الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تعالى تسمى به . وقال رجل لبعض الحكماء ، والله لأسبنك سبا يدخل معك فى قبرك ، فقال معك يدخل لا معى . ومر المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود ، فقالوا له شرا ، فقال لهم خيرا . فقيل له إنهم يقولون شرا ، وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده . وقال لقمان ، ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة ، لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه

ودخل على بعض الحكماء صديق له ، فقدم إليه طعاما ، فخرجت امرأة الحكيم ، وكانت سيئة الخلق ، فرفعت المائدة ، وأقبلت على شتم الحكيم . فخرج الصديق مغضبا . فتبعه الحكيم وقال له ، تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم ، فسقطت دجاجة على المائدة ، فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا . قال نعم . قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة . فسرى عن الرجل غضبه وانصرف ، وقال صدق الحكيم ، الحلم شفاء من كل ألم . وضرب رجلا قدم حكيم فأوجعه ، فلم يغضب . فقيل له فى ذلك . فقال أقمته مقام حجر تعثرت به . فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت عن ... إجابته عرضى وإن لام لائم
وأما الذى مثلى فإن زل أوهفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

بيان

القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله . فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ، ولا السب بالسب ، وكذلك سائر المعاصى . وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به ، وقد فصلناه فى الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله ،

إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « إِنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِمَا فِيكَ فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِمَا فِيهِ » وقال « الْمُسْتَبَّانِ مَاقَالاَ فَهُوَ عَلَى الْبَادِىءِ مَالَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ » وقال [٢] « الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ » وشتم رجل [٣] أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو ساكت . فلما ابتدأ ينتصر منه ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبو بكر ، إنك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت ؟ قال « لِأَنَّ الْمَلَكَ كَانَ يُجِيبُ عَنْكَ فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ ذَهَبَ الْمَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ »

أمثلة مما يجوز الرد على الشاتم به

وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه ، والأفضل تركه ، ولكنه لايعصى به . والذي يرخص فيه ، أن تقول من أنت ؟ وهل أنت إلا من بنى فلان ؟ كما قال سعد لابن مسعود : وهل أنت إلا من بنى هذيل ؟ وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى أمية ؟ ومثل قوله ياأحمق . قال مطرف : كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه ، إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض وقال ابن عمر [٤] فى حديث طويل ، حتى ترى الناس كلهم حمقى فى ذات الله تعالى

وكذلك قوله ياجاهل : إذ مامن أحد إلا وفيه جهل ، فقد آذاه بما ليس بكذب

وكذلك قوله ياسيىء الخلق ، ياصفيق الوجه ، ياثلابا للأعراض ، وكان ذلك فيه .

وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت ، وما أحقرك فى عينى بما فعلت ، وأخزاك الله وانتقم منك . فأما النميمة ، والغيبة ، والكذب ، وسب الوالدين ، فحرام بالاتفاق

دليل جواز الرد على الشاتم

لما روى أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام ، فذكر رجل خالدا عند سعد ، فقال سعد مه ، إن مابيننا لم يبلغ ديننا . يعنى أن يأثم بعضنا فى بعض . فلم يسمع السوء ، فكيف يجوز له أن يقوله . والدليل على جواز ماليس بكذب ولا حرام ، كالنسبة إلى الزنا

---

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه : أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم

(٢) حديث المستبان شيطانان يتهاتران : تقدم

(٣) حديث شتم رجل أبابكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم — الحديث : أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخارى المرسل أصح

(٤) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى في ذات الله عز وجل : تقدم في العلم

والفحش والسب ، ماروت عائشة رضي الله عنها ،[1] أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة : فجاءت فقالت يارسول الله ، أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، والنبي صلى الله عليه وسلم نائم ، فقال « يَا بُنَيَّةُ أَتُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ ؟ » قالت نعم . قال « فَأَحِبِّي هَذِهِ » فرجعت إليهن ، فأخبرتهن بذلك ، فقلن ماأغنيت عنا شيئا . فأرسلن زينب بنت جحش ، قالت وهي التي كانت تساميني في الحب ، فجاءت فقالت ، بنت أبي بكر ، وبنت أبي بكر ، فما زالت تذكرني وأنا ساكتة ، أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب ، فأذن لي . فسببتها حتى جف لساني . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كَلاَّ إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ » يعني أنك لاتقاومينها في الكلام قط . وقولها سببتها ليس المراد به الفحش ، بل هو الجواب عن كلامها بالحق ، ومقابلتها بالصدق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم[2] « الْمُسْتَبَّانِ مَاقَالاَ فَعَلَى الْبَادِىءِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ » فأثبت المظلوم انتصارا إلى أن يعتدى . فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء ، وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ، ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ، ولكن الأفضل تركه ، فإنه يجره إلى ماوراءه ، ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه . والسكوت عن أصل الجواب ، لعله أيسر من الشروع في الجواب ، والوقوف على حد الشرع فيه . ولكن من الناس من لايقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ، ولكن يعود سريعا ، ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام

درجات الناس في الغضب

والناس في الغضب أربعة ، فبعضهم كالحلفاء ، سريع الوقود سريع الخمود . وبعضهم كالغضا : بطيء الوقود بطيء الخمود : وهذا هو بطيء الوقود سريع الخمود ، وهو الأحمد ، مالم ينته إلى فتور الحمية والغيرة . وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود ، وهذا هو شرهم . وفي الخبر[3] « الْمُؤْمِنُ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الرِّضَا » فهذه بتلك . وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان .

---

(١) حديث عائشة ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يارسول الله أرسلني أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ــ الحديث : رواه مسلم

(٢) حديث المستبان ماقالا فعلى البادىء ــ الحديث : رواه مسلم وقد تقدم

(٣) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى : تقدم

وقد قال أبو سعيد الخدري[1]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى فَمِنْهُمْ بَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ ، وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ ، فَتِلْكَ بِتِلْكَ وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ بَطِيءُ الْفَيْءِ أَلاَ وَإِنَّ خَيْرَهُمُ الْبَطِيءُ الْغَضَبِ السَّرِيعُ الْفَيْءِ وَشَرَّهُمُ السَّرِيعُ الْغَضَبِ الْبَطِيءُ الْفَيْءِ »

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان ، وجب على السلطان أن لا يعاقب أحدا في حال غضبه ؛ لأنه ربما يتعدى الواجب ، ولأنه ربما يكون متغيظا عليه ، فيكون متشفيا لغيظه ، ومريحا نفسه من ألم الغيظ ، فيكون صاحب حظ . فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران : فأراد أن يأخذه ويعزره ، فشتمه السكران . فرجع عمر . فقيل له يا أمير المؤمنين ؛ لما شتمك تركته ؟ قال لأنه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ؛ ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي . وقال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه ، لولا أنك أغضبتني لعاقبتك

القول

في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال ، رجع إلى الباطن واحتقن فيه ، فصار حقدا . ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله ، والبغضة له ، والنفار عنه ، وأن يدوم ذلك ويبقى . وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِحَقُودٍ » فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور :

الأول : الحسد . وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه ؛ فتغتم بنعمة إن أصابها ، وتسر بمصيبة إن نزلت به . وهذا من فعل المنافقين : وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى

الثاني : أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن ، فتشمت بما أصابه من البلاء

الثالث . أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه : وإن طلبك وأقبل عليك

---

(١) حديث أبي سعيد الخدري ألا ان بني ادم خلقوا على طبقات ـ الحديث : تقدم

(٢) حديث المؤمن ليس بحقود: تقدم في العلم

الأعراض الرابع : وهو دونه ، أن تعرض عنه استصغاراله

الغيبة الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل ، من كذب ، وغيبة ، وإفشاء سر، وهتك ستر، وغيره

الاستهزاء السادس : أن تحاكيه استهزاء به ، وسخرية منه

الإيذاء السابع : إيذاؤه بالضرب ومايؤلم بدنه

منع الحق الثامن : أن تمنعه حقه من قضاء دين ، أوصلة رحم ، أورد مظلمة ، وكل ذلك حرام

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ، ولا تخرج بسبب الحقد إلى ماتعصى الله به ، ولكن تستثقله فى الباطن ، ولا تنهى قلبك عن بغضه ، حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة ، والرفق ، والعناية ، والقيام بحاجاته ، والمجالسة معه على ذكر الله تعالى ، والمعاونة على المنفعة له . أو بترك الدعاءله ، والثناءعليه ، أوالتحريض على بره ومواساته. فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين ، ويحول بينك وبين فضل عظيم ، وثواب جزيل . وإن كان لا يعرضك لعقاب الله [1] . ولما حلف أبو بكر رضى الله عنه أن لا ينفق على مسطح ، وكان قريبه ، لكونه تكلم فى واقعة الإفك ، نزل قوله تعالى (وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ [(1)]) إلى قوله (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ [(2)]) فقال أبو بكر نعم نحب ذلك . وعاد إلى الإنفاق عليه . والأولى أن يبقى على ما كان عليه ، فإن أمكنه أن يزيد فى الإحسان مجاهدة للنفس ، وإرغاما للشيطان ، فذلك مقام الصديقين ، وهو من فضائل أعمال المقربين . فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة

أحدها. أن يستوفى حقه الذى يستحقه ، من غير زيادة و نقصان وهو العدل

الثانى : أن يحسن إليه بالعفو والصلة ، وذلك هو الفضل .

الثالث . أن يظلمه بما لا يستحقه ، وذلك هو الجور ، وهو اختيار الأراذل ، والثانى هو اختيار الصديقين ، والأول هو منتهى درجات الصالحين ، ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان

---

(١) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية : متفق عليه من حديث عائشة

---

(1) و (2) النور : ٢٢

فضيلة
العفو والإحسان

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا ، فيسقطه ويبرىء عنه : من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك أفردناه ، قال الله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [1]) وقال الله تعالى (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى [2])

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « ثَلاَثٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كُنْتُ حَلاَّفاً لَحَلَفْتُ عَلَيْهِنَّ مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا وَلاَ عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزّاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] « التَّوَاضُعُ لاَ يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلاَّ رِفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعْكُمُ اللهُ وَالْعَفْوُ لاَ يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلاَّ عِزّاً فَاعْفُوا يُعِزَّكُمُ اللهُ وَالصَّدَقَةُ لاَ تَزِيدُ الْمَالَ إِلاَّ كَثْرَةً فَتَصَدَّقُوا يَرْحَمْكُمُ اللهُ » . وقالت عائشة رضى الله عنها، [3] ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ، مالم ينتهك من محارم الله . فإذا انتهك من محارم الله شيء ، كان أشدهم فى ذلك غضبا . وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما : مالم يكن إثما . وقال عقبة ، لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فأبتدرته فأخذت بيده أو بدرنى فأخذ بيدى. فقال [4] « يَا عُقْبَةُ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلاَقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت حالفا لحلفت عليهن ما نقصت صدقة من مال ـ الحديث : الترمذى من حديث أبى كبشة الانمارى ولمسلم وأبى داود نحوه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله: الأصفهانى فى الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف

(٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ـ الحديث : الترمذى فى الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم

(٤) حديث عقبة بن عامر ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك ـ الحديث ابن ابى الدنيا والطبرانى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم

[1] الاعراف : ١١٩ [2] البقرة : ٢٣٧

(١) «قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَارَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ عَلَيْكَ؟ قَالَ الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَا» وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس، قال الذى يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزكم الله

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة. فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس، وأراد أن يأخذله عظلمته. فقال له صلى الله عليه وسلم (٢) «إِنَّ الْمَظْلُومِينَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث. وقالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ» وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) «إِذَا بَعَثَ اللهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ يَامَعْشَرَ الْمُوَحِّدِينَ إِنَّ اللهَ قَدْ عَفَا عَنْكُمْ فَلْيَعْفُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ»

وعن أبى هريرة، (٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، طاف بالبيت، وصلى ركعتين، ثم أتى الكعبة، فأخذ بعضادتى الباب فقال «مَاتَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟» فقالوا نقول أخ وابن عم، حليم رحيم. قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم «أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ» (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [1])

---

(١) حديث قال موسى يارب أى عبادك أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا: الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة وفيه ابن لهيعة

(٢) حديث ان المظلومين هم الفلحون يوم القيامة وفى أوله قصة ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنفى مرسلا

(٣) حديث أنس إذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يامعشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض: أبو سعيد أحمد بن ابراهيم المقرى فى كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة ياأمة محمد ان الله تعالى يقول ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى واسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الاوسط بلفظ نادى مناد ياأهل الجمع تاركوا المظالم بينكم وثوابكم على وله من حديث أم هانىء ينادى مناد ياأهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب

(٤) حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال ما تقولون ـ الحديث: رواه ابن الجوزى فى الوفا من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف

---

[1] يوسف: ٩٢

قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور ،فدخلوا فى الإسلام . وعن سهيل بن عمرو قال [١] لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وضع يديه على باب الكعبة ، والناس حوله فقال « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ثم قال « يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَاتَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ ؟» قال قلت يارسول الله ، نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم ؛ وقد قدرت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ »(لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ [١])

وعن أنس قال [٢] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ نَادَى مُنَادٍ لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ » قيل ومن ذا الذى له أجر ؟ قال « الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ فَيَقُومُ كَذَا وَكَذَا أَلْفاً فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » وقال ابن مسعود، [٣] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاَ يَنْبَغِي لِوَالِي أَمْرٍ أَنْ يُؤْتَى بِحَدٍّ إِلاَّ أَقَامَهُ وَاللهُ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ » ثم قرأ (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا [٢]) الآية . وقال جابر ، [٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلاَثٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ وَزُوِّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ حَيْثُ شَاءَ مَنْ أَدَّى دَيْناً خَفِيّاً وَقَرَأَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ [٣]) عَشْرَ مَرَّاتٍ وَعَفَا عَنْ قَاتِلِهِ » قال أبو بكر ، أو إحداهن يارسول الله ؟ قال « أَوْ إِحْدَاهُنَّ »

---

(١) حديث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة الحديث : بنحوه لم أجده

(٢) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى أجره على الله قال العافون عن الناس ــ الحديث : الطبرانى فى مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على حديثه

(٣) حديث ابن مسعود لا ينبغى لوالى أمر أن يؤتى بحد الا أقامه والله عفو يحب العفو ــ الحديث : أحمد والحاكم وصححه وتقدم فى آداب الصحبة

(٤) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء ــ الحديث : الطبرانى فى الاوسط وفى الدعاء بسند ضعيف

---

(١) يوسف : ٩٢ (٢) النور : ٢٢ (٣) الصمد : ١

الأثار
في فضل العفو

الآثار : قال ابراهيم التيمى : إن الرجل ليظلمنى فأرحمه . وهذا إحسان وراء العفو ، لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم ، وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب

وقال بعضهم ، إذا أراد الله أن يتحف عبدا ، قيض له من يظلمه . ودخل رجل على عمر ابن عبد العزيز رحمه الله ، فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ، ويقع فيه . فقال له عمر إنك إن تلق الله ومظلمتك كما هى ، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظللت تدعو على من ظلمك ، فإن الله تعالى يقول ، إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته ، فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك ، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوى

وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه : كِلِ الظالم إلى ظلمه ، فإنه أسرع إليه من دعائك عليه ، إلا أن يتداركه بعمل ، وقمن أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال ، بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة ، فينادى من كان له عند الله شىء فليقم ، فيقوم أهل العفو ، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال ، أتى النعمان بن المنذر برجلين : قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما ، فعفا عنه ، والآخر أذنب ذنبا خفيفا ، فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسير وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف حلمها ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال ، وفد سوار بن عبد الله فى وفد من أهل البصرة إلى أبى جعفر . قال فكنت عنده ، إذ أتي برجل فأمر بقتله . فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر . فقلت يا أمير المؤمنين ، ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن ، قال وما هو ، قلت سمعته يقول ، إذا كان يوم القيامة ، جمع الله عز وجل الناس فى صعيد واحد ، حيث يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر . فيقوم مناد فينادى ، من له عند الله يد فليقم . فلا يقوم إلا من عفا . فقال والله لقد سمعته من الحسن ؟ فقلت والله لسمعته منه . فقال خلينا عنه

وقال معاوية : عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة . فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال . وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك . فقال للراهب ، أرأيت ذا القرنين ،

أكان نبيا ؟ فقال لا . ولكنه إنما أعطى ماأعطى بأربع خصال كن فيه . كان إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفى ، وإذا حدث صدق ، ولا يجمع شغل اليوم لغد. وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم ، حتى إذا قدر انتقم ، ولكن الحليم من ظلم فحلم ، حتى إذا قدر عفا

وقال زياد ، القدرة تذهب الحفيظة ، يعنى الحقد والغضب . وأتى هشام برجل بلغه عنه أمر ، فلما أقيم بين يديه ، جعل يتكلم بحجته . فقال له هشام ، وتتكلم أيضا ؟ فقال الرجل ياأمير المؤمنين ، قال الله عز وجل (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا [1]) أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما ؟ قال هشام ، بلى ويحك تكلم

وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين، فقال له اقطعه فإنه من أعدائنا . فقال بل أستر عليه ، لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما ، فابتاع ، ثم طلب الدراهم ، وكانت فى عمامته ، فوجدها قد حلت : فقال لقد جلست وإنها لمعى . فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون ، اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها ، اللهم افعل به كذا فقال عبد الله ، اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها . وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ، ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان ، جلس إلى فى المسجد الحرام ، ثم قام ليطوف ، فسرقت دنانير كانت معه ، فجعل يبكى فقلت أعلى الدنانير تبكى ؟ فقال لا . ولكن مثلتنى وإياه بين يدى الله عز وجل ، فأشرف عقلى على إدحاض حجته فبكائى رحمة له . وقال مالك بن دينار ، أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا . وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف . فدخلنا معه عليه : فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام ، وما صنع به إخوته من بيعهم إياه ؛ وطرحهم له فى الجب . فقال باعوا أخاهم ، وأحزنوا أباهم . وذكر ما لقى من كيد النساء ومن الحبس ، ثم قال ، أيها الأمير ، ماذا صنع الله به ؟ أداله منهم ، ورفع ذكره ، وأعلى كلمته ، وجعله على خزائن الأرض . فماذا صنع حين أكمل له أمره ؟ وجمع له أهله ؟ قال (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [2]) يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه . قال الحكم ، فأنا أقول (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ [3]) ولو لم أجد إلا ثوبى هذا لواريتكم تحته.

(١) النحل : ١١١ (٢ ، ٣) يوسف : ٩٢

وكتب ابن المقفع إلى صديق له: يسأله العفو عن بعض إخوانه، فلان هارب من زلته إلى عفوك. لائذ منك بك. واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما . إلا ازداد العفو فضلا وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى بن الأشعث ، فقال لرجاء بن حيوة ،ماترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ماتحب من الظفر ، فأعط الله مايحب من العفو . فعفا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج : فأفلت منه ، فأخذ أخا له، فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى ؟ قال نعم . قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم ، وأقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى . ثم تلا (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[1]) فقال زياد: خلوا سبيله ؟ هذا رجل قد لقن حجته : وقيل مكتوب فى الأنجيل ، من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم أن الرفق محمود ، ويضاده العنف والحدة . والعنف نتيجة الغضب والفظاظة ، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة . وقد يكون سبب الحدة الغضب ، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه ، بحيث يدهش عن التفكر ، ويمنع من التثبت . فالرفق فى الأمور ثمرة لايثمرها إلا حسن الخلق . ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة : وحفظهما على حد الاعتدال . ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق ، وبالغ فيه، فقال[1] « يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] « إِذَا أَحَبَّ اللهُ أَهْلَ بَيْتٍ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ »

الاحاديث فى فضيلة الرفق

﴿ فضيلة الرفق ﴾

(١) حديث ياعائشة انه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ـ الحديث : أحمد والعقيلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر المليكى وضعفه عن القاسم عن عائشة وفى الصحيحين من حديثها ياعائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله

(٢) حديث اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق: أحمد بسند جيد والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة

(١) النجم : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

وقال صلى الله عليه وسلم [(١)] « إِنَّ اللهَ لَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَالاَ يُعْطِي عَلَى الْخُرْقِ وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرِّفْقَ وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمُونَ الرِّفْقَ إِلاَّ حُرِمُوا مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى » . وقالت عائشة رضى الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم [(٢)] « إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَالاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٣)] « يَاعَائِشَةُ ارْفُقِي فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ كَرَامَةً دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٤)] « مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٥)] « أَيُّمَا وَالٍ وُلِّيَ فَرَفَقَ وَلاَنَ رَفَقَ اللهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٦)] « تَدْرُونَ مَنْ يُحْرَمُ عَلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٧)] « الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالْخُرْقُ شُؤْمٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٨)] « التَّأَنِّي مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ » . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال ، [(٩)] يارسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك ، فاخصصني منك بخير : فقال « الْحَمْدُ لِلّٰهِ » مرتين

---

(١) حديث ان الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق ـ الحديث : الطبرانى فى الكبير من حديث جرير باسناد ضعيف

(٢) حديث ان الله رفيق يحب الرفق ـ الحديث : مسلم من حديث عائشة

(٣) حديث ياعائشة ارفقى ان الله اذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق : أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبى داود ياعائشة أرفقى

(٤) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله : مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهى عند أبى داود

(٥) حديث أيما وال ولى فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة : مسلم من حديث عائشة وفى حديث فيه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به

(٦) حديث تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب : الترمذى من حديث ابن مسعود وتقدم فى آداب الصحبة

(٧) حديث الرفق يمن والخرق شؤم : الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقى فى الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف

(٨) حديث التأنى من الله والعجلة من الشيطان : أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة من الله وقد تقدم

(٩) حديث أتاه رجل فقال يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك ـ الحديث وفيه فاذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه ـ الحديث : ابن المبارك فى الزهد والرقائق من حديث أبى جعفر هو المسمى عبد الله بن مسور الهاشمى ضعيف جدا ولأبى نعيم فى كتاب الايجاز من رواية اسماعيل الانصارى عن أبيه عن جده اذا هممت بأمر فأجلس فتدبر عاقبته واسناده ضعيف

أو ثلاثا ، ثم أقبل عليه فقال « هَلْ أَنْتَ مُسْتَوْصٍ » مرتين أو ثلاثا . قال نعم . قال « إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ فَإِنْ كَانَ رُشْداً فَأَمْضِهِ وَإِنْ كَانَ سِوَى ذَلِكَ فَانْتَهِ » وعن عائشة رضى الله عنها ، أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « يَاعَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ فَإِنَّهُ لاَيَدْخُلُ فِى شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ »

الآثار الواردة فى الرفق

الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله ، فأمرهم أن يوافوه . فلما أتوه ، قام فحمد الله وأثنى عليه : ثم قال ، أيها الناس ، أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا ، النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير . أيتها الرعاة ، إن للرعية عليكم حقا ، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز ، من حلم إمام ورفقه . وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم ، من جهل إمام وخرقه . واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه ، يرزق العافية ممن هودونه . وقال وهب بن منبه ، الرفق ثنى الحلم . وفى الخبر موقوفا ومرفوعا[2] « الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ وَالْعَمَلُ قَيِّمُهُ وَالرِّفْقُ وَالِدُهُ وَاللِّينُ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ » وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق. وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم. وقال عمرو ابن العاص لابنه عبد الله، ما الرفق ؟ قال . أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة . قال فما الخرق؟ قال . معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك. وقال سفيان لأصحابه ، تدرون ما الرفق؟ قالوا قل يا أبا محمد قال : أن تضع الأمور مواضعها ، الشدة فى موضعها ، واللين فى موضعه ، والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه . وهذه إشارة إلى أنه لابد من مزج الغلظة باللين ، والفظاظة بالرفق كما قيل.

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

---

(١) حديث عائشة عليك بالرفق فانه لايدخل فى شيء الازانه ـ الحديث : رواه مسلم

(٢) حديث العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده أبو الشيخ فى كتاب الثواب وفضائل الاعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى الدرداء وأبى هريرة وكلاهما ضعيف

فالمحمود وسط بين العنف واللين ، كما فى سائر الأخلاق : ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل ، كانت الحاجة إلى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر . فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف ، وإن كان العنف فى محله حسنا ، كما أن الرفق فى محله حسن . فإذا كان الواجب هو العنف ، فقد وافق الحق الهوى ، وهو ألذ من الزبد بالشهد ، وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله، روي أن عمرو بن العاص ، كتب إلى معاوية يعاتبه فى التأنى ، فكتب إليه معاوية

أما بعد . فإن التفهم فى الخير زيادة رشد ، وإن الرشيد من رشد عن العجلة ، وإن الخائب من خاب عن الأناة ، وإن المتثبت مصيب ، أو كاد أن يكون مصيبا . وإن العجل مخطىء ، أو كاد أن يكون مخطئا . وأن من لاينفعه الرفق يضره الخرق . ومن لاينفعه التجارب لايدرك المعالى . وعن أبى عون الأنصاري ، قال ماتكلم الناس بكلمة صعبة ، إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفى . لاتتخذ من الخدم إلا ما لابد منه ، فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لايعطونك بالشدة شيئا ، إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن . المؤمن وقاف متأن ، وليس كحاطب ليل .

فهذا ثناء أهل العلم على الرفق ؛ وذلك لأنه محمود ، ومفيد فى أكثر الأحوال وأغلب الأمور . والحاجة إلى العنف قد تقع ، ولكن على الندور . وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف ، فيعطى كل أمر حقه ، فإن كان قاصر البصيرة ، أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع ، فليكن ميله إلى الرفق ، فإن النجح معه فى الأكثر

القول

فى ذم الحسد وفى حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته

بيان

ذم الحسد

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب ، فهو فرع فرعه ، والغضب أصل أصله . ثم إن للحسد من الفروع الذميمة مالايكاد يحصى . وقد ورد فى ذم

الأحاديث الواردة فى ذم الحسد

الحسد خاصة أخبار كثيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » وقال صلى الله عليه وسلم فى النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته [(٢)] « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَقَاطَعُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا »

وقال أنس ، [(٣)] كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه فى يده الشمال ،فسلم . فلما كان الغد : قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك . فطلع ذلك الرجل . وقاله فى اليوم الثالث ، فطلع ذلك الرجل . فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له ، إنى لاحيت أبى ،فأقسمت أن لاأدخل عليه ثلاثا . فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى الثلاث فعلت . فقال نعم . فبات عنده ثلاث ليال ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ، ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر . قال غير أنى ماسمعته يقول إلا خيرا. فلما مضت الثلاث ، وكدت أن أحتقر عمله : قلت ياعبد الله ، لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ، فأردت أن أعرف عملك ، فلم أرك تعمل عملا كثيرا . فما الذى بلغ بك ذلك؟ فقال ماهو إلا مارأيت. فلما وليت دعانى فقال . ماهو إلا مارأيت ، غير أنى لاأجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا ، على خير أعطاه الله إياه. قال عبدالله : فقلت له هى التى بلغت بك ،وهى التى لا نطيق

(القول فى ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب :أبو داود من حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم

(٢) حديث لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ـ الحديث : متفق عليه وقد تقدم

(٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة ـ الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لاأجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله :رواه أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وسمى الرجل فى رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « ثَلاَثٌ لاَ يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ الظَّنُّ وَالطِّيَرَةُ وَالْحَسَدُ وَسَأُحَدِّثُكُمْ بِالْمَخْرَجِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا ظَنَنْتَ فَلاَ تُحَقِّقْ وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلاَ تَبْغِ » وفى رواية « ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُنَّ » فأثبت فى هذه الرواية إمكان النجاة. وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبِغْضَةُ هِيَ الْحَالِقَةُ لاَ أَقُولُ حَالِقَةُ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثْبِتُ ذَلِكَ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الأُمَمِ » قالوا وما داء الأمم؟ قال « الأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاعُدُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ ثُمَّ الْهَرْجُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) « لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيُعَافِيَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ » . وروى أن موسى عليه السلام، لما تعجل إلى ربه تعالى، رأى فى ظل العرش رجلا، فغبطه بمكانه. فقال إن هذا لكريم على ربه. فسأل

---

(١) حديث ثلاث لاينجو منهن أحد الظن والطعن والحسد ـ الحديث : وفى رواية وقل من ينجو منهن ابن أبى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث أبى هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى ابن يعقوب الزمعى ضعفهما الجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبى الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وللطبرانى من حديث حارثة بن النعمان نحوه وتقدم فى آفات اللسان

(٢) حديث دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء ـ الحديث : الترمذى من حديث مولى الزبير عن الزبير

(٣) حديث كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر : أبو مسلم الكشى والبيهقى فى الشعب من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا

(٤) حديث انه سيصيب أمتى داء الأمم قبلكم قالوا وماداء الأمم قال الاشر والبطر ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة باسناد جيد

(٥) حديث لاتظهر الشماتة بأخيك فيعافيه ويبتليك : الترمذى من حديث واثلة بن الأسقع وقال حسن غريب وفى رواية ابن أبى الدنيا فيرحمه الله

ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره ، وقال أحدثك من عمله بثلاث . كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة . وقال زكريا عليه السلام . قال الله تعالى : الحاسد عدو لنعمتي ، متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي

وقال صلى الله عليه وسلم [(١)] « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَكْثُرَ فِيهِمُ الْمَالُ فَيَتَحَاسَدُونَ وَيَقْتَتِلُونَ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٢)] « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٣)] « إِنَّ لِنِعَمِ اللهِ أَعْدَاءً » فقيل ومن هم ؟ فقال « الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٤)] « سِتَّةٌ يَدْخُلُونَ النَّارَ قَبْلَ الْحِسَابِ بِسَنَةٍ » قيل يا رسول الله ومن هم ؟ قال « الْأُمَرَاءُ بِالْجَوْرِ وَالْعَرَبُ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالدَّهَاقِينُ بِالتَّكَبُّرِ وَالتُّجَّارُ بِالْخِيَانَةِ وَأَهْلُ الرُّسْتَاقِ بِالْجَهَالَةِ وَالْعُلَمَاءُ بِالْحَسَدِ »

الآثار : قال بعض السلف ، أول خطيئة كانت هي الحسد . حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته : فأبى أن يسجد له ، فحمله الحسد على المعصية . وحكي أن عون بن عبد الله ، دخل على الفضل بن المهلب ، وكان يومئذ على واسط . فقال إني أريد أن أعظك بشيء . فقال وما هو ؟ قال إياك والكبر ، فإنه أول ذنب عصى الله به ، ثم قرأ (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

---

(١) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون : ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد ان مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البدري والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث ولأحمد والبزار من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة

(٢) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود : ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف

(٣) حديث إن لنعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله : الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس ان لأهل النعم حسادا فاحذروهم

(٤) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله ومن هم قال الامراء بالجور ـ الحديث : وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ [١]) الآية . وإياك والحرص ، فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض، يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها ، فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ، ثم قرأ (اهْبِطُوا مِنْهَا [٢]) إلى آخر الآية . وإياك والحسد ، فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ، ثم قرأ (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ [٣]) الآيات . وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك . وإذا ذكر القدر فاسكت . وإذا ذكرت النجوم فاسكت

وقال بكر بن عبد الله . كان رجل يغشى بعض الملوك ، فيقوم بحذاء الملك ، فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسيء سيكفيكه إساءته . فحسده رجل على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك ، فقال إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول مايقول ، زعم أن الملك أبخر . فقال له الملك .وكيف يصح ذلك عندي ؟ قال تدعوه إليك ، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر . فقال له انصرف حتى أنظر. فخرج من عند الملك ، فدعا الرجل إلى منزله ، فأطعمه طعاما فيه ثوم . فخرج الرجل من عنده ، وقام بحذاء الملك على عادته . فقال أحسن إلى المحسن بإحسانه ،فإن المسيء سيكفيكه إساءته. فقال له الملك ادن مني. فدنا منه ، فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم. فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانا إلا قد صدق . قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة . فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله ، إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه ،واسلخه، واحش جلده تبنا، وابعث به إلي .فأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الذي سعى به ، فقال ماهذا الكتاب ؟ قال خط الملك لي بصلة . فقال هبه لي . فقال هو لك . فأخذه ومضى به إلى العامل ، فقال العامل ، في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال إن الكتاب ليس هو لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الملك. فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه ، وسلخه ، وحشا جلده تبنا ،وبعث به .ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته ،وقال مثل قوله فعجب الملك ، وقال مافعل الكتاب؟ فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. قال الملك، إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر. قال ماقلت ذلك. قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه. قال صدقت ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته

المسيء بجزى بإساءته

(١) البقرة : ٣٤ (٢) البقرة: ٣٨ (٣) المائدة : ٢٧

وقال ابن سيرين رحمه الله . ماحسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة ، فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة ؟ وإن كان من أهل النار ، فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار ! وقال رجل للحسن ، هل يحسد المؤمن ؟ قال ما أنساك بني يعقوب ، نعم ؛ ولكن غمه في صدرك ، فإنه لا يضرك مالم تعد به يدا ولا لسانا ، وقال أبو الدرداء ، ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه ، وقل حسده ، وقال معاوية ، كل الناس أقدر على رضاه ، إلا حاسد نعمة ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوالها ، ولذلك قيل

كل العداوات قد ترجى إماتتها * إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء : الحسد جرح لا يبرأ ، وحسد الحسود ما يلقى . وقال أعرابي : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه . وقال الحسن يا ابن آدم ، لم تحسد أخاك ؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه ؛ فلم تحسد من أكرمه الله ؟ وإن كان غير ذلك ، فلم تحسد من مصيره إلى النار ؟ وقال بعضهم ، الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا . ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا . ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما . ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا . ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا

بيان

حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة . فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة ، فلك فيها حالتان

إحداهما : أن تكره تلك النعمة ، وتحب زوالها ؛ وهذه الحالة تسمى حسدا . فالحسد حده كراهة النعمة : وحب زوالها عن المنعم عليه

الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ، ولا تكره وجودها ودوامها ؛ ولكن تشتهي لنفسك مثلها . وهذه تسمى غبطة . وقد تختص باسم المنافسة . وقد تسمى المنافسة حسدا ، والحسد منافسة ، ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ؛ ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني .وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) « إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْبِطُ وَالْمُنَافِقَ يَحْسُدُ »

فأما الأول : فهو حرام بكل حال ، إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر ، وهو يستعين بها على تهييج الفتنة ، وإفساد ذات البين ، وإيذاء الخلق ، فلا يضرك كراهتك لها ، ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة ، بل من حيث هي آلة الفساد . ولو أمنت فساده ، لم يغمك بنعمته . ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها ، وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض ؛ وذلك لا عذر فيه ولا رخصة ، وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم ، من غير أن يكون لك منه مضرة ، وإلى هذا أشار القرءان بقوله (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا[1]) وهذا الفرح شماتة ، والحسد والشماتة يتلازمان .

الدليل على تحريم الحسد

وقال تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ[2]) فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد . وقال عز وجل (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً[3]) وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام ، وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ[4]) فلما كرهوا حب أبيهم له ، وساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه ، فغيبوه عنه . وقال تعالى (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا[5]) أي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون . فأثنى عليهم بعدم الحسد

وقال تعالى في معرض الإنكار (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ[6]) وقال تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً[7]) إلى قوله (إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ[8]) قيل في التفسير حسدا ، وقال تعالى (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ[9]) فأنزل الله العلم ليجمعهم ، ويؤلف بينهم على طاعته ، وأمرهم

---

(١) حديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد : لم أجد له أصلا مرفوعا وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد

---

(١) آل عمران : ١٢٠ (٢) البقره : ١٠٩ (٣) النساء : ٨٩ (٤) يوسف : ٨ (٥) الحشر : ٩ (٦) النساء : ٥٤
(٧) و (٨) البقره : ٢١٣ (٩) الشورى : ١٤

أن يتألفوا بالعلم : فتحاسدوا واختلفوا ، إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة، وقبول القول : فرد بعضهم على بعض . قال ابن عباس [١] كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا قاتلوا قوما ، قالوا نسألك بالنبي الذى وعدتنا أن ترسله ، و بالكتاب الذى تنزله ، إلا مانصرتنا . فكانوا ينصرون . فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عليه السلام عرفوه ، وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ [١]) إلى قوله (أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا [٢]) أى حسدا . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم ، [٢] جاء أبى وعمى من عندك يوما ، فقال أبى لعمى ماتقول فيه ؟ قال أقول إنه النبي الذى بشر به موسى قال فما ترى ؟ قال أرى معاداته أيام الحياة . فهذا حكم الحسد فى التحريم

وأما المنافسة ، فليست بحرام . بل هى إما واجبة ، وإما مندوبة ، وإما مباحة . وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة ، والمنافسة بدل الحسد . قال قثم بن العباس ، [٣] لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة ، قالا لعلي

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

(١) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذى وعدتنا أن ترسله ـ الحديث : فى نزول قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا : ابن اسحاق فى السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع

(٢) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء أبى وعمى من عندك يوما فقال أبى لعمى ما تقول فيه قال أقول انه النبى الذى بشر به موسى ـ الحديث : ابن اسحاق فى السيرة قال حدثنى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضا

(٣) حديث قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألانه أن يؤمرهما على الصدقة قالا لعلى ـ الحديث : هكذا وقع للمصنف انه قثم والفضل وانما هو الفضل والمطلب بن ربيعة كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة ابن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لى وللفضل بن عباس ائتيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فذكر ـ الحديث :

(١) البقرة : ٨٩ (٢) البقرة : ٩٠

حين قال لهما لاتذهبا إليه ، فإنه لا يؤمر كما عليها ، فقالا له ماهـذا منك إلا نفاسة . والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك ، أى هذا منك حسد ، وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة ، والمنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة . والذى يدل على إباحة المنافسة ، قوله تعالى (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ [1]) وقال تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ [2]) وإنما المسابقة عند خوف الفوت ، وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما ، إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه ، فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها . فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال[1] « لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْماً فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ » ثم فسر ذلك فى حديث أبى كبشة الأنمارى فقال [2] « مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةٍ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالاً فَيَقُولُ رَبِّ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً مِثْلَ مَالِ فُلاَنٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ » وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله ، فيعمل مثل مايعمل ، من غير حب زوال النعمة عنه قال « وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْماً فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي مَعَاصِي اللهِ وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ عِلْماً وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالاً فَيَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلاَنٍ لَكُنْتُ أُنْفِقُهُ فِي مِثْلِ مَا أَنْفَقَهُ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ » فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله

المنافسة تعتريها الأحكام الشرعية

فإذاً لا حرج على من يغبط غيره فى نعمة ، ويشتهى لنفسه مثلها ، مهما لم يحب زوالها عنه ، ولم يكره دوامها له . نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة ، كالإيمان والصلاة ، والزكاة ، فهذه المنافسة واجبة . وهو أن يحب أن يكون مثله ، لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية ، وذلك حرام . وإن كانت النعمة من الفضائل ، كالإنفاق

(١) حديث لا حسد الا فى اثنتين ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم فى العلم
(٢) حديث أبى كبشة مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا ـ الحديث : رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح

(١) المطففين : ٢٦ (٢) الحديد : ١٢

الأموال فى المكارم والصدقات ؛ فالمنافسة فيها مندوب إليها . وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح ؛ فالمنافسة فيها مباحة . وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته ، واللحوق به فى النعمة ؛ وليس فيها كراهة النعمة ، وكان تحت هذه النعمة أمران ، أحدهما : راحة المنعم عليه ، والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه . وهو يكره أحد الوجهين ، وهو تخلف نفسه ، ويحب مساواته له . ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها فى المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ، ويناقض الزهد ، والتوكل ، والرضا ، ويحجب عن المقامات الرفيعة ، ولكنه لا يوجب العصيان

وههنا دقيقة غامضة ، وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة ؛ وهو يكره تخلفه ونقصانه ، فلا محالة يحب زوال النقصان وإنما نزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسد أحد الطريقين ، فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر ، حتى إذا زالت النعمة عن المحسود ، كان ذلك أشفى عنده من دوامها . إذ بزوالها نزول تخلفه وتقدم غيره . وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه . فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ، ورد إلى اختياره ، لسعى فى إزالة النعمة عنه ، فهو حسود حسدا مذموما . وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك ، فيعفى عما يجده فى طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده ، مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه : ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم [(١)] « ثَلَاثٌ لَا يَنْفَكُّ الْمُؤْمِنُ عَنْهُنَّ الْحَسَدُ وَالظَّنُّ وَالطِّيَرَةُ » ثم قال « وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ إِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ » أى إن وجدت فى قلبك شيئا فلا تعمل به . وبعيد أن يكون الإنسان مريد اللحاق بأخيه فى النعمة ، فيعجز عنها ، ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة . إذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها . فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام ، فينبغى أن يحتاط فيه ، فإنه موضع الخطر . وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان ، رزين التقوى

ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره ؛ جره ذلك إلى الحسد المذموم

---

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ـ الحديث : تقدم غيره مرة .

وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه : حتى ينزل هو إلى مساواته : إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة ، وذلك لا رخصة فيه أصلا : بل هو حرام ، سواء كان فى مقاصد الدين ، أو مقاصد الدنيا ، ولكن يعفى عنه فى ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له . فهذه حقيقة الحسد وأحكامه ، وأما مراتبه فأربع

الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه : وإن كان ذلك لا ينتقل إليه . وهذا غاية الخبث

الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه ، لرغبته فى تلك النعمة ، مثل رغبته فى دار حسنة ، أو امرأة جميلة ، أو ولاية نافذة ، أو سعة نالها غيره ، وهو يحب أن تكون له : ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها

الثالثة : أن يشتهى عينها لنفسه ، بل يشتهى مثلها · فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما

الرابعة . أن يشتهى لنفسه مثلها ، فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه . وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان فى الدنيا . والمندوب إليه إن كان فى الدين . والثالثة فيها مذموم وغير مذموم . والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض . وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ، ولكنه مذموم لقوله تعالى (وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ [1]) فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم ، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان
أسباب الحسد والمنافسة

أما المنافسة ، فسببها حب ما فيه المنافسة . فإن كان ذلك أمرا دينيا ، فسببه حب الله تعالى وحب طاعته . وإن كان دنيويا ، فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها . وإنما نظرنا الآن فى الحسد المذموم ، ومداخله كثيرة جدا ؛ ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب ، العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وخبث النفس وبخلها . فإنه إنما يكره النعمة على غيره ، إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير

(١) النساء : ٣٢

وهذا لايختص بالأمثال . بل يحسد الخسيس الملك : بمعنى أنه يحب زوال نعمته . لكونه مبغضاله بسبب إساءته إليه أوإلى من يحبه . وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه ، وهو لايطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه ، وهو المراد بالتعزز

واما أن يكون فى طبعه أن يتكبر على المحسود ، ويمتنع ذلك عليه لنعمته . وهو المراد بالتكبر

وإما أن تكون النعمة عظيمة ، والمنصب عظيما . فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة ، وهو المراد بالتعجب . وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته ، بأن يتوصل بها إلى مزاحمته فى أغراضه . وإما أن يكون يحب الرياسة التى تنبنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها . وإما أن لايكون بسبب من هذه الأسباب : بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى . ولابد من شرح هذه الأسباب

السبب الأول : العداوة والبغضاء . وهذا أشد أسباب الحسد ، وإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب ، وخالفه فى غرض بوجه من الوجوه ؛ أبغضه قلبه ، وغضب عليه ، ورسخ فى نفسه الحقد . والحقد يقتضى التشفى والانتقام . فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه ؛ أحب أن يتشفى منه الزمان . وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى : فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها ؛ وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه ، وأنها لأجله . ومهما أصابته نعمة ، ساءه ذلك ؛ لأنه ضد مراده . وربما يخطر له أنه لامنزلة له عند الله ؛ حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه ، بل أنعم عليه . وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما . وإنما غاية التقى أن لايبغى ، وأن يكره ذلك من نفسه . فأما أن يبغض إنسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساءته ، فهذا غير ممكن . وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة . إذ قال تعالى (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ [1]) الآية . وكذلك قال تعالى (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ [2]) . والحسد بسبب البغض ربما يفضى إلى التنازع والتقاتل ، واستغراق العمر فى إزالة النعمة بالحيل ، والسعاية ، وهتك الستر ، وما يجرى مجراه

(١) آل عمران : ١١٩ ، ١٢٠ (٢) آل عمران : ١١٨

السبب الثاني : التعزز . وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره . فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية ، أو علما ، أو مالا ، خاف أن يتكبر عليه ، وهو لا يطيق تكبره ، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه ، وليس من غرضه أن يتكبر ، بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته مثلا ، ولكن لا يرضى بالترفع عليه

السبب الثالث : الكبر . وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ، ويستصغره ويستخدمه ، ويتوقع منه الانقياد له ، والمتابعة في أغراضه . فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ، ويترفع عن متابعته ، أو ربما يتشوف إلى مساواته ، أو إلى أن يرتفع عليه ، فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه . ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم ! وكيف نطأطىء رءوسنا [1] فقالوا (لَوْلاَ نُزِّلَ هذَا ٱلْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [1]) أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ، ونتبعه إذا كان عظيما . وقال تعالى يصف قول قريش (أَهَؤُلاَءِ مَنَّ ٱللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا [2]) كالاستحقار لهم والأنفة منهم

السبب الرابع : التعجب . كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة ، إذ قالوا (مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا [3]) وقالوا (أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا [4]) (وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ [5]) فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة ، والوحي ، والقرب من الله تعالى ، بشر مثلهم . فحسدوهم ، وأحبوا زوال النبوة عنهم ، جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة . لا عن قصد تكبر ، وطلب رياسة . وتقدم عداوة ، أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين (أَبَعَثَ ٱللهُ بَشَراً رَسُولاً [6]) وقالوا (لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلاَئِكَةُ [7])

(بيان أسباب الحسد والمنافسة)

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم : ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين فأنزل الله فيما بلغني هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث ابن عباس الا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف

---

(١) الزخرف : ٣١ (٢) الانعام : ٥٣ (٣) يس : ١٥ (٤) المؤمنون : ٤٧ (٥) المؤمنون : ٣٤ (٦) الاسراء : ٩٤ (٧) الفرقان : ٢١

وقال تعالى (أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ[1]) الآية

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد. وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد. فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده. ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين؛ للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال. وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه؛ للتوصل به إلى المال والجاه. وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة، إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم. وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له

السبب السادس: حب الرياسة، وطلب الجاه لنفسه، من غير توصل به إلى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه، وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك؛ وأحب موته، أو زوال النعمة عنه، التي بها يشاركه في المنزلة، من شجاعة، أو علم، أو عبادة، أو صناعة، أو جمال، أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به، ويفرح بسبب تفرده. وليس السبب في هذا عداوة، ولا تعززا، ولا تكبرا على المحسود، ولا خوفا من فوات مقصود، سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد. وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس، للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة. وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به، خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم، مهما نسخ علمهم

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى. فإنك تجد من لا يشتغل برياسة، وتكبر، ولا طلب مال، إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى، فيما

---

(1) الأعراف: ٦٣

أنعم الله به عليه ، يشق ذلك عليه . وإذا وصف له اضطراب أمور الناس ، وإدبارهم ، وفوات مقاصدهم ، وتنغص عيشهم ، فرح به . فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ؛ ويبخل بنعمة الله على عباده ، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته . ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه ، والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره . فهذا يبخل بنعمة الله تعالى ، على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة . وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث فى النفس ، ورذالة فى الطبع ، عليه وقعت الجبلة ، ومعالجته شديدة . لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب ، أسبابه عارضة يتصور زوالها ، فيطمع فى إزالتها . وهذا أخبث فى الجبلة ، لا عن سبب عارض فتعسر إزالته ، إذ يستحيل فى العادة إزالته . فهذه هى أسباب الحسد ، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب ، أو أكثرها ، أو جميعها فى شخص واحد ، فيعظم فيه الحسد بذلك ، ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، بل ينهتك حجاب المجاملة ، وتظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب . وقلما يتجرد سبب واحد منها .

بيان

السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التى ذكرناها ، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر ؛ إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر ؛ ولأنه يتكبر ؛ ولأنه عدو ، ولغير ذلك من الأسباب . وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط ، يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ، ويتواردون على الأغراض : فإذا خالف واحد منهم صاحبه فى غرض من الأغراض ، نفر طبعه عنه ، وأبغضه ، وثبت الحقد فى قلبه ؛ فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ، ويكافئه على مخالفته لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التى توصله إلى أغراضه ، وتترادف جملة من هذه الأسباب . إذ لا رابطة بين شخصين فى بلدتين متنائيتين ، فلا يكون بينهما

محاسدة . وكذلك فى محلتين . نعم إذا تجاورا فى مسكن . أوسوق ، أو مدرسة ، أومسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما . فيثور من التناقض التنافر والتباغض ، ومنه تثور بقية أسباب الحسد . ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم . والتاجر يحسد التاجر ؛ بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز ؛ إلا بسبب آخر سوى الاجتماع فى الحرفة .

ويحسد الرجل أخاه وابن عمه ، أكثر مما يحسد الأجانب . والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها ، أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته : لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف ، فلا يتزاحمون على المقاصد ، إذ مقصد البزاز الثروة ؛ ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون ، وإنما ينازعه فيه بزاز آخر . إذ حريف البزاز لا يطلبه الإسكاف بل البزاز . ثم مزاحمة البزاز المجاور له ، أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق . فلاجرم يكون حسده الجار أكثر

وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم ، لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها ، وينفرد بهذه الخصلة ، ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض . وكذلك يحسد العالم العالم . ولا يحسد الشجاع . ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص

فأصل هذه المحاسدات العداوة ، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد ، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين ؛ فلذلك يكثر الحسد بينهما . نعم من اشتد حرصه على الجاه ، وأحب الصيت فى جميع أطراف العالم بما هو فيه ، فإنه يحسد كل من هو فى العالم ؛ وإن بعد ، ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخر بها .

ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا ، فإن الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين . أما الآخرة فلا ضيق فيها . وإنما مثل الآخرة نعمة العلم . فلاجرم من يحب معرفة الله تعالى ، ومعرفة صفاته . وملائكته ؛ وأنبيائه ، وملكوت سمواته وأرضه ، لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا ، لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين ، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ، ويفرح بمعرفته ، ويلتذ به ، ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ، وثمرة الاستفادة والإفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة ، لأن مقصدهم معرفة الله تعالى ، وهو بحر واسع

لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى ، لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه ، وليس فيها ممانعة ومزاحمة ، ولا يضيق بعض الناظرين على بعض . بل يزيد الأنس بكثرتهم

مفارقة بين العلم والمال

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال ، والجاه ، تحاسدوا ، لأن المال أعيان وأجسام ، إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر . ومعنى الجاه ملك القلوب . ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، انصرف عن تعظيم الآخر ، أو نقص عنه لا محالة ، فيكون ذلك سببا للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى ؛ لم يمنع ذلك أن تمتلىء قلب غيره بها ، وأن يفرح بذلك . والفرق بين العلم والمال ، أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى . والعلم في قلب العالم مستقر ، ويحل في قلب غيره بتعليمه ، من غير أن يرتحل من قلبه . والمال أجسام وأعيان ، ولها نهاية : فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض ، لم يبق بعده مال يتملكه غيره . والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه . فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته ، وملكوت أرضه وسمائه ، صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعا منه ، ولا مزاحما فيه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق ، لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته ؛ بل زادت لذته بمؤانسته ؛ فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام ، أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة . فإن نعيم العارف وجنته معرفته ، التي هي صفة ذاته ، يأمن زوالها ، وهو أبدا يجني ثمارها . فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه ، وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة ، بل قطوفها دانية . فهو وإن غمض العين الظاهرة ، فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ، ورياض زاهرة . فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين ، بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ [1]) فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا . فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ، ومشاهدة المحبوب في العقبى ! فإذا لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة

انتفاء الحسد في الجنة

ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة ، لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى ، التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا . فأهل الجنة بالضرورة برآء

(١) الحجر : ٤٧

من الحسد فى الدنيا والآخرة جميعا . بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين ، إلى مضيق سجين . ولذلك وسم به الشيطان اللعين ؛ وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ، ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى ؛ وتمرد وعصى

فقد عرفت أنه لاحسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ؛ ولهذا لاترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ، ويتحاسدون على رؤية البساتين ، التى هى جزء يسير من جملة الأرض ، وكل الأرض لاوزن لها بالإضافة إلى السماء ، ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار ، فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا

فعليك إن كنت بصيرا ، وعلى نفسك مشفقا ، أن تطلب نعمة لازحمة فيها ، ولذة لا كدر لها ، ولا يوجد ذلك فى الدنيا إلا فى معرفة الله عز وجل ، ومعرفة صفاته وأفعاله ، وعجائب ملكوت السموات والأرض . ولا ينال ذلك فى الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضا . فإن كنت لاتشتاق إلى معرفة الله تعالى ، ولم تجد لذتها ، وفتر عنك رأيك ، وضعفت فيها رغبتك فأنت فى ذلك معذور ، إذ العنين لايشتاق إلى لذة الوقاع ، والصبي لايشتاق إلى لذة الملك فإن هذه اللذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين . فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال (رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ [1]) ولايشتاق إلى هذه اللذة غيرهم ؛ لأن الشوق بعد الذوق ؛ ومن لم يذق لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يشتق ، ومن لم يشتق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقى مع المحرومين فى أسفل السافلين (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ [2])

بيان

الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل . والعلم النافع لمرض الحسد ، هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين ،

---

(١) النور : ٤٧ (٢) الزخرف : ٣٦

وأنه لا ضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما . ومهما عرفت هذا عن بصيرة ، ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك ، فارقت الحسد لا محالة .

ضرر الحسد على دين الحاسد

أما كونه ضررا عليك فى الدين . فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى ، وكرهت نعمته التى قسمها بين عباده ، وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفى حكمته ، فاستنكرت ذلك واستبشعته . وهذه جناية على حدقة التوحيد ، وقذى فى عين الإيمان ، وناهيك بهما جناية على الدين . وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلا من المؤمنين . وتركت نصيحته ؛ وفارقت أولياء الله وأنبياءه فى حبهم الخير لعباده تعالى ؛ وشاركت إبليس وسائر الكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم . وهذه خبائث فى القلب ، تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب ؛ وتمحوها كما يمحو الليل النهار

ضرر الحسد فى الدنيا

وأما كونه ضررا عليك فى الدنيا ، فهو أنك تتألم بحسدك فى الدنيا ، أو تتعذب به ولا تزال فى كمد وغم ، إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم ؛ فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها ، وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم ، فتبقى مغموما ، محروما ، متشعب القلب ، ضيق الصدر ، قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك ، وتشتهيه لأعدائك ؛ فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت فى الحال محنتك وغمك نقدا ؛ ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك . ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب ، لكان مقتضى الفطنة ، إن كنت عاقلا ، أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته ؛ مع عدم النفع . فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة ! فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله ؛ بل مع ضرر يحتمله ، وألم يقاسيه ؛ فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة

عدم ضرر المحسود بالحسد فى الدين والدنيا

وأما أنه لا ضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح . لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة ، فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم ، قدره الله سبحانه ، فلا حيلة فى دفعه . بل كل شىء عنده بمقدار ، ولكل أجل كتاب . ولذلك شكا نبيّ من الأنبياء ، من امرأة ظالمة مستولية على الخلق ، فأوحى الله إليه فر من قدامها ؛ حتى تنقضى أيامها . أى ما قدرناه فى الأزل لا سبيل إلى تغييره ؛ فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء

بدوام إقبالها فيها . ومهما لم تزل النعمة بالحسد : لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة . ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي . وهذا غاية الجهل ، فإنه بلاء تشتهيه أولا لنفسك ، فإنك أيضا لا تخلو عن عدو يحسدك . فلو كانت النعمة تزول بالحسد : لم يبق لله تعالى عليك نعمة ، ولا على أحد من الخلق ، ولا نعمة الإيمان أيضا . لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان . قال الله تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ[1]) إذ ما يريده الحسود لا يكون . نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره ، فإن إرادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد : فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار ، وكذا سائر النعم .

وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك ، فهذا غاية الجهل والغباوة . فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضا ، يشتهي أن يخص بهذه الخاصية : ولست بأولى من غيرك ، فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد ، مما يجب عليك شكرها ، وأنت بجهلك تكرهها

انتفاع المحسود على حساب حاسده في الآخرة وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا : فواضح . أما منفعته في الدين، فهو أنه مظلوم من جهتك : لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل : بالغيبة : والقدح فيه : وهتك ستره ، وذكر مساويه : فهذه هدايا تهديها إليه . أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك، حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا ، محروما عن النعمة ، كما حرمت في الدنيا عن النعمة . فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة ، إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه ، فأضفت إليه نعمة إلى نعمة ، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . .

المحسود يغتبط باغتمام حاسده وأما منفعته في الدنيا ، فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء : وغمهم ؛ وشقاوتهم : وكونهم معذبين ، مغمومين ، ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد . وغاية أماني أعدائك : أن يكونوا في نعمة ، وأن تكون في غم وحسرة بسببهم . وقد فعلت بنفسك

---

(١) البقرة : ١٠٩

ماهو مراده . ولذلك لايشتهى عدوك موتك ، بل يشتهى أن تطول حياتك ، ولكن في عذاب الحسد ، لتنظر إلى نعمة الله عليه ، فينقطع قلبك حسدا . ولذلك قيل

لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذى يكمد

لازلت محسودا على نعمة فإنما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك ، أعظم من فرحه بنعمته . ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده . فما أنت فيما لازمه من غم الحسد، إلا كما يشتهيه عدوك

فإذا تأملت هذا ، عرفت أنك عدوّ نفسك ، وصديق عدوك ، إذ تعاطيت ماتضررت به فى الدنيا والآخرة ، وانتفع به عدوك فى الدنيا والآخرة ، وصرت مذموما عند الخالق والخلائق ، شقيا فى الحال والمآل . ونعمة المحسود دائمة ، شئت أم أبيت باقية .

الوقوع فى شباك الشيطان بالحسد

ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك ، حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على ابليس الذى هو أعدى أعدائك ، لأنه لما رآك محروما من نعمة العلم ، والورع ، والجاه ، والمال ، الذى اختص به عدوك عنك ، خاف أن تحب ذلك له ، فتشاركه فى الثواب بسبب المحبة ، لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا فى الخير . ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر فى الدين لم يفته ثواب الحب لهم ، مهما أحب ذلك . فخاف ابليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه ، فتفوز بثواب الحب ، فبغضه إليك ، حتى لا تلحقه بحبك . كما لم تلحقه بعملك . وقد قال أعرابى للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله [1] الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » وقام أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ، فقال [2] يارسول الله ، متى الساعة ؟ فقال « مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ » قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ، إلا أنى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » قال أنس ، فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ . إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كان حب الله ورسوله . قال أنس ، فنحن نحب رسول الله ، وأبا بكر ، وعمر ، ولا نعمل مثل عملهم ، ونرجو أن نكون معهم

---

(١) حديث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب : متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٢) حديث سؤال الاعرابى متى الساعة فقال ما أعددت لها ـ الحديث : متفق عليه من حديث أنس

وقال أبو موسى .[١] قلت يارسول الله ، الرجل يحب المصلين ولا يصلى ، ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ، إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما . فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فإن لم تستطع فلا تبغضهم . فقال سبحان الله ، لقد جعل الله لنا مخرجا

فانظر الآن كيف حسدك إبليس . ففوت عليك ثواب الحب ، ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك ، وحملك على الكراهة ، حتى أثمت . وكيف لا ، وعسالك تحاسد رجلا من أهل العلم ، وتحب أن يخطىء فى دين الله تعالى ، وينكشف خطؤه ليفتضح ، وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم ، أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم ؛ وأى إثم يزيد على ذلك ! فليتك إذ فاتك اللحاق به ، ثم اغتممت بسببه . سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء فى الحديث[٢] « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ الْمُحْسِنُ وَالْمُحِبُّ لَهُ وَالْكَافُّ عَنْهُ » أى من يكف عنه الأذى ، والحسد ، والبغض ، والكراهة . فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة ؛ حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة ، فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك فى عدوك ، بل على نفسك .

بل لو كوشفت بحالك فى يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد فى صورة من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقتله ، فلا يصيبه ، بل يرجع إلى حدقته اليمنى ، فيقلعها ، فيزيد غضبه ، فيعود ثانية ، فيرمى أشد من الأولى ، فيرجع إلى عينه الأخرى ، فيعميها ، فيزداد غيظه ، فيعود ثالثة ، فيعود على رأسه فيشجه ، وعدوه سالم فى كل حال ، وهو إليه راجع مرة بعد أخرى ، وأعداؤه حوله يفرحون به ، ويضحكون عليه . وهذا حال الحسود ؛ وسخرية الشيطان منه

---

(١) حديث أبى موسى قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلى ـ الحديث : وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من أحب

(٢) حديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه : لم أجد له أصلا

بل حالك فى الحسد أقبح من هذا ، لأن الرمية الفائتة لم تفوت إلا العينين ، ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة ؛ والحسد يعود بالإثم ،والإثم لا يفوت بالموت،ولعله يسوقه إلى غضب الله،وإلى النار.فلأن تذهب عينه فى الدنيا،خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار.فيقلعها لهيب النار

فانظر كيف انتقم الله من الحاسد ، إذ أراد زوال النعمة عن المحسود ، فلم يزلها عنه ، ثم أزالها عن الحاسد . إذ السلامة من الإثم نعمة . والسلامة من الغم والكمد نعمة ، وقد زالتا عنه ، تصديقا لقوله تعالى (وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ [١]) وربما يبتلى بعين مايشتهيه لعدوه ، وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها ؛ حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ماتمنيت لعثمان شيئا إلا نزل بى ؛ حتى لو تمنيت له القتل لقتلت

فهذا إثم الحسد نفسه : فكيف مايجر إليه الحسد من الاختلاف، وجحود الحق ،وإطلاق اللسان واليد بالفواحش فى التشفى من الأعداء ، وهو الداء الذى فيه هلك الأمم السالفة

فهذه هى الأدوية العلمية ، فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف ، وقلب حاضر ، انطفأت نار الحسد من قلبه ، وعلم أنه مهلك نفسه ، ومفرح عدوه . ومسخط ربه ، ومنغص عيشه

وأما العمل النافع فيه ، فهو أن يحكم الحسد : فكل مايتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغى أن يكلف نفسه نقيضه . فإن بعثه الحسد على القدح فى محسوده ، كلف لسانه المدح له ، والثناء عليه . وإن حمله على التكبر عليه : ألزم نفسه التواضع له ، والاعتذار إليه . وإن بعثه على كف الإنعام عليه ؛ ألزم نفسه الزيادة فى الإنعام عليه . فمهما فعل ذلك عن تكلف . وعرفه المحسود ، طاب قلبه وأحبه . ومهما ظهر حبه . عاد الحاسد فأحبه ، وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد ، لأن التواضع ، والثناء ، والمدح ، وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه . ويسترقه ، ويستعطفه ، ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان . ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول ، فيطيب قلبه ، ويصير ماتكلفه أولا طبعا آخرا . ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له: لو تواضعت وأثنيت عليه ، حملك العدو على العجز . أو على النفاق أو الخوف ، وأن ذلك مذلة ومهانة . وذلك من خدع الشيطان ومكايده . بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا ، تكسر سورة العداوة من الجانبين ، وتقل مرغوبها . وتعود القلوب

علاج الحسد بمخالفة نفسه

---

(١) فاطر : ٤٣

التآلف والتحاب ، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد ، وغم التباغض

فهذه هي أدوية الحسد . وهي نافعة جدا ، إلا أنها مرة على القلوب جدا . ولكن النفع في الدواء المر ، فمن لم يصبر على مرارة الدواء ، لم ينل حلاوة الشفاء . وإنما تهون مرارة هذا الدواء ، أعنى التواضع للأعداء ، والتقرب إليهم بالمدح والثناء ، بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها ، وقوة الرغبة فى ثواب الرضا بقضاء الله تعالى ، وحب ما أحبه ، وعزة النفس وترفعها عن أن يكون فى العالم شيء على خلاف مرادها جهل . وعند ذلك يريد ما لا يكون ، إذ لا مطمع فى أن يكون ما يريد . وفوات المراد ذل وخسة ، ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين ، إما بأن يكون ما تريد ، أو بأن تريد ما يكون . والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه . وأما الثانى فالمجاهدة فيه مدخل ، وتحصيله بالرياضة ممكن ، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلى .

فأما الدواء المفصل ، فهو تتبع أسباب الحسد ، من الكبر وغيره ، وعزة النفس : وشدة الحرص على ما لا يغنى . وسيأتى تفصيل مداواة هذه الأسباب فى مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا المرض ، ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة . فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ، ويطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده . فإنه مادام محبا للجاه . فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة فى قلوب الناس دونه ، ويغمه ذلك لا محالة . وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ، ولا يظهر بلسانه ويده ، فأما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه ، والله الموفق

بيان

القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب

اعلم أن المؤذى ممقوت بالطبع ، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالبا . فإذا تيسرت له نعمة ، فلا يمكنك أن لا تكرهها له ، حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما تفرقة ، ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له . ولكن إن قوى ذلك فيك ، حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل ، بحيث يعرف ذلك

من ظاهرك بأفعالك الاختيارية ، فأنت حسود عاص بحسدك . وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة ، وليس فى نفسك كراهة لهذه الحالة ، فأنت أيضا حسود عاص . لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل. قال الله تعالى (ولاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا [١]) وقال عزوجل (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً [٢]) وقال (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ [٣]) . أما الفعل ، فهو غيبة وكذب ، وهو عمل صادر عن الحسد ، وليس هو عين الحسد . بل محل الحسد القلب دون الجوارح . نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها ، بل هو معصية بينك وبين الله تعالى ، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح .

فأما إذا كففت ظاهرك ، وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة ، حتى كأنك تمقت نفسك على ما فى طبعها ، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل ، فى مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أديت الواجب عليك ، ولا يدخل تحت اختيارك فى أغلب الأحوال أكثر من هذا

فأما تغيير الطبع ، ليستوى عنده المؤذى والمحسن ، ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة ، أو تنصب عليهما من بلية سواء ، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ، مادام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا ، إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى ، مثل السكران الواله. فقد ينتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة ، وهى عين الرحمة . ويرى الكل عباد الله . وأفعالهم أفعالا لله ، ويراهم مسخرين . وذلك إن كان ، فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ، ويعود العدو إلى منازعته . أعنى الشيطان . فإنه ينازع بالوسوسة . فمهما قابل ذلك بكراهته . وألزم قلبه هذه الحالة ، فقد أدى ما كلفه .

وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه . لما روى عن الحسن ، أنه سئل عن الحسد فقال ، غمه فإنه لا يضرك مالم تبده . وروى عنه موقوفا

---

(١) الحشر : ٩ (٢) النساء : ٨٩ (٣) آل عمران : ١٢٠

ومرفوعاإلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال« ثَلَاثَةٌ لَا يَخْلُو مِنْهُنَّ الْمُؤْمِنُ وَلَهُ مِنْهُنَّ مَخْرَجٌ» فمخرجه من الحسد أن لا يبغى .

والأولى أن يحمل هذا على ماذكرناه ، من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل ، فى مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو . وتلك الكراهة تمنعه من البغى والإيذاء ، فإن جميع ماورد من الأخبار فى ذم الحسد ، يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم . ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لاعن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد . فإذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو فى محل الاجتهاد . والأظهر ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ، ومن حيث المعنى . إذ يبعد أن يعفى عن العبد فى إرادته إساءة مسلم ، واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة . وقد عرفت من هذا أن لك فى أعدائك ثلاثة أحوال

أحدها : أن تحب مساءتهم بطبعك ، وتكره حبك لذلك ، وميل قلبك إليه بعقلك ، وتمقت نفسك عليه ، وتود لو كانت لك حيلة فى إزالة ذلك الميل منك ، وهذا معفو عنه قطعا ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثانى : أن تحب ذلك ، وتظهر الفرح بمساءته . إما بلسانك أو بجوارحك ، فهذا هو الحسد المحظور قطعا

الثالث : وهو بين الطرفين ، أن تحسد بالقلب ، من غير مقت لنفسك على حسدك ، ومن غير إنكار منك على قلبك ، ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاه ، وهذا فى محل الخلاف . والظاهر أنه لا يخلو عن إثم . بقدر قوة ذلك الحب وضعفه ، والله تعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب ذمّ الدنيا

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات
من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى عرّف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها ، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها ، حتى نظروا فى شواهدها وآياتها ، ووزنوا بحسناتها سيآتها ، فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ، ولا يفى مرجوها بمخوفها ، ولا يسلم طلوعها من كسوفها . ولكنها فى صورة امرأة مليحة ، تستميل الناس بجمالها ، ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين فى وصالها . ثم هى فرارة عن طلابها . شحيحة بإقبالها ، وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها . إن أحسنت ساعة ، أساءت سنة . وإن أساءت مرة . جعلتها سنة . فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة ، وآفاتها على التوالى لصدور طلابها راشقة ، ومجارى أحوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها إلى الذل مصيره ، وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره . شأنها الهرب من طالبها ، والطلب لهاربها . ومن خدمها فاتته ، ومن أعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ، ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم ، وشبابها يسوق إلى الهرم ، ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم . فهى خداعة مكارة طيارة فرارة ، لا تزال تتزين لطلابها ، حتى إذا صاروا من أحبابها ، كشرت لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها ، وكشفت لهم عن مكنون عجابها ، فأذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها ، بينما أصحابها منها فى سرور وإنعام ، إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام ، ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد . ووارتهم فى أكفانهم تحت الصعيد . إن ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس ، جعلته حصيدا كأن لم يغن بالأمس . تمنى أصحابها سرورا ، وتعدهم غرورا ، حتى يأملون كثيرا ، ويبنون قصورا ، فتصبح قصورهم قبورا ،

وجعلهم بورا ؛ وسعيهم هباء منثورا ، ودعاءهم ثبورا ؛ هذه صفتها وكان أمر الله قدرا مقدورا
والصلاة على محمد عبده ورسوله ؛ المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا . وسراجا منيرا، وعلى من كان من أهله وأصحابه له فى الدين ظهيرا . وعلى الظالمين نصيرا ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فإن الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأولياء الله ، وعدوة لأعداء الله

أما عداوتها لله ، فإنها قطعت الطريق على عباد الله . ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها

وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل ؛ فإنها تزينت لهم بزينتها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها

وأما عداوتها لأعداء الله ، فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها ، فاقتنصتهم بشبكتها ؛ حتى وثقوا بها ، وعولوا عليها . فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها ، فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد ، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ؛ ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون ؛ بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ[1])

وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها ، فلابد أولا من معرفة حقيقة الدنيا ؛ وما هى ؛ وما الحكمة فى خلقها مع عداوتها ، وما مدخل غرورها وشرورها ؛ فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه . ونحن نذكر ذم الدنيا ؛ وأمثلتها وحقيقتها، وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها، ووجه الحاجة إلى أصولها ؛ وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى ؛ وهو المعين على ما يرتضيه

بيان
ذم الدنيا

الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرءان مشتمل على ذم الدنيا ، وصرف الخلق عنها، ودعوتهم إلى الآخرة . بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلاحاجة إلى الاستشهاد بآيات القرءان لظهورها ؛ وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها

(١) البقرة : ٨٦

الأحاديث الواردة في ذم الدنيا

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] مر على شـاة ميتة ، فقال « أَتُرَوْنَ هذه الشَّاةَ هَيِّنَةً عَلَى أَهْلِهَا ؟ » قالوا من هوانها ألقوها : قال « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ عَلَى أَهْلِهَا وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ مَا كَانَ لِلَّهِ مِنْهَا » وقال أبو موسى الأشعرى [٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ »

[٦] وقال زيد بن أرقم ، كنا مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه : فدعا بشراب ، فأتى بماء وعسل . فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه ، وسكتوا وما سكت . ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته . قال ثم مسح عينيه ، فقالوا ياخليفة رسول الله ماأبكاك ؟ قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا . فقلت يارسول الله : ما الذى تدفع عن نفسك ؟ قال « هَذِهِ الدُّنْيَا مُثِّلَتْ لِي فَقُلْتُ

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها ـ الحديث : ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر

(٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر : مسلم من حديث أبى هريرة

(٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها : الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وزاد الاذكر الله وماوالاه وعالم ومتعلم

(٤) حديث أبى موسى الأشعرى من أحب دنياه أضر بآخرته ـ الحديث : أحمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه

(٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة : ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا

(٦) حديث زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى ـ الحديث : وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ـ الحديث : البزار بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح اسناده وابن أبى الدنيا والبيهقى من طريقه بلفظه

لَهَا إِلَيْكِ عَنِّي ثُمَّ رَجَعَتْ فَقَالَتْ إِنَّكَ إِنْ أَفْلَتَّ مِنِّي لَمْ يُفْلِتْ مِنِّي مَنْ بَعْدَكَ »

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « يَاعَجَباً كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ » وروى (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة ، فقال « هَلُمُّوا إِلَى الدُّنْيَا » وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة ، وعظاما قد نخرت ، فقال « هٰذِهِ الدُّنْيَا » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق ، وأن الأجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية . وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَمُهِّدَتْ تَاهُوا فِي الْحِلْيَةِ وَالنِّسَاءِ وَالطِّيبِ وَالثِّيَابِ »

وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا . اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة . وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : يا معشر الحواريين ، إنى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى . فإن من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا . ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا . وقال أيضا ، بطحت لكم الدنيا ، وجلستم على ظهرها ، فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء . فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا ، فإنهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم . وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة . وقال أيضا ، الدنيا طالبة ومطلوبة : فطالب الآخرة تطلبه الدنيا ، حتى يستكمل فيها رزقه . وطالب الدنيا تطلبه الآخرة ، حتى يجىء الموت فيأخذ بعنقه

---

(١) حديث ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور : ابن أبى الدنيا من حديث أبى جرير مرسلا

(٢) حديث انه وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا ـ الحديث : ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمى مرسلا وفيه بقية بن الوليد وقد عنعنه وهو مدلس

(٣) حديث ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ـ الحديث : الترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد دون قوله ان بنى اسرائيل الخ والشطر الأول متفق عليه ورواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلا بالزيادة التى فى آخره

وقال موسى بن يسار[١]: قال النبى صلى الله عليه وسلم «إنّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمْ يَخلُقْ خَلْقًا أبْغَضَ إليْهِ منَ الدُّنيا وأنّهُ منْذُ خلَقها لمْ ينْظُرْ إليْها» وروى أن سليمان ابن داود عليهما السلام، مر فى موكبه والطير تظله، والجن والإنس عن يمينه وشماله، قال فمر بعابد من بنى إسرائيل؛ فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما، قال فسمع سليمان وقال، لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب، والتسبيحة تبقى. وقال صلى الله عليه وسلم[٢] «ألْهاكُمُ التَّكاثُرُ يقولُ ابنُ آدمَ مالِى مالِى وهلْ لكَ منْ مالِكَ إلاّ ما أكلْتَ فأفْنيْتَ أوْ لبِسْتَ فأبْليْتَ أوْ تصدَّقْتَ فأبْقيْتَ» وقال صلى الله عليه وسلم[٣] «الدُّنْيا دارُ منْ لا دارَ لهُ ومالُ منْ لا مالَ لهُ ولها يجْمعُ منْ لا عقْلَ لهُ وعليْها يُعادِى منْ لا عِلْمَ لهُ وعليْها يحْسُدُ منْ لا فِقْهَ لهُ ولها يسْعَى منْ لا يقِينَ لهُ» وقال صلى الله عليه وسلم[٤] «منْ أصْبحَ والدُّنْيا أكْبرُ همِّهِ فليْسَ منَ اللهِ فى شىْءٍ وألْزمَ اللهُ قلْبهُ أرْبعَ خِصالٍ همًّا لا ينْقطِعُ عنْهُ أبدًا وشُغْلاً لا يتفرَّغُ منْهُ أبدًا وفقْرًا لا يبْلُغُ غناهُ أبدًا وأملاً لا يبْلُغُ منْتهاهُ أبدًا» وقال أبو هريرة[٥]: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هُريْرةَ ألا أُرِيكَ الدُّنْيا جمِيعَها بما فِيها؟» فقلت بلى يا رسول الله. فأخذ بيدى، وأتى بى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رءوس أناس، وعذرات، وخرق، وعظام، ثم قال «يا أبا هُريْرةَ هذِهِ

(١) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها: ابن أبى الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقى فى الشعب من طريقه وهو مرسل

(٢) حديث ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى ـ الحديث: مسلم من حديث عبد الله بن الشخير

(٣) حديث الدنيا دار من لا دار له ـ الحديث: أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقيته وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه ومال من لا مال له وإسناده جيد

(٤) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء وألزم الله قلبه أربع خصال ـ الحديث: الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة مفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف

(٥) حديث أبى هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة ـ الحديث: لم أجد له أصلا

الرُّءُوسُ كَانَتْ تَحْرِصُ كَحِرْصِكُمْ وَتَأْمُلُ كَآمَالِكُمْ ثُمَّ هِيَ الْيَوْمَ عِظَامٌ بِلَا جِلْدٍ ثُمَّ هِيَ صَائِرَةٌ رَمَادًا وَهَذِهِ الْعَذِرَاتُ هِيَ أَلْوَانُ أَطْعِمَتِهِمْ اكْتَسَبُوهَا مِنْ حَيْثُ اكْتَسَبُوهَا ثُمَّ قَذَفُوهَا فِي بُطُونِهِمْ فَأَصْبَحَتْ وَالنَّاسُ يَتَحَامَوْنَهَا وَهَذِهِ الْخِرَقُ الْبَالِيَةُ كَانَتْ رِيَاشَهُمْ وَلِبَاسَهُمْ فَأَصْبَحَتْ وَالرِّيَاحُ تُصَفِّقُهَا وَهَذِهِ الْعِظَامُ عِظَامُ دَوَابِّهِمْ الَّتِي كَانُوا يَنْتَجِعُونَ عَلَيْهَا أَطْرَافَ الْبِلَادِ فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكِ » قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا

ويروى أن الله عزوجل : لما أهبط آدم إلى الأرض : قال له ابن للخراب ، ولد للفناء

وقال داود بن هلال ، مكتوب فى صحف إبراهيم عليه السلام ، يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم : إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك ، وما خلقت خلقا أهون على منك ، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير ، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ، ولا يدوم لك أحد ، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك . طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة . طوبى لهم ، مالهم عندى من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « الدُّنْيَا مَوْقُوفَةٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا وَتَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَارَبِّ اجْعَلْنِي لِأَدْنَى أَوْلِيَائِكَ الْيَوْمَ نَصِيبًا فَيَقُولُ اسْكُتِي يَا لَا شَيْءَ إِنِّي لَمْ أَرْضَكِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَأَرْضَاكِ لَهُمُ الْيَوْمَ » . وروى فى أخبار آدم عليه السلام : أنه لما أكل من الشجرة ، تحركت معدته لخروج الثفل ، ولم يكن ذلك مجعولا فى شىء من أطعمة الجنة إلا فى هذه الشجرة . فلذلك نهى عن أكلها . قال فجعل يدور فى الجنة : فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه ، فقال له قل له أى شىء تريد ؟ قال آدم ، أريد أن أضع ما فى بطنى من الأذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه ؟ على الفرش ؟ أم على السرر ؟ أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار ؟ هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط إلى الدنيا

---

(١) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها ـ الحديث : تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسلا ولم أجد باقيه

وقال صلى الله عليه وسلم (١) « لَيَجِيئَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَعْمَالُهُمْ كَجِبَالِ تِهَامَةَ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ » قالوا يارسول الله ، مصلين ؟ قال « نَعَمْ كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ هِنَةً مِنَ اللَّيْلِ فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَثَبُوا عَلَيْهِ »

وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه (٢) « الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ فَلْيَتَزَوَّدِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ وَمِنْ حَيَاتِهِ لِمَوْتِهِ وَمِنْ شَبَابِهِ لِهَرَمِهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ » .

وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن ؛ كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء واحد . وروى أن جبريل عليه السلام : قال لنوح عليه السلام ، ياأطول الأنبياء عمرا ، كيف وجدت الدنيا ؟ فقال كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر . وقيل لعيسى عليه السلام ، لو اتخذت بيتا يكنك ، قال يكفينا خلقان من كان قبلنا

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (٣) « احْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا أَسْحَرُ مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ »

وعن الحسن قال (٤) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُذْهِبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيرًا أَلَا إِنَّهُ مَنْ رَغِبَ فِي الدُّنْيَا وَطَالَ أَمَلُهُ فِيهَا أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصُرَ فِيهَا أَمَلُهُ أَعْطَاهُ اللَّهُ عِلْمًا بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدًى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ

---

(١) حديث ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار ـ الحديث : أبو نعيم فى الحلية من حديث سالم مولى أبى حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمى من حديث أنس وهو ضعيف أيضا

(٢) حديث المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى ـ الحديث : البيهقى فى الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع

(٣) حديث احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت : ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه من رواية أبى الدرداء الرهاوى مرسلا وقال البيهقى ان بعضهم قال عن أبى الدرداء عن رجل من الصحابة قال الذهبى لايدرى من أبو الدرداء ، قال وهذا منكر لا أصل له

(٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ـ الحديث : ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه هكذا مرسلا وفيه ابراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم

الْمُلْكُ إِلاَّ بِالْقَتْلِ وَالتَّجَبُّرِ وَلاَ الْغِنَى إِلاَّ بِالْفَخْرِ وَالْبُخْلِ وَلاَ الْمَحَبَّةُ إِلاَّ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى أَلاَ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَصَبَرَ عَلَى الْفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْغِنَى وَصَبَرَ عَلَى الْبَغْضَاءِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَصَبَرَ عَلَى الذُّلِّ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْعِزِّ لاَ يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ خَمْسِينَ صِدِّيقاً » . وروى أن عيسى عليه السلام ، اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما ، فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه ، فوقعت عينه على خيمة من بعيد، فأتاها فإذا فيها امرأة ، فحاد عنها ، فإذا هو بكهف فى جبل ، فأتاه . فإذا فيه أسد . فوضع يده عليه وقال ، إلهى جعلت لكل شىء مأوى ، ولم تجعل لى مأوى . فأوحى الله تعالى إليه : مأواك فى مستقر رحمتى ، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ، ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام ، يوم منها كعمر الدنيا ، ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم . وقال عيسى بن مريم عليه السلام ، ويل لصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها وما فيها ، وتغره ويأمنها ، ويثق بها وتخذله . وويل للمغترين ، كيف أرتهم ما يكرهون ، وفارقهم ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون . وويل لمن الدنيا همه ، والخطايا عمله ، كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، ياموسى : مالك ولدار الظالمين ؛ إنها ليست لك بدار ، أخرج منها همك ، وفارقها بعقلك ، فبئست الدار هى ، إلا لعامل يعمل فيها ، فنعمت الدار هى . ياموسى ، إنى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] : بعث أبا عبيدة بن الجراح ، فجاءه بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ، ثم قال « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ ؟ » قالوا أجل يارسول الله . قال « فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا

---

(١) حديث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة : متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى

كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ » وقال أبو سعيد الخدرى ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّ أَكْثَرَ مَاأَخَافُ عَلَيْكُمْ مَايُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ » فقيل مابركات الأرض ؟ قال « زَهْرَةُ الدُّنْيَا » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « لاَتُشْغِلُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ الدُّنْيَا » فنهى عن ذكرها : فضلا عن إصابة عينها

وقال عمار بن سعيد : مر عيسى عليه السلام بقرية : فإذاأهلها موتى فى الأفنيةوالطرق فقال يامعشر الحواريين ، إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا . فقالوا ياروح الله ، وددنا أن لو علمنا خبرهم . فسأل الله تعالى ، فأوحى إليه ، إذاكان الليل فنادهم يجيبوك . فلما كان الليل ، أشرف على نشز ، ثم نادى ياأهل القرية ، فأجابه مجيب لبيك ياروح الله . فقال ماحالكم وما قصتكم ؟ قال بتنا فى عافية ، وأصبحنا فى الهاوية. قال وكيف ذاك ؟ قال بحبنا الدنيا ، وطاعتنا أهل المعاصى . قال وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها ، وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها . قال فما بال أصحابك لم يجيبونى ؟ قال لأنهم ملجمون بلجم من نار ، بأيدى ملائكة غلاظ شداد . قال فكيف أجبتنى أنت من بينهم ؟ قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم : فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم ، فأنامعلق على شفير جهنم ، لاأدرى أنجو منها أم أكبكب فيها . فقال المسيح للحواريين، لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ، ولبس المسوح ،والنوم على المزابل ، كثير مع عافية الدنيا والآخرة

وقال أنس [٣] : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق . فجاء أعرابى بناقة له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين، فقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ وَضَعَهُ » وقال عيسى عليه السلام ، من الذي يبنى على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا . وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه . قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى .

---

(١) حديث أبى سعيد انأ كثر ماأخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الارض ـ الحديث : متفق عليه

(٢) حديث لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا: البيهقى فى الشعب من طريق ابن أبى الدنيا من رواية محمد ابن النضر الحارثى مرسلا

(٣) حديث أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق ـ الحديث: وفيه حق على الله أن لايرفع شيئا من الدنيا الاوضعه البخارى

تحذير أبي الدرداء من الدنيا

وقال أبو الدرداء (١) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا وَلَآثَرْتُمُ الْآخِرَةَ » ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه : لو تعلمون ما أعلم ، لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ، ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة ، وحضرها الأمل ، فصارت الدنيا أملك بأعمالكم ، وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته . ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ، ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ، ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم . ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ، ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته . ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم . لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا ، لآثرتم طلب الآخرة ، لأنها أملك لأموركم . فإن قلتم حب العاجلة غالب . فإنا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للآجل منها ، تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف ، في طلب أمر لعلكم لا تدركونه ، فبئس القوم أنتم : ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم . فإن كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فأتونا لنبين لكم ، ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم . والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم . إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم ، وتأخذون بالحزم في أموركم . ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه ، وتحزنون على اليسير منها يفوتكم ، حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم ، وتسمونها المصائب . وتقيمون فيها المآتم ، وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ، ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ، ولا يتغير حالكم . إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور ، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره ، مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله . فاصطحبتم على الغل ، ونبتت مراعيكم على الدمن ، وتصافيتم على رفض الأجل

---

(١) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبراني دون قوله ولهانت الخ وزاد ولخرجتم الى الصعدات ـ الحديث : وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلذذتم بالنساء على الفرش وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس وفي أفراد البخاري من حديث عائشة

ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم ، وألحقني بمن أحب رؤيته ، ولو كان حيا لم يصابركم . فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم ، وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا ، وبالله أستعين على نفسي وعليكم . وقال عيسى عليه السلام ، يامعشر الحواريين ، ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا . وفي معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا وما أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ، ياطالب الدنيا لتبر ، تركك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم [1] « لَتَأْتِيَنَّكُمْ بَعْدِي دُنْيَا تَأْكُلُ إِيمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، ياموسى لا تركنن إلى حب الدنيا ، فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها . ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ، ورجع وهو يبكي . فقال موسى ، يارب عبدك يبكي من مخافتك . فقال ياابن عمران ، لو سال دماغه مع دموع عينيه ، ورفع يديه حتى يسقطا ، لم أغفر له وهو يحب الدنيا

الآثار : قال علي رضي الله عنه ، مَنْ جمع فيه ست خصال ، لم يدع للجنة مطلبا ، ولا عن النار مهربا . أولها من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها . وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة ، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ، ثم راحوا خفافا . وقال أيضا رحمه الله ، من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره

وقال لقمان عليه السلام لابنه ، يابني ، إن الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الإيمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا . وقال الفضيل ، طالت فكرتي في هذه الآية (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا [1]) وقال بعض الحكماء ، إنك لن تصبح في شيء من الدنيا ، إلا وقد كان

(١) حديث لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب لم أجد له أصلا

(١) الكهف : ٧ ، ٨

له أهل قبلك ، وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا ، إلا عشاء ليلة وغداء يوم ؛ فلا تهلك في أكله ، وصم عن الدنيا ، وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار . وقيل لبعض الرهبان ، كيف ترى الدهر ؟ قال يخلق الأبدان، ويجدد الآمال ويقرب المنية، ويبعد الأمنية. قيل فما حال أهله؟ قال من ظفر به تعب، ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها ، فلا أسكن إليها ، فإن عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة ، أو منية قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص . وقال سفيان : أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها ، قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على المحبة لها ، لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر . ومن طلب الآخرة على المحبة لها ، لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر ، وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم . أشكو إليك حب الدنيا ، وليست لي بدار . فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها ، فلا تأخذه إلا من حله ، ولا تضعه إلا في حقه ، ولا يضرك حب الدنيا . وإنما قال هذا ، لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه ، حتى يتبرم بالدنيا ، ويطلب الخروج منها . وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فيجيء في طلبه فيأخذك . وقال الفضيل . لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى ، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى ، على ذهب يفنى . فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى . على ذهب يبقى ! وقال أبو حازم ، إياكم والدنيا ، فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة ، إذا كان معظماً للدنيا ، فيقال هذا عظم ما حقره الله. وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف، وماله عارية. فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة. وفي ذلك قيل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها ، فذكروا الدنيا ، فأقبلوا على ذمها ، فقالت اسكتوا عن ذكرها ، فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ؛ ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت ؟ فقال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل أيضا فى ذلك

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ماقد بناه تهدما

وقيل أيضا فى ذلك

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فىء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه ، يابنى ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا . ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا . وقال مطرف بن الشخير ، لاتنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس : إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق ، وجزء للكافر . فالمؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . وقال بعضهم ، الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب . وفى ذلك قيل

ياخاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
إن التى تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء ، من هوان الدنيا على الله أنه لايعصى إلا فيها ، ولا ينال ماعنده إلا بتركها . وفى ذلك قيل

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

وقيل أيضا

ياراقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة كر الجديدين إقبالا وإدبارا
ياأبادت صروف الدهر من ملك قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا
ياامن يعانق دنيا لابقاء لها يمسى ويصبح فى دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة　　حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها　　فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه ، لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، أتت إبليسَ جنوده فقالوا ، قد بعث نبي وأخرجت أمة . قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم . قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الأوثان : وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث ، أخذ المال من غير حقه ، وإنفاقه فى غير حقه ، وإمساكه عن حقه . والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلى كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا الدنيا . قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ، فى حلالها الحساب ، وفى حرامها العقاب ، ومتشابهها العتاب . وقيل له ذلك مرة أخرى فقال ، أطول أم أقصر ؟ فقيل قصر ، فقال حلالها حساب ، وحرامها عذاب .

وقال مالك بن دينار ، اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعنى الدنيا . وقال أبو سليمان الدارانى ، إذا كانت الآخرة فى القلب ، جاءت الدنيا تزاحمها . فإذا كانت الدنيا فى القلب ، لم تزاحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة ، والدنيا لئيمة ، وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح ، إذ قال ، الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب ، فأيهما غلب كان الآخر تبعا له . وقال مالك بن دينار ، بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك . وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه ، حيث قال ، الدنيا والآخرة ضرتان ، فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى . وقال الحسن ، والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا . وقال رجل للحسن ، ما تقول فى رجل آتاه الله مالا ، فهو يتصدق منه ، ويصل منه ، أيحسن له أن يتعيش فيه ، يعنى يتنعم . فقال لا ، لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ، ويقدم ذلك ليوم فقره

وقال الفضيل ، لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علىّ حلالا ، لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها ، كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه . وقيل ، لما قدم عمر رضي الله عنه الشام ، فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل ، فسلم وسأله

ثم أتى منزله فلم يرفيه إلا سيفه وترسه ورحله ، فقال له عمر رضي الله عنه ، لو اتخذت متاعا فقال ياأمير المؤمنين ؛ إن هذا يبلغنا المقيل . وقال سفيان ، خذ من الدنيا لبدنك ، وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن ، والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا

وقال وهب . قرأت في بعض الكتب ، الدنيا غنيمة الأكياس ، وغفلة الجهال ، لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا . وقال لقمان لابنه ، يابني ، إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها ، واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها ، أقرب من دار تباعد عنها . وقال سعيد بن مسعود ، إذا رأيت العبد تزداد دنياه ، وتنقص آخرته وهو به راض ، فذلك المغبون ، الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر

وقال عمرو بن العاص على المنبر ، [1] والله مارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم . والله مامر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذى عليه أكثر من الذى له. وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا[1]) من قال ذا ؟ قاله من خلقها ، ومن هو أعلم بها .إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال ، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل ، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا ، مسكين ابن آدم ، رضى بدار حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، إن أخذه من حله حوسب به ، وإن أخذه من حرام عذب به .ابن آدم يستقل ماله ، ولا يستقل عمله . يفرح بمصيبته فى دينه ، ويجزع من مصيبته في دنياه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز ، سلام عليك، أما بعد . فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات . فأجابه عمر ، سلام عليك ، كأنك بالدنيا ولم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض ، الدخول فى الدنيا هين ، ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم ، عجبا لمن يعرف أن الموت حق ، كيف يفرح ! وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك ! وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها ، كيف يطمئن إليها ! وعجبا لمن يعلم

(١) حديث عمرو بن العاص والله مارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم ـ الحديث : الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه

(١) لقمان : ٣٣

أن القدر حق ، كيف ينصب ! وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران ، عمره مائتاسنة . فسأله عن الدنيا كيف وجدها؟ فقال سنيات بلاء ، وسنيات رخاء . يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ، ويهلك هالك . فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها . فقال له سل ماشئت . قال : عمر مضى فترده ، أو أجل حضر فتدفعه . قال لا أملك ذلك . قال لا حاجة لى إليك

وقال داود الطائى رحمه الله ، يا ابن آدم ، فرحت ببلوغ أملك ، وإنما بلغته بانقضاء أجلك . ثم سوفت بعملك ، كأن منفعته لغيرك . وقال بشر ، من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ، ما فى الدنيا شيء يسرك ، إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث ، أنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد ، قد نلت الغنى . فقال إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا .

وقال أبو سليمان : لا يصبر عن شهوات الدنيا ، إلا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار ، اصطلحنا على حب الدنيا ، فلا يأمر بعضنا بعضا ، ولا ينهى بعضنا بعضا ، ولا يدعنا الله على هذا ، فليت شعرى أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم ، يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن ، أهينوا الدنيا ، فوالله ماهى لأحد بأهنأ منها لمن أهانها . وقال أيضا ، إذا أراد الله بعبد خيرا ، أعطاه من الدنيا عطية ، ثم يمسك فإذا نفد أعاد عليه . وإذا هان عليه عبد ، بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول فى دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، أمسك الدنيا عنى ، وقال محمد بن المنكدر ، أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا ينام ، وتصدق بماله ، وجاهد فى سبيل الله ، واجتنب محارم الله ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة ، فيقال إن هذا عظم فى عينه ما صغره الله ، وصغر فى عينه ما عظمه الله ، كيف ترى يكون حاله ؟ فمن منا ليس هكذا ؟ الدنيا عظيمة عنده ، مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا

وقال أبو حازم ، اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة ، فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعوانا . وأما مؤنة الدنيا ، فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها ، إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه .

وقال أبو هريرة : الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى ، تنادى ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها ، يارب ، يارب : لم تبغضنى ؟ فيقول لها اسكتى يالاشىء . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا ، والذنوب فى القلب قد احتوشته ؟ فمتى يصل الخير إليه ؟ وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشىء من الدنيا ، فقد أخطأ الحكمة . ومن جعل شهوته تحت قدميه ، فرق الشيطان من ظله . ومن غلب علمه هواه ، فهو الغالب . وقيل لبشر : مات فلان . فقال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه . قيل له إنه كان يفعل ويفعل ، وذكروا أبوابا من البر ، فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا ؟

وقال بعضهم : الدنيا تبغض إلينا نفسها ، ونحن نحبها . فكيف لو تحببت إلينا . وقيل لحكيم ، الدنيا لمن هى ؟ قال لمن تركها . فقيل الآخرة لمن هى ؟ قال لمن طلبها . وقال حكيم ، الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها . والجنة دار عمران ، وأعمر منها قلب من يطلبها . وقال الجنيد ، كان الشافعى ، رحمه الله ، من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا ، وعظ أخا له فى الله ، وخوفه بالله ، فقال يا أخى ، إن الدنيا دحض مزلة ، ودار مذلة ، عمرانها إلى الخراب صائر ، وساكنها إلى القبور زائر ، شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار ، والإعسار فيها يسار ، فافزع إلى الله ، وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك ، فإن عيشك فىء زائل ، وجدار مائل . أكثر من عملك ، وأقصر من أملك

وقال ابراهيم بن أدهم لرجل : أدرهم فى المنام أحب إليك أم دينار فى اليقظة ؟ فقال دينار فى اليقظة . فقال كذبت ، لأن الذى تحبه فى الدنيا ، كأنك تحبه فى المنام . والذى لا تحبه فى الآخرة ، كأنك لا تحبه فى اليقظة . وعن اسماعيل بن عياش قال : كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة ، فيقولون إليك عنا ياخنزيرة . فلو وجدوا لها إسما أقبح من هذا لسموها به . وقال كعب ، لتحببن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها . وقال يحيى بن معاذ الرازى ، رحمه الله العقلاء ثلاثة ، من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضا ، الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله ، فكيف الوقوع فيها . وقال بكر بن عبد الله ، من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا ، كان كمطفىء النار بالتبن . وقال بندار ، إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد ، فاعلم أنهم فى سخرة الشيطان

وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها ، يعني الحرص ، حتى يصير رمادا . ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها . فصار سبيكة ذهب ينتفع به . ومن أقبل على الله عز وجل ، أحرقته نيران التوحيد ، فصار جوهرا لا حد لقيمته

وقال علي كرم الله وجهه ، إنما الدنيا ستة أشياء ، مطعوم ، ومشروب ، وملبوس ، ومركوب ، ومنكوح ، ومشموم . فأشرف المطعومات العسل ، وهو مذقة ذباب . وأشرف المشروبات الماء ، ويستوى فيه البر والفاجر . وأشرف الملبوسات الحرير ، وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس ، وعليه يقتل الرجال . وأشرف المنكوحات المرأة ، وهي مبال في مبال . وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ، ويراد أقبح شيء منها . وأشرف المشمومات المسك ، وهو دم

بيان

المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم ، يا أيها الناس اعملوا على مهل ، وكونوا من الله على وجل ، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها ، وتزينت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة . فكم من عاشق لها قتلت ، ومطمئن إليها خذلت . فانظروا إليها بعين الحقيقة ، فإنها دار كثير بوائقها ، وذمها خالقها ، جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذل ، وكثيرها يقل ، ودها يموت ، وخيرها يفوت . فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم ، وانتبهوا من رقدتكم ، قبل أن يقال فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل ؟ أو هل إلى الطبيب من سبيل ؟ فتدعى لك الأطباء ، ولا يرجى لك الشفاء . ثم يقال فلان أوصى ، ولماله أحصى . ثم يقال قد ثقل لسانه ، فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه . وعرق عند ذلك جبينك ، وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجلج لسانك ، وبكى إخوانك ، وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ، ومنعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطلق . ثم حل بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك

إخوانك ، وأحضرت أكفانك فغسلوك ، وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتهنا بأعمالك

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها ، وأعطى حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه ، أو على جمعه فتفرقه ، أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد ، أو تدب إلى جسمه فتسقمه ، أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم : هى الآخذة ماتعطى . الراجعة فيما تهب . بينا هى تضحك صاحبها ، إذ أضحكت منه غيره . وبينا هى تبكى له ، إذ أبكت عليه . وبينا هى تبسط كفها بالإعطاء ، إذ بسطتها بالاسترداد . فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم ، وتعفره بالتراب غدا . سواء عليها ذهاب ماذهب ، وبقاء ما بقى ، تجد فى الباقى من الذاهب خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري ، إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة ، فاحذرها ياأمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها . لها فى كل حين قتيل ، تذل من أعزها ، وتفقر من جمعها . هى كالسم يأكله من لايعرفه ، وفيه حتفه . فكن فيها كالمداوى جراحه ، يحتمى قليلا ، مخافة مايكره طويلا . ويصبر على شدة الدواء ، مخافة طول الداء. فاحذر هذه الدار الغدارة : الختالة الخداعة ، التى قد تزينت بخدعها ، وفتنت بغرورها ، وحلت بآمالها ، وسوفت بخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة . وهى لأزواجها كلهم قالية . فلا الباقى بالماضى معتبر ، ولا الآخر بالأول مزدجر ، ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر . فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ، ونسى المعاد ، فشغل فيها لبه : حتى زلت به قدمه ، فعظمت ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه ، وحسرات الفوت بغصته . وراغب فيها لم يدرك منها ماطلب ، ولم يروح نفسه من التعب ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ، فاحذرها ياأمير المؤمنين ، وكن أسر ماتكون فيها ، أحذر ماتكون لها . فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ، السار فى أهلها غار ، والنافع فيها غدا ضار . وقد وصل الرخاء منها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها إلى فناء .

فسرورها مشوب بالأحزان ، لا يرجع منها ماولى وأدبر ، ولا يدرى ماهو آت ، فينتظر . أمانيها كاذبة : وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد : وابن آدم فيها على خطر ، إن عقل ونظر . فهو من النعماء على خطر : ومن البلاء على حذر . فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ، ولم يضرب لها مثلا : لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ، ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر ، وفيها واعظ ، فمالها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها [1] . ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة ، فأبى أن يقبلها ، إذكره أن يخالف على الله أمره ، أو يحب ماأبغضه خالقه ، أو يرفع ماوضع مليكه . فزواها عن الصالحين اختبارا ، وبسطها لأعدائه اغترارا ، فيظن المغرور بها ، المقتدر عليها ، أنه أكرم بها ، ونسى ماصنع الله عزوجل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، [2] حين شد الحجر على بطنه ، ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل ، أنه قال لموسى عليه السلام ، إذا رأيت الغنى مقبلا ، فقل ذنب عجلت عقوبته. وإذا رأيت الفقر مقبلا ، فقل مرحبا بشعار الصالحين. وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة ، عيسى بن مريم عليه السلام ، فإنه كان يقول ، إدامى الجوع ، وشعارى الخوف ، ولباسى الصوف ، وصلائى فى الشتاء مشارق الشمس : وسراجى القمر ، ودابتى رجلاى ، وطعامى وفاكهتى ماأنبتت الأرض ، أبيت وليس لى شيء ، وأصبح وليس لى شيء . وليس على الأرض أحد أغنى منى . وقال وهب بن منبه : لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون ، قال لا يرو عنكما لباسه الذى لبس من الدنيا ، فإن ناصيته بيدى : ليس ينطق : ولا يطرف ، ولا يتنفس إلا بإذنى ولا يعجبنكما ماتمتع به منها فإنما هى زهرة الحياة الدنيا : وزينة المترفين . فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا ، يعرف

---

(١) حديث الحسن وكتب به الى عمر بن عبد العزيز عرضت أى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها ـ الحديث : ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورواه أحمد والطبرانى متصلا من حديث أبى مويهبة فى أثناء حديث فيه انى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ـ الحديث: وسنده صحيح وللترمذى من حديث أبى امامة عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ـ الحديث:

(٢) حديث الحسن مرسلا فى شده الحجر على بطنه : ابن أبى الدنيا أيضا هكذا وللبخارى من حديث أنس رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين وقال حديث غريب

فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما : افعلت . ولكني أرغب بكما عن ذلك ، فأزوى ذلك عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ، كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة ، وإني لأجنبهم ملاذها ، كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل الغرة . وما ذاك لهوانهم عليّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا . إنما يتزين لي أوليائي بالذل ، والخوف ، والخضوع ، والتقوى تنبت في قلوبهم ، وتظهر على أجسادهم ، فهي ثيابهم التي يلبسون ، ودثارهم الذي يظهرون ، وضميرهم الذي يستشعرون ، ونجاتهم التي بها يفوزون ، ورجاؤهم الذي إياه يأملون ، ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون . فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك . واعلم أنه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، ثم أنا الثائر له يوم القيامة .

خطبة على كرم الله وجهه في ذم الدنيا

وخطب علي كرم الله وجهه يوما خطبة ، فقال فيها ، اعلموا أنكم ميتون ، ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومجزيون بها . فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فإنها بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة . وكل ما فيها إلى زوال ، وهي بين أهلها دول وسجال . لا تدوم أحوالها ، ولا يسلم من شرها نزالها . بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور . أحوال مختلفة ، وتارات منصرفة . العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم : وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة : ترميهم بسهامها ، وتقصيهم بحمامها ، وكل حتفه فيها مقدور ، وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا ، وأشد منكم بطشا ، وأعمر ديارا ، وأبعد آثارا . فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها ، وأجسادهم بالية ، وديارهم على عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة ، الصخور والأحجار المسندة ، في القبور اللاطئة الملحدة ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان ، على ما بينهم من قرب المكان والجوار ، ودنو الدار . وكيف يكون بينهم تواصل ، وقد طحنهم بكلكله البلا ، وأكلتهم الجنادل والثرى ، وأصبحوا

بعد الحياة أمواتا ، وبعد نضارة العيش رفاتا ، فجع بهم الأحباب ، وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب ، هيهات هيهات (كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [١]) فكأن قد صرتم إلى ماصاروا إليه ، من البلا والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذاك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع : فكيف بكم لو عاينتم الأمور ، وبعثرت القبور ، وحصل مافى الصدور ، وأوقفتم للتحصيل ، بين يدى الملك الجليل . فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والأستار ، وظهرت منكم العيوب والأسرار ، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت . إن الله عز وجل يقول (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى [٢]) وقال تعالى (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ [٣]) الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ، متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله ، إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض ، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ، ويخترمك بلياليه وأيامه ، حتى يستغرق جميع أجزائك . فكيف بقاء سلامتك ، مع وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص ، لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعات بك . ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار ، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها ، وإنها لأمرّ من العلقم إذا عجنها الحكيم . وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها ، وما تأتى به من العجائب ، أكثر مما يحيط به الواعظ ، اللهم أرشدنا إلى الصواب

وقال بعض الحكماء ، وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال ، الدنيا وقتك الذى يرجع إليك فيه طرفك ، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه ، ومالم يأت فلا علم لك به . والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته ، وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات ، وانخرام الشمل ، وتنقل الدول . والأمل طويل ، والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور : وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس ، إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى ، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى . إنما خلقتم للأبد ، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله ، إنكم

خطبة عمر بن عبد العزيز

(١) المؤمنون : ١٠٠ (٢) النجم : ٣١ (٣) الكهف : ٤٩

فى داركم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه، وخالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل

خطبة لعلى كرم الله وجهه

وقال على كرم الله وجهه فى خطبته ، أوصيكم بتقوى الله ، والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها ، المبلية أجسامكم ، وأنتم تريدون تجديدها . فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر ، سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه ، وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه . وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى إلى الغاية ، وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها . فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع ، ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال . عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه

مثل لمحمد بن الحسين

وقال محمد بن الحسين ، لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا ، وأنه لم يرضها لأوليائه ، وأنها عنده حقيرة قليلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها ، وحذر أصحابه من فتنتها ، أكلوا منها قصدا ، وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى ، وتركوا ما يلهى . لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ، ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية ، وإلى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب ، فخربوا الدنيا ، وعمروا بها الآخرة . ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم ، فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم ، فارتحلوا إليها بقلوبهم ، لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم . تعبوا قليلا ، وتنعموا طويلا . كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم ، أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان

صفة الدنيا بالأمثلة

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء ، قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ، ثم تخلف فى الوفاء . تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة ، وهى سائرة سيرا عنيفا ، ومرتحلة ارتحالا سريعا . ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها ، فيطمئن إليها . وإنما يحس عند انقضائها

ومثالها الظل ، فإنه متحرك ساكن متحرك فى الحقيقة ، ساكن فى الظاهر ، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة . ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد وقال:

أحلام نوم أو كظل زائل		إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، يتمثل كثيرا ويقول

ياأهل لذات دنيا لا بقاء لها		إن اغترارا بظل زائل حمق

وقيل إن هذا من قوله

ويقال أن أعرابيا نزل بقوم ، فقدموا إليه طعاما ، فأكل ، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك ، فاقتلعوا الخيمة ، فأصابته الشمس ، فانتبه فقام وهو يقول

ألا إنما الدنيا كظل ثنية		ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل

وإن امرأ دنياه أكبر همه		لمستمسك منها بحبل غرور

تمثيل الدنيا بالحلم

مثال آخر للدنيا ، من حيث التغرير بخيالاتها ، ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها تشبه خيالات المنام ، وأضغاث الأحلام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « الدُّنْيَا حُلْمٌ وَأَهْلُهَا عَلَيْهَا مُجَازَوْنَ وَمُعَاقَبُونَ » وقال يونس بن عبيد ، ما شبهت نفسى فى الدنيا إلا كرجل نام ، فرأى فى منامه ما يكره وما يحب . فبينما هو كذلك إذ انتبه . فكذلك الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه ، وفرحوا به .

وقيل لبعض الحكماء ، أى شيء أشبه بالدنيا ، قال أحلام النائم

تمثيل الدنيا بالمرأة الغادرة

مثال آخر للدنيا ، فى عداوتها لأهلها ، وإهلاكها لبنيها

اعلم أن طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج أولا ، والتوصل إلى الإهلاك آخرا . وهى كامرأة تتزين للخطاب ، حتى إذا نكحتهم ذبحتهم . وقد روى أن عيسى عليه السلام ، كوشف بالدنيا ، فرآها فى صورة عجوز هتماء ، عليها من كل زينة ، فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم ، قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك ؟ قالت بل كلهم قتلت . فقال عيسى عليه السلام ، بؤسا لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ! كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ، ولا يكونون منك على حذر !

---

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون : لم أجد له أصلا

مثال آخر للدنيا ، فى مخالفة ظاهرها لباطنها .

اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر ، قبيحة السرائر . وهى شبه عجوز متزينة ، تخدع الناس بظاهرها ، فإذا وقفوا على باطنها ، وكشفوا القناع عن وجهها ، تمثل لهم قبائحها ، فندموا على اتباعها ، وخجلوا من ضعف عقولهم فى الاغترار بظاهرها . وقال العلاء بن زياد ، رأيت فى المنام عجوزا كبيرة ، متغضنة الجلد ، عليها من كل زينة الدنيا ، والناس عكوف عليها معجبون ، ينظرون إليها . فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها ، وإقبالهم عليها . فقلت لها ويلك من أنت ؟ قالت أوما تعرفنى؟ قلت لا أدرى من أنت ، قالت أنا الدنيا . قلت أعوذ بالله من شرك . قالت إن أحببت أن تعاذ من شرى فابغض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش ، رأيت الدنيا فى النوم عجوزا مشوهة شمطاء ، تصفق بيديها ، وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون . فلما كانت بحذائى ، أقبلت علىّ فقالت ، لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء . ثم بكى أبو بكر وقال ، رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض : قال ابن عباس ، يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية ، مشوه خلقها فتشرف على الخلائق ، فيقال لهم أتعرفون هذه ؟ فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه . فيقال هذه الدنيا التى تناحرتم عليها ، بها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم . ثم يقذف بها فى جهنم ، فتنادى أى رب ، أين أتباعى وأشياعى ؟ فيقول الله عز وجل ، ألحقوا بها أتباعها وأشياعها . وقال الفضيل ، بلغنى أن رجلا عرج بروحه ، فإذا امرأة على قارعة الطريق ، عليها من كل زينة من الحلى والثياب ، وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته فإذا هى أدبرت كانت أحسن شىء رآه الناس ، وإذا هى أقبلت كانت أقبح شىء رآه الناس عجوزا شمطاء ، زرقاء عمشاء . قال فقلت أعوذ بالله منك . قالت لا والله ، لا يعيذك الله منى حتى تبغض الدرهم . قال فقلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا

مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها

اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا ، وهى ماقبل وجودك إلى الأزل . وحالة لاتكون فيها مشاهدا للدنيا ، وهى مابعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل ، وهى أيام حياتك فى الدنيا . فانظر إلى مقدار طولها ، وانسبه إلى طرفى الأزل

والأبد ، حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير ، في سفر بعيد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [١] « مَالِي وَلِلدُّنْيَا وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَرُفِعَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فَقَالَ تَحْتَ ظِلِّهَا سَاعَةً ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه ، في ضر وضيق ، أو في سعة ورفاهية . بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] ، وما وضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة [٣] ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من جص ، فقال أرى الأمر أعجل من هذا ، وأنكر ذلك

وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال ، الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وهو مثال واضح ، فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة ، والمهد هو الميل الأول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر . وبينهما مسافة محدودة . فمن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثها ، ومنهم من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها . وكيفما كان فلا بد له من العبور . والبناء على القنطرة ، وتزيينها بأصناف الزينة ، وأنت عابر عليها ، غاية الجهل والخذلان

مثال آخر للدنيا في لين موردها ، وخشونة مصدرها

اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة ، يظن الخائض فيها أن حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها ، وهيهات . فإن الخوض في الدنيا سهل ، والخروج منها مع السلامة شديد . وقد كتب علي رضي الله عنه ، إلى سلمان الفارسي مثالها فقال : مثل الدنيا مثل الحية ، لين مسها ، ويقتل سمها . فأعرض عما يعجبك منها ، لقلة ما يصحبك منها . وضع عنك همومها ، بما أيقنت من فراقها . وكن أسر ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها . فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام

(١) حديث مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب ـ الحديث : الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس

(٢) حديث ما وضع لبنة على لبنة ـ الحديث : ابن حبان في الثقات وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عني أو سره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة ـ الحديث :

(٣) حديث رأى بعض أصحابه يبني بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا : أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح

تمثيل الدنيا بالماء الذي لا بد أن يبتل خائضه

مثال آخر للدنيا ، فى تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الدُّنْيَا كَالْمَاشِي فِي الْمَاءِ هَلْ يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَمْشِي فِي الْمَاءِ أَنْ لَا تَبْتَلَّ قَدَمَاهُ » وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون فى نعيم الدنيا بأبدانهم ، وقلوبهم منها مطهرة ، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك مكيدة من الشيطان . بل لو أخرجوا مما هم فيه ، لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها . فكما أن المشى على الماء يقتضى بللا لا محالة يلتصق بالقدم ، فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب . بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة . قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم ، كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع ، كذلك صاحب الدنيا ، لا يلتذ بالعبادة ، ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا . وبحق أقول لكم ، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن ، تصعب ويتغير خلقها . كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ، ونصب العبادة ، تقسو وتغلظ . وبحق أقول لكم ، إن الزق مالم ينخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل . كذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات ، أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم ، فسوف تكون أوعية للحكمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّمَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَإِنَّمَا مَثَلُ عَمَلِ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ وَإِذَا خَبُثَ أَعْلَاهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ »

تمثيلها بالثوب المشقوق المتعلق على خيطه

مثال آخر لما بقى من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما سبق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] « مَثَلُ هَذِهِ الدُّنْيَا مَثَلُ ثَوْبٍ شُقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَبَقِيَ مُتَعَلِّقًا بِخَيْطٍ فِي آخِرِهِ فَيُوشِكُ ذَلِكَ الْخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ »

---

(١) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء ـ الحديث : ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من رواية الحسن وقال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقى فى الشعب وفى الزهد من رواية الحسن عن أنس

(٢) حديث إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة ـ الحديث : ابن ماجه من حديث معاوية فرقه فى موضعين ورجاله ثقات

(٣) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره أبو الشيخ ابن حبان فى الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أنس بسند ضعيف

مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك

تمثيل طالب الدنيا بشارب ماء البحر

قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا ، مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربا ، ازداد عطشا حتى يقتله

مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ، ولنضارة أوائلها ، وخبث عواقبها

تمثيلها بالطعام ابتداء أوله وخبيث آخره

اعلم أن شهوات الدنيا فى القلب لذيذة : كشهوات الأطعمة فى المعدة . وسيجد العبد عند الموت : لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح، مايجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت فى المعدة غايتها . وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما ، وأكثر دسما ، وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا ، فكذلك كل شهوة فى القلب هى أشهى وألذ وأقوى، فنتنها وكراهتها والتأذى بها عند الموت أشد . بل هى فى الدنيا مشاهدة . فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده ، فتكون مصيبته وألمه وتفجعه فى كل مافقد ، بقدر لذته به، وحبه له . وحرصه عليه . فكل ماكان عند الوجود أشهى عنده وألذ، فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد مافى الدنيا . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم [١] قال للضحاك ابن سفيان الكلابى « أَلَسْتَ تُؤْتَى بِطَعَامِكَ وَقَدْ مُلِّحَ وَقُزِّحَ ثُمَّ تَشْرَبُ عَلَيْهِ اللَّبَنَ وَالْماء » قال بلى . قال « فَإِلَامَ يَصِيرُ ؟ » قال إلى ماقدعلمت يارسول الله . قال « فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مَثَلَ الدُّنْيَا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ طَعَامُ ابْنِ آدَمَ » . وقال أبى بن كعب [٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الدُّنْيَا ضُرِبَتْ مَثَلاً لابْنِ آدَمَ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنِ ابْنِ آدَمَ وَإِنْ قَذَّحَهُ وَمَلَّحَهُ إِلَامَ يَصِيرُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِنَّ اللهَ ضَرَبَ الدُّنْيَا لِمَطْعَمِ ابْنِ آدَمَ مَثَلاً وَضَرَبَ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ لِلدُّنْيَا مَثَلاً وَإِنْ قَزَّحَهُ وَمَلَّحَهُ » وقال الحسن : قد

---

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلابى ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ـ الحديث : وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم أحمد والطبرانى من حديثه بنحوه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه

(٢) حديث أبى بن كعب ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث : الطبرانى وابن حبان بلفظ أن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد فى زياداته بلفظ جعل

(٣) حديث أن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا ـ الحديث: الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذى تقدم من حديث الضحاك بن سفيان ان الله ضرب ما يخرج من بنى آدم مثلا للدنيا

رأيتم يطيبونه بالأفاويه والطيب ، ثم يرمون به حيث رأيتم . وقد قال الله عز وجل ، (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ[1]) قال ابن عباس ، إلى رجيعه . وقال رجل لابن عمر ، إنى أريد أن أسألك وأستحي . قال فلا تستحي واسأل . قال إذا قضى أحدنا حاجته، فقام ينظر إلى ذلك منه . قال نعم ، إن الملك يقول له انظر إلى مابخلت به ، انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول ، انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب بهم إلى مزبلة ، فيقول انظروا إلى ثمارهم ، ودجاجهم ، وعسلهم ، وسمنهم

مثال آخر فى نسبة الدنيا إلى الآخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَثَلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ بِمَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ »

حقارة الدنيا بالنسبة للآخرة

مثال آخر للدنيا وأهلها، فى اشتغالهم بنعيم الدنيا، وغفلتهم عن الآخرة. وخسرانهم العظيم بسببها

تمثيلها بالسفينة واختلاف أحوال ركابها

اعلم أن أهل الدنيا مثلهم فى غفلتهم ، مثل قوم ركبوا سفينة ، فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة ، وحذرهم المقام، وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا فى نواحى الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة ، فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن ، وألينها ، وأوفقها لمراده . وبعضهم توقف فى الجزيرة ، ينظر إلى أنوارها ، وأزهارها العجيبة ، وغياضها الملتفة، ونغمات طيورها الطيبة، وألحانها الموزونة الغريبة ، وصار يلحظ من بريتها أحجارها ، وجواهرها ، ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر ، العجيبة النقوش، السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها، وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع إليها ، فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا ، فاستقر فيه

وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار ، وأعجبه حسنها ، ولم تسمح نفسه بإهمالها ، فاستصحب منها جملة، فلم يجد فى السفينة إلا مكانا ضيقا . وزاده ما حمله من الحجارة

---

(١) حديث ما الدنيا فى الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع إليه : مسلم من حديث المستورد بن شداد .

---

(١) عبس : ٢٤

ضيقا . وصار ثقيلا عليه ووبالا ، فندم على أخذه ، ولم يقدر على رميه ، ولم يجد مكانا لوضعه فحمله فى السفينة على عنقه ، وهو متأسف على أخذه ، وليس ينفعه التأسف .

وبعضهم تولج الغياض ، ونسى المركب ، وبعد فى متفرجه ومتنزهه منه ، حتى لم يبلغه نداء الملاح ، لاشتغاله بأكل تلك الثمار ، واستشمام تلك الأنوار ، والتفرج بين تلك الأشجار ، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع ، وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه ، وغصن يجرح بدنه ، وشوكة تدخل فى رجله . وصوت هائل يفزع منه ، وعوسج يخرق ثيابه ، ويهتك عورته ، ويمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف متثاقلا بما معه ولم يجد فى المركب موضعا ، فبقى فى الشط حتى مات جوعا ، وبعضهم لم يبلغه النداء ، وسارت السفينة ، فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ، ومنهم من مات فى الأوحال ، ومنهم من نهشته الحيات ، فتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار ، فقد استرقته ، وشغله الحزن بحفظها ، والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه ، فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار ، وكمدت تلك الألوان والأحجار ، فظهر نتن رائحتها ، فصارت مع كونها مضيقة عليه ، مؤذية له بنتنها ووحشتها ، فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها فى البحر هربا منها . وقد أثر فيه ما أكل منها ، فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح ، فبلغ سقيما مدبرا . ومن رجع قريبا ، ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح . ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما

فهذا مثال أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ، ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم . وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض ، وهى الذهب والفضة ، وهشيم النبت ، وهى زينة الدنيا ، وشىء من ذلك لا يصحبه عند الموت ، بل يصير كلاً ووبالا عليه ، وهو فى الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه . وهذه حال الخلق كلهم ، إلا من عصمه الله عز وجل

مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم

مثل الضعف الإيمانه والاغترار بالدنيا

وقال الحسن رحمه الله [١] : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَوْ مَا بَقِيَ أَنْفَدُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْمَفَازَةِ وَلاَ زَادَ وَلاَ حُمُولَةَ فَأَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ تَقْطُرُ رَأْسُهُ فَقَالُوا هَذَا قَرِيبُ عَهْدٍ بِرِيفٍ وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلاَّ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ يَاهَؤُلاَءِ فَقَالُوا يَاهَذَا فَقَالَ عَلاَمَ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا عَلَى مَا تَرَى فَقَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاءٍ وَرِيَاضٍ خُضْرٍ مَا تَعْمَلُونَ ؟ قَالُوا لاَ نَعْصِيكَ شَيْئًا قَالَ عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطَوْهُ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ بِاللهِ لاَ يَعْصُونَهُ شَيْئًا قَالَ فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً رَوَاءً وَرِيَاضًا خُضْرًا فَمَكَثَ فِيهِمْ مَاشَاءَ اللهُ ثُمَّ قَالَ يَاهَؤُلاَءِ قَالُوا يَاهَذَا قَالَ الرَّحِيلَ قَالُوا إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَائِكُمْ وَإِلَى رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ : وَاللهِ مَاوَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّا لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بِعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا ؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ وَهُمْ أَقَلُّهُمْ أَلَمْ تُعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهُودَكُمْ وَمَوَاثِيقَكُمْ بِاللهِ أَنْ لاَ تَعْصُوهُ شَيْئًا وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ فَوَاللهِ لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ فَرَاحَ فِيمَنِ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بَقِيَّتُهُمْ فَبَدَرَهُمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ »

مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ، ثم تفجعهم على فراقها

الدنيا عارية لا تمتلك

اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا ، مثل رجل هيأ دارا وزينها ، وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد . فدخل واحد داره ، فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ، ليشمه ويتركه لمن يلحقه ، لا ليتملكه ويأخذه ، فجهل رسمه ،

---

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء ـ الحديث : ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبزار والطبراني من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث : وفيه فقال أي أحد الملكين ان مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فذكر نحوه أخصر منه واسناده حسن

وظن أنه قد وهب ذلك منه. فعلق به قلبه لما ظن أنه له . فلما استرجع منه ضجر وتفجع . ومن كان عالما برسمه ، انتفع به وشكره ، ورده بطيب قلب وانشراح صدر

وكذلك من عرف سنة الله فى الدنيا ، علم أنها دار ضيافة ، سبلت على المجتازين لا على المقيمين ، ليتزودوا منها ، وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعوارى ، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها :

فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها : نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

بيان

حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ، مالم تعرف الدنيا المذمومة ما هى ، وما الذى ينبغى أن يجتنب منها ، وما الذى لا يجتنب . فلابد وأن تبين الدنيا المذمومة ، المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هى فنقول : دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ، فالقريب الدانى منها يسمى دنيا ، وهو كل ما قبل الموت . والمتراخى المتأخر يسمى آخرة ، وهو ما بعد الموت . فكل مالك فيه حظ ، ونصيب ، وغرض ، وشهوة ، ولذة ، عاجل الحال قبل الوفاة . فهى الدنيا فى حقك إلا أن جميع مالك إليه ميل ، وفيه نصيب وحظ : فليس بمذموم ، بل هو ثلاثة أقسام .

القسم الأول : ما يصحبك فى الآخرة ، وتبقى معك ثمرته بعد الموت ، وهو شيئان ، العلم ، والعمل فقط . وأعنى بالعلم العلم بالله ، وصفاته : وأفعاله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وملكوت أرضه وسمائه ، والعلم بشريعة نبيه . وأعنى بالعمل ، العبادة الخالصة لوجه الله تعالى . وقد يأنس العالم بالعلم ، حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده ، فيهجر النوم ، والمطعم . والمنكح فى لذته ، لأنه أشهى عنده من جميع ذلك . فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ، ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة ، لم نعد هذا من الدنيا أصلا ، بل قلنا إنه من الآخرة

وكذلك العابد ، قد يأنس بعبادته فيستلذها ، بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم

المقوبات عليه ، حتى قال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وكان آخر يقول : اللهم ارزقني قوة الصلاة ، والركوع ، والسجود في القبر . فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة : وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه : من حيث الاشتقاق من الدنو ، ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك

وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا . وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة ، وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع : والسجود ، إنما يكون في الدنيا : ، فلذلك أضافها إلى الدنيا ، إلا أنا لسنا في هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة ، فنقول هذه ليست من الدنيا .

القسم الثاني : وهو المقابل له على الطرف الأقصى : كل ما فيه حظ عاجل ، ولا ثمرة له في الآخرة أصلا ، كالتلذذ بالمعاصي كلها ، والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات ، والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات : كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام ، والحرث ، والغلمان ، والجواري ، والخيول ، والمواشي ، والقصور : والدور ، ورفيع الثياب ، ولذائذ الأطعمة . فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة . وفيما يعد فضولا ، أو في محل الحاجة ، نظر طويل ، إذ روى عن عمر رضي الله عنه ، أنه استعمل أبا الدرداء على حمص ، فاتخذ كنيفا أنفق عليه درهمين ، فكتب إليه عمر : من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر ، قد كان لك في بناء فارس والروم ، ما نكتفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها : فإذا أتاك كتابي هذا ، فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك . فلم يزل بها حتى مات . فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه

القسم الثالث ، وهو متوسط بين الطرفين ، كل حظ في العاجل ، معين على أعمال الآخرة . كقدر القوت من الطعام ، والقميص الواحد الخشن ، وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة ، التي بها يتوصل إلى العلم والعمل . وهذا ليس من الدنيا كالقسم

---

(١) حديث حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة : النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح

الأول ، لأنه معين على القسم الأول : ووسيلة إليه فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل ، لم يكن به متناولا للدنيا ، ولم يصر به من أبناء الدنيا . وإن كان باعثه الحظ العاجل ، دون الاستعانة على التقوى ، التحق بالقسم الثانى ، وصار من جملة الدنيا

ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات ، صفاء القلب : أعنى طهارته عن الأدناس وأنسه بذكر الله تعالى ، وحبه لله عز وجل . وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا . والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى ، والمواظبة عليه ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة . ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر . وهذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت . أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا ، فهى من المنجيات إذ تكون جُنَّة بين العبد وبين عذاب الله ، كما ورد فى الأخبار [1] « أنَّ أَعْمَالَ الْعَبْدِ تُنَاضِلُ عَنْهُ فَإِذَا جَاءَ الْعَذَابُ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ جَاءَ قِيَامُ اللَّيْلِ يَدْفَعُ عَنْهُ وَإِذَا جَاءَ مِنْ جِهَةِ يَدَيْهِ جَاءَتِ الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ عَنْهُ » الحديث

وأما الأنس والحب فهما من المسعدات ، وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة ؛ وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت ، إلى أن يدخل أوان الرؤية فى الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة . وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ، ولم يكن له إلا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن دوام الأنس بدوام ذكره ، ومطالعة جماله فارتفعت العوائق ، وأفلت من السجن ، وخلى بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسروراً سليما من الموانع ، آمنا من العوائق ، وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ، ولم يكن له محبوب إلا الدنيا ، وقد غصب منه ، وحيل بينه وبينه ، وسدت عليه طرق الحيلة فى الرجوع إليه . ولذلك قيل

ما حال من كان له واحد　　غيب عنه ذلك الواحد

---

(١) حديث مناضلة أعمال العبد عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل فدفع عنه ـ الحديث : الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزمى ضعفه البخارى وأبو حاتم ولأحمد من حديث أسماء بنت أبى بكر اذا دخل الإنسان قبره فان كان مؤمنا [illegible] عمله الصلاة والصيام ـ الحديث : وإسناده صحيح

وليس الموت عدما . إنما هو فراق لمحاب الدنيا ، وقدوم على الله تعالى . وإذاً سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث ، وهى الذكر ، والفكر ، والعمل الذى يفطمه عن شهوات الدنيا ؛ ويبغض إليه ملاذها ، ويقطعه عنها . وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن . وصحة البدن لا تنال إلا بقوت ، وملبس ؛ ومسكن ؛ ويحتاج كل واحد إلى أسباب . فالقدر الذى لابد منه من هذه الثلاثة ، إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة ؛ لم يكن من أبناء الدنيا ، وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة . وإن أخذ ذلك لحظ النفس ، وعلى قصد التنعم ، صار من أبناء الدنيا ، والراغبين فى حظوظها . إلا أن الرغبة فى حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ، ويسمى ذلك حراما ، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ، ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالا . والبصير يعلم أن طول الموقف فى عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب ، فمن نوقش الحساب عذب[1] ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] « حَلاَلُهَا حِسَابٌ وَحَرَامُهَا عَذَابٌ » وقد قال أيضا « حَلاَلُهَا عَذَابٌ » إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب ، لكان مايفوت من الدرجات العلى فى الجنة ، وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها ، هو أيضا عذاب . وقس به حالك فى الدنيا ، إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية ، كيف يتقطع قلبك عليها حسرات ، مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها ؛ ومنغصة بكدورات لا صفاء لها . فما حالك فى فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها ، وتنقطع الدهور دون غايتها .

فكل من تنعم فى الدنيا ولو بسماع صوت من طائر ، أو بالنظر إلى خضرة ، أو شربة ماء بارد ، فإنه ينقص من حظه فى الآخرة أضعافه . وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه[3] « هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِى تُسْأَلُ عَنْهُ » أشار به إلى الماء البارد؛ والتعرض لجواب السؤال فيه ذل ؛ وخوف ، وخطر ، ومشقة ، وانتظار . وكل ذلك من نقصان

---

(١) حديث من نوقش الحساب عذب: متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه موقوفا على على بن أبى طالب باسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا

(٣) حديث هذا من النعيم الذى تسئل عنه تقدم فى الاطعمة

الحظ . ولذلك قال عمر رضى الله عنه ، اعزلوا عنى حسابها ، حين كان به عطش ، فعرض عليه ماء بارد بعسل ؛ فأداره فى كفه ، ثم امتنع عن شربه .

فالدنيا قليلها وكثيرها ؛ حرامها وحلالها ؛ ملعونة إلا ماأعان على تقوى الله . فإن ذلك القدر ليس من الدنيا . وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن ، كان حذره من نعيم الدنيا أشد . حتى أن عيسى عليه السلام ؛ وضع رأسه على حجر لما نام ، ثم رماه ، إذتمثل له إبليس وقال ؛ رغبت فى الدنيا . وحتى أن سليمان عليه السلام فى ملكه ، كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ؛ وهو يأكل خبز الشعير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة ، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة ، مع القدرة عليها ووجودها أشد . ولهذا روى أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم [(١)] ؛ فكان يطوى أياما ؛ [(٢)] وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع . ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، كل ذلك نظرا لهم ، وامتنانا عليهم ؛ ليتوفر من الآخرة حظهم . كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ، ويلزم ألم الفصد والحجامة ، شفقة عليه ، وحبا له ، لابخلا عليه . وقد عرفت بهذا أن كل ماليس لله فهو من الدنيا ، وما هو لله فذلك ليس من الدنيا

فإن قلت فما الذى هو لله ؟

فأقول الأشياء ثلاثة أقسام . منها مالايتصور أن يكون لله ، وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات ، وأنواع التنعمات فى المباحات ، وهى الدنيا المحضة المذمومة . فهى الدنيا صورة ومعنى

ومنها ماصورته لله ، ويمكن أن يجعل لغير الله ، وهى ثلاثة ، الفكر ، والذكر ، والكف عن الشهوات . فإن هذه الثلاثة إذا جرت سرا ، ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر ، فهى لله ؛ وليست من الدنيا . وإن كان الغرض من الفكر ، طلب العلم للتشرف به ، وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة ، أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال

---

(١) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أيام : محمد بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يارسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك ـ الحديث : وهو من طريق ابن اسحاق معنعنا وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله ـ الحديث : قال الترمذى حسن صحيح

(٢) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم

أو الحمية لصحة البدن . أو الاشتهار بالزهد ، فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى ، وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى . ومنها ماصورته لحظ النفس . ويمكن أن يكون معناه لله . وذلك كالأكل ، والنكاح ، وكل مايرتبط به بقاؤه وبقاء ولده . فإن كان القصد حظ النفس . فهو من الدنيا . وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى ، فهو لله بمعناه ، وإن كانت صورته صورة الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالاً مُكَاثِرًا مُفَاخِرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ وَمَنْ طَلَبَهَا اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَصِيَانَةً لِنَفْسِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد

فإذاً الدنيا حظ نفسك العاجل ، الذي لاحاجة إليه لأمر الآخرة ، ويعبر عنه بالهوى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [١]) ومجامع الهوى خمسة أمور ، وهي ماجمعه الله تعالى في قوله (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ [٢]) والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة ، يجمعها قوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [٣]) . فقد عرفت أن كل ماهو لله فليس من الدنيا . وقدر ضرورة القوت ، ومالابد منه من مسكن وملبس ، هو لله إن قصد به وجه الله . والاستكثار منه تنعم ، وهو لغير الله . وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ، ولها طرفان وواسطة . طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر ، فإن الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن . وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه ، وينبغي أن يحذر منه . وبينهما وسائط متشابهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . والحزم في الحذر والتقوى ، والتقرب من حد الضرورة ما أمكن ، اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام ، إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى أن أويسا القرني ، كان يظن أهله أنه مجنون ، لشدة تضييقه على نفسه ، فبنوا له بيتا

---

(١) حديث من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ـ الحديث : أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

---

(١) النازعات : ٤١ (٢) الحديد : ٢٠ (٣) آل عمران : ١٤

على باب دارهم ، فكان يأتي عليهم السنة ، والسنتان ، والثلاث : لايرون له وجها . وكان يخرج أول الأذان : ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة . وكان طعامه أن يلتقط النوى : وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره : وإن لم يصب مايقوته من الحشف باع النوى، واشترى بثمنه مايقوته . وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية : فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ، ثم يلبسها . فكان ذلك لباسه . وكان ربما مر الصبيان ، فيرمونه ويظنون أنه مجنون : فيقول لهم ، ياإخوتاه ، إن كنتم ولا بدأن ترموني ،فارموني بأحجار صغار ، فإني أخاف أن تدموا عقبي ، فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء .فهكذا كانت سيرته . ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ، فقال[1] « إِنِّي لأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمٰنِ مِنْ جَانِبِ الْيَمَنِ » إشارة إليه رحمه الله .

شهادة ابن الخطاب في أويس القرني

ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : أيهاالناس : من كان منكم من العراق فليقم . قال فقاموا . فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة . فجلسوا . فقال اجلسوا إلا من كان من مراد . فجلسوا . فقال اجلسوا إلا من كان من قرن . فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا . فقال له عمر ، أقرني أنت ؟ فقال نعم . فقال أتعرف أويس بن عامر القرني ؟ فوصفه له ، فقال نعم : وماذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين ! والله مافينا أحمق منه ، ولا أجن منه ، ولا أوحش منه ، ولا أدنى منه . فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ، ماقلت ماقلت إلا لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] يقول ، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .فقال هرم بن حيان : لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب ، قدمت الكوفة . فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرني ، وأسأل عنه ، حتى سقطت عليه جالسا على شاطيء الفرات نصف النهار ، يتوضأ ويغسل ثوبه . قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي ، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة ، محلوق الرأس ، كث اللحية ، متغير جداً ، كريه الوجه ، متهيب المنظر . قال فسلمت عليه ، فرد علي السلام ونظر إلي . فقلت حياك الله من رجل . ومددت يدي لأصافحه ،

زيارة ابن حيان لأويس القرني

---

(١) حديث إني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به الى أويس القرني تقدم في قواعد العقائد لم أجد له أصلا

(٢) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورويناه في جزء ابن السماك من حديث أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر واسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان المشيخة يرون ان ذلك الرجل عثمان بن عفان

فأبى أن يصافحني. فقلت رحمك الله يا أويس وغفر لك ، كيف أنت رحمك الله . ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ، ورقتي عليه ، إذ رأيت من حاله ما رأيت ، حتى بكيت وبكى . فقال وأنت فحياك الله ياهرم بن حبان ، كيف أنت يا أخي ؟ومن دلك علي ؟ قال قلت الله . فقال لا إله إلا الله سبحان الله ، إن كان وعد ربنا لمفعولا . قال فعجبت حين عرفني ، ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني . فقلت من أين عرفت اسمي واسم أبي ، وما رأيتك قبل اليوم ؟ قال نبأني العليم الخبير ، وعرفت روحي روحك ، حين كلمت نفسي نفسك ، إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد ، وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ، ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ، يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار ، وتفرقت بهم المنازل . قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحديث أسمعه منك . قال إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن لي معه صحبة. بأبي وأمي رسول الله . ولكن رأيت رجالا قد صحبوه ، وبلغني من حديثه كما بلغك ، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب ، أن أكون محدثا ، أو مفتيا ، أو قاضيا . في نفسي شغل عن الناس ياهرم بن حيان . فقلت يا أخي إقرأ علي آية من القرآن أسمعها منك ، وادع لي بدعوات ؛ وأوصني بوصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله حبا شديدا . قال فقام وأخذ بيدي على شاطىء الفرات ، ثم قال ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم بكى ، ثم قال ،قال ربي ،والحق قول ربي ، وأصدق الحديث حديثه ، وأصدق الكلام كلامه ، ثم قرأ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [١]) حتى انتهى إلى قوله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [٢]) فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه . ثم قال ، ياابن حيان ، مات أبوك حيان ، ويوشك أن تموت ، فإما إلى جنة وإما إلى نار . ومات أبوك آدم ، وماتت أمك حواء ، ومات نوح ، ومات ابراهيم خليل الرحمن ، ومات موسى نجي الرحمن ، ومات داود خليفة الرحمن ، ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وهو رسول رب العالمين ، ومات أبو بكر خليفة المسلمين ، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي . ثم قال ياعمراه ياعمراه . قال فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت ، قال فقد نعاه إلي ربي ، ونعي إلي نفسي

(١) ، (٢) الدخان : من ٣٨ إلى ٤٢

ثم قال ، أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان . ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا بدعوات خفيات، ثم قال هذه وصيتى إياك ياهرم بن حيبان، كتاب الله، ونهج الصالحين المؤمنين ،فقد نعيت إلى نفسى و نفسك،عليك بذكر الموت ،لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم ، وانصح للأمة جميعا . وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر ، فتفارق دينك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار يوم القيامة . ادع لى ولنفسك . ثم قال ، اللهم إن هذا يزعم أنه يحبنى فيك ، وزارنى من أجلك ، فعرفنى وجهه فى الجنة ، وأدخله علىّ فى دارك دار السلام ، واحفظه مادام فى الدنيا حيثما كان ، وضم عليه ضيعته ، وأرضه من الدنيا باليسير ، وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا ، واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين ، وأجزه عنى خير الجزاء . ثم قال استودعك الله ياهرم بن حيبان ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى ،فإنى أكره الشهرة،والوحدة أحب إلى ، إنى كثير الهم ، شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا ، فلا تسأل عنى ولا تطلبنى، واعلم أنك منى على بال وإن لم أرك ولم ترنى فاذكرنى ، وادع لى ، فإنى سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله . انطلق أنت ههنا ، حتى أنطلق أنا ههنا . فحرصت أن أمشى معه ساعة ، فأبى على ، وفارقته ، فبكى وأبكانى ، وجعلت أنظر فى قفاه ، حتى دخل بعض السكك ، ثم سألت عنه بعد ذلك ، فما وجدت أحدا يخبرنى عنه بشىء ، رحمه الله وغفر له

فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا . وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ، ومن سيرة الأنبياء والأولياء ، أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء ، وأقلته الغبراء ، إلا ما كان لله عز وجل من ذلك . وضد الدنيا الآخرة ، وهو كل ما أريد به الله تعالى ، مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا ، لأجل قوة طاعة الله ، وذلك ليس من الدنيا . ويتبين هذا بمثال . وهو أن الحاج إذا حلف أنه فى طريق الحج ، لا يشتغل بغير الحج ، بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد ، وعلف الجمل وخرز الراوية ، وكل مالا بد للحج منه لم يحنث فى يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج . فكذلك البدن مركب النفس ، تقطع به مسافة العمر ، فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل ، هو من الآخرة لا من الدنيا .

نعم إذا قصد تلذذ البدن، وتنعمه بشيء من هذه الأسباب، كان منحرفا عن الآخرة، ويخشى على قلبه القسوة . قال الطنافسي : كنت على باب بنى شيبة فى المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت فى الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم ، ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه . فهذا بيان حقيقة الدنيا فى حقك، فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى

بيان

حقيقة الدنيا فى نفسها وأشغالها التى استغرقت هِمم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورِدهم

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة ، للإنسان فيها حظ ، وله فى إصلاحها شغل. فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها ، وليس كذلك

أعيان الدنيا الموجودة بها

أما الأعيان الموجودة التى الدنيا عبارة عنها ، فهى الأرض وما عليها . قال الله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً [١]) فالأرض فراش للآدميين ، ومهاد ، ومسكن ، ومستقر ، وما عليها لهم ملبس ، ومطعم، ومشرب، ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: المعادن ، والنبات ، والحيوان . أما النبات ، فيطلبه الآدمى للاقتيات والتداوى . وأما المعادن ، فيطلبها للآلات والأوانى ، كالنحاس والرصاص ، وللنقد كالذهب والفضة ، ولغير ذلك من المقاصد . وأما الحيوان ، فينقسم إلى الإنسان ، والبهائم . أما البهائم ، فيطلب منها لحومها للمآكل، وظهورها للمراكب والزينة، وأما الإنسان فقد يطلب الآدمى أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان ، أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان . ويطلب قلوب الناس ليملكها ، بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذى يعبر عنه بالجاه ، إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين . فهذه هى الأعيان التى يعبر عنها بالدنيا ، وقد جمعها الله تعالى فى قوله (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ [٢]) وهذا من الإنس (وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ [٣]) وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلىء واليواقيت وغيرها (وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ [٤]) وهى

---

(١) الكهف : (٢ و ٣ و ٤) آل عمران : ١٤

البهائم والحيوانات (وَالْحَرْثِ (١)) وهو النبات والزرع .

فهذه هى أعيان الدنيا ؛ إلا أن لها مع العبد علاقتين ، علاقة مع القلب ، وهو حبه لها وحظه منها ، وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد ؛ أو المحب المستهتر بالدنيا . ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا ، كالكبر ، والغل ، والحسد والرياء ، والسمعة وسوء الظن ، والمداهنة ، وحب الثناء ، وحب التكاثر والتفاخر ، وهذه هى الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهى الأعيان التى ذكرناها . العلاقة الثانية مع البدن ، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان ؛ لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره ، وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها . والخلق إنما نسوا أنفسهم ، ومآبهم ، ومنقلبهم بالدنيا ، لهاتين العلاقتين ؛ علاقة القلب بالحب ، وعلاقة البدن بالشغل . ولو عرف نفسه ، وعرف ربه ، وعرف حكمة الدنيا وسرها ، علم أن هذه الأعيان التى سميناها دنيا ، لم تخلق إلا لعلف الدابة التى يسير بها إلى الله تعالى . وأعنى بالدابة البدن . فإنه لا يبقى إلا بمطعم ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن . كما لا يبقى الجمل فى طريق الحج إلا بعلف ، وماء ، وجلال .

ومثال العبد فى الدنيا فى نسيانه نفسه ومقصده ، مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق ، ولا يزال يعلف الناقة ، ويتعهدها ، وينظفها ، ويكسوها ألوان الثياب ، ويحمل إليها أنواع الحشيش ، ويبرد لها الماء بالثلج ، حتى تفوته القافلة ، وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة ؛ وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع هو وناقته . والحاج البصير لايهمه من أمر الجمل إلا القدر الذى يقوى به على المشي ، فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج . وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة . فكذلك البصير فى السفر الآخرة ، لايشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة ، كما لايدخل بيت الماء إلا لضرورة . ولا فرق بين إدخال الطعام فى البطن وبين إخراجه من البطن ، فى أن كل واحد منهما ضرورة البدن ، ومن همته مايدخل بطنه فقيمته مايخرج منها . وأكثر ماشغل الناس عن الله تعالى هو البطن . فإن القوت ضرورى وأمر المسكن والملبس أهون . ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور ، واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا . وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها ؛ وحظوظهم منها . ولكنهم

(١) آل عمران : ١٤

جهلوا وغفلوا ، وتتابعت أشغال الدنيا عليهم ، واتصل بعضها ببعض ، وتداعت إلى غير نهاية محدودة ، فتاهوا فى كثرة الأشغال ، ونسوا مقاصدها . ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا ، وكيفية حدوث الحاجة إليها ، وكيفية غلط الناس فى مقاصدها ، حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى ، وكيف أنستهم عاقبة أمورهم فنقول :

الأشغال الدنيوية هى الحرف ، والصناعات ، والأعمال التى ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الأشغال ، هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث ، القوت ، والمسكن ، والملبس فالقوت للغذاء والبقاء ، والملبس لدفع الحر والبرد ، والمسكن لدفع الحر والبرد ، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال . ولم يخلق الله القوت ، والمسكن ، والملبس ، مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه . نعم خلق ذلك للبهائم ، فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبخ ، والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه ، فيستغنى عن البناء ، ويقنع بالصحراء ، ولباسها شعورها وجلودها ، فتستغنى عن اللباس . والإنسان ليس كذلك ، فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات ، هى أصول الصناعات ، وأوائل الأشغال الدنيوية ، وهى الفلاحة ، والرعاية ، والاقتناص ، والحياكة ، والبناء . أما البناء فللمسكن . والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة ، فللملبس . والفلاحة للمطعم . والرعاية للمواشى . والخيل أيضا للمطعم والمركب . والاقتناص نعنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد ، أو معدن ، أو حشيش ، أو حطب فالفلاح يحصل النباتات ، والراعى يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمى . وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمى . ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة

ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات ، كالحياكة ، والفلاحة ، والبناء ، والاقتناص والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب ، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات ، النجارة ، والحدادة والخرز ، وهؤلاء هم عمال الآلات . ونعنى بالنجار كل عامل فى الخشب كيفما كان . وبالحداد كل عامل فى الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابرى وغيرهما . وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الخراز ، فنعنى به كل عامل فى جلود الحيوانات وأجزائها ،

حاجة الإنسان إلى الاجتماع

فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده؛ بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين: أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما . والثانى :التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد. فإن الاجتماع يفضى إلى الولد لامحالة . والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت . ثم ليس يكفيه اجتماع مع الأهل والولد فى المنزل ، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك مالم تجتمع طائفة كثيرة ،ليتكفل كل واحد بصناعة ، فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده : وهو يحتاج إلى آلاتها ، وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز . وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس : وهو يفتقر إلى حراسة القطن، وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة . فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده ، وحدثت الحاجة إلى الاجتماع .

حاجة الناس إلى البناء والبلاد

ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة ، لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ، ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات ، والأثاث ، والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر ، وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها . لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل ، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون ، والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل . فحدثت البلاد لهذه الضرورة.

الحاجة إلى أهل السياسة والحرف وغيرها

ثم مهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا ، تولدت بينهم خصومات ، إذ تحدث رياسة : وولاية للزوج على الزوجة ، وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة : بخلاف الولاية على البهائم ، إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظلمت . فأما المرأة فتخاصم الزوج، والولد يخاصم الأبوين، هذا فى المنزل وأما أهل البلد أيضا ، فيتعاملون فى الحاجات ، ويتنازعون فيها ، ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا . وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة : يتواردون على المراعى : والأراضى ، والمياه ، وهى لا تفى بأغراضهم ، فيتنازعون لامحالة . ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة ، بعمى ، أو مرض ، أو هرم ، وتعرض عوارض مختلفة ، ولو ترك ضائعا لهلك ، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا . ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له . فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى ، فمنها صناعة المساحة ،

التى بها تعرف مقادير الأرض ، لتمكن القسمة بينهم بالعدل . ومنها صناعة الجندية ، لحراسة البلد بالسيف : ودفع اللصوص عنهم : ومنها صناعة الحكم ، والتوصل لفصل الخصومة . ومنها الحاجة إلى الفقه ، وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق ، ويلزموا الوقوف على حدوده ، حتى لا يكثر النزاع ، وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها . فهذه أمور سياسية لابد منها ، ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم ، والتمييز ، والهداية . وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ، ويحتاجون إلى المعاش ، ويحتاج أهل البلد إليهم ، إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا ، تعطلت الصناعات . ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت ؛ تعطلت البلاد عن الحراس ، واستضر الناس . فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التى لا مالك لها إن كانت . أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع ، قنعوا بالقليل من أموال المصالح . وإن أرادوا التوسع : فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ، ليمدوهم بالحراسة ، فتحدث الحاجة إلى الخراج . ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخر ، إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال ، وهم العمال . وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون . وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة ، وهم الخزان . وإلى من يفرق عليهم بالعدل ، وهو الفارض للعساكر . وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة ، انخرم النظام ، فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم ، وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا ، ويختار لكل واحد ما يليق به : ويراعى النصفة فى أخذ الخراج وإعطائه ، واستعمال الجند فى الحرب ، وتوزيع أسلحتهم ، وتعيين جهات الحرب ، ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم ، إلى غير ذلك من صناعات الملك . فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح ، وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم ، الحاجة إلى الكتاب ، والخزان ، والحساب ، والجباة ، والعمال . ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة . ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف ، فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج . وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف ،

الحاجة إلى الخراج وعماله

الحاجة إلى الملك

الفلاحون ، والرعاة ، والمحترفون . والثانية الجندية الحماة بالسيوف . والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الأخذ والعطاء ، وهم العمال ، والجباة ، وأمثالهم . فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت، والملبس ، والمسكن : وإلى ماذا انتهى . وهكذا أمور الدنيا ، لا يفتح منها باب ، إلا وينفتح بسببه أبواب أخر وهكذا تتناهى إلى غير حد محصور ، وكأنها هاوية لانهاية لعمقها ، من وقع فى مهواة منها سقط منها إلى أخرى ، وهكذا على التوالى

الحاجة إلى الأسواق والحوانيت

فهذه هى الحرف والصناعات ، إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات، والمال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به ، وأعلاها الأغذية ، ثم الأمكنة التى يأوى الإنسان إليها وهى الدور ، ثم الأمكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت ، والأسواق، والمزارع ثم الكسوة ، ثم أثاث البيت وآلاته ، ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان، كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة ، والفرس آلة الركوب فى الحرب . ثم يحدث من ذلك حاجة البيع ، فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة ، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة ، فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ، ويحتاجان إلى الفلاح . فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر ، حتى يأخذ منه غرضه ، وذلك بطريق المعاوضة : إلا أن النجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ، ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت إلى آلته ، فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ، ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت، فلا يحتاج إليه . فتتعوق الأغراض . فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ، ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات . وإلى أبيات يجمع إليها ما يحمله الفلاحون ، فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصد به أرباب الحاجات . فظهرت لذلك الأسواق والمخازن ، فيحمل الفلاح الحبوب ، فإذا لم يصادف محتاجا ، باعها بثمن رخيص من الباعة ، فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح . وكذلك فى جميع الأمتعة والأموال

الحاجة إلى التجار

: ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد ، فيتردد الناس ، يشترون من القرى الأطعمة ، ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به ، لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم ، إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة ، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام . فالبعض يحتاج إلى البعض ، فيحوج إلى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل ، وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة ، فيتعبون طول

الليل والنهار فى الأسفار لغرض غيرهم ، ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لامحالة غيرهم إما قاطع طريق ، وإما سلطان ظالم . ولكن جعل الله تعالى فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد . بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة . ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا . ولو فعلوا ذلك ، لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ، ولهلك الزهاد أيضا

ثم هذه الأموال التى تنقل لايقدر الإنسان على حملها ، فتحتاج إلى دواب تحملها . وصاحب المال قد لاتكون له دابة ، فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة . ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا . ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى النقدين ، فإن من يريد أن يشترى طعاما بثوب ، فمن أين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو . والمعاملة تجرى فى أجناس مختلفة ، كما يباع ثوب بطعام ، وحيوان بثوب . وهذه أمور لاتتناسب ، فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين ، يعدل أحدهما بالآخر ، فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ، ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم . وأبقى الأموال المعادن ، فاتخذت النقود من الذهب ، والفضة ، والنحاس . ثم مست الحاجة إلى الضرب ، والنقش ، والتقدير ، فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة : وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض ، حتى انتهت إلى ماتراه

حاجة الناس إلى النقد

فهذه أشغال الخلق ، وهى معاشهم . وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء . وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به ، أو يمنعه عنه مانع ، فيبقى عاجزا عن الاكتساب ، لعجزه عن الحرف . فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره ، فيحدث منه حرفتان خسيستان ، اللصوصية ، والكداية . إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما . ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ، ويحفظون عنهم أموالهم ، فافتقروا إلى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير أما اللصوص ، فمنهم من يطلب أعوانا ، ويكون فى يديه شوكة وقوة ، فيجتمعون ويتكاثرون ، ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم ، فيفزعون إلى الحيل ، إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة ، وإما بأن يكون طرارا أوسلالا ، إلى غير ذلك من أنواع التلصص ، الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها

كيف ينشأ قطاع الطرق واللصوص والمتسولون

وأما المكدى ، فإنه إذا طلب ماسمى فيه غيره ؛ وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة ، فلا يعطى شيئا . فافتقروا إلى حيلة فى استخراج الأموال ، وتمهيد العذر لأنفسهم فى البطالة ، فاحتالوا للتعلل بالعجز : إما بالحقيقة ، كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ، ليعذروا بالعمى فيعطون . وإما بالتعامى ، والتفالج ، والتجانن ، والتمارض ، وإظهار ذلك بأنواع من الحيل ، مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ، ليكون ذلك سبب الرحمة

وجماعة يلتمسون أقوالا وأفعالا ، يتعجب الناس منها ، حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ، ولا ينفع الندم . وذلك قد يكون بالتمسخر ، والمحاكاة ، والشعبذة ، والأفعال المضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة ، والكلام المنثور المسجع ، مع حسن الصوت . والشعر الموزون أشد تأثيرا فى النفس ، لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت . أو الذى يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين فى الأسواق وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض ، كبيع التعويذات والحشيش ، الذى يخيل بائعه أنها أدوية ، فيخدع بذلك الصبيان والجهال ، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين . ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ ، والمكدون على رءوس المنابر ؛ إذا لم يكن وراءهم طائل علمى ، وكان غرضهم استمالة قلوب العوام ، وأخذ أموالهم بأنواع الكدية ؛ وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين ، وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل المعيشة

فهذه هى أشغال الخلق وأعمالهم التى أكبوا عليها ؛ وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ؛ ولكنهم نسوا فى أثناء ذلك أنفسهم ، ومقصودهم ، ومنقلبهم ، ومآبهم فتاهوا وضلوا ، وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا ، خيالات فاسدة ، فانقسمت مذاهبهم ؛ واختلفت آراؤهم على عدة أوجه . فطائفة غلبهم الجهل والغفلة ، فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم ، فقالوا المقصود أن نعيش أياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ؛ ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ، ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ، ثم يكسبون ليأكلوا . وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ؛ ومن ليس له تنعم فى الدنيا ، ولا قدم فى الدين . فإنه يتعب نهارا ليأكل ليلا ، ويأكل ليلا ليتعب نهارا

وذلك كثير السوانى : فهو سفر لاينقطع إلا بالموت . وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا الأمر ، وأنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا ، بل السعادة فى أن يقضي وطره من شهوة الدنيا ، وهى شهوة البطن والفرج ، فهؤلاء نسوا أنفسهم، وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان ، وجمع لذائذ الأطعمة . يأكلون كما تأكل الأنعام ، ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة . فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة فى كثرة المال ، والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم ، وأتعبوا نهارهم فى الجمع ، فهم يتعبون فى الأسفار طول الليل والنهار ، ويترددون فى الأعمال الشاقة، ويكتسبون ويجمعون ، ولا يأكلون إلا قدر الضرورة، شحا وبخلا عليها أن تنقص، وهذه لذتهم، وفى ذلك دأبهم وحركتهم ، إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله فى الشهوات واللذات ، فيكون للجامع تعبه ووباله ، وللآكل لذته . ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة فى حسن الاسم ، وانطلاق الألسنة بالثناء ، والمدح بالتجمل والمروءة ، فهؤلاء يتعبون فى كسب المعاش ، ويضيقون على أنفسهم فى المطعم والمشرب ، ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة ، والدواب النفيسة . ويزخرفون أبواب الدور ، وما يقع عليها أبصار الناس ، حتى يقال إنه غنى ، وإنه ذو ثروة ، ويظنون أن ذلك هى السعادة فهمتهم فى نهارهم وليلهم ، فى تعهد موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس ، وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير ،فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات ، وتقلد الأعمال السلطانية ، لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ، ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم ، وانقادت لهم رعاياهم ، فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب . وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس،فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله ،وعن عبادته،وعن التفكر فى آخرتهم ومعادهم

ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها ، تزيد على نيف وسبعين فرقة ، كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل . وإنما جرهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ، ونسوا ما تراده هذه الأمور الثلاثة ، والقدر الذى يكفى منها ، وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها ، وتداعى بهم ذلك إلى مهاو لم يمكنهم الرقى منها

فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال ، وعرف غاية المقصود منها ، فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل ، إلا وهو عالم بمقصوده ، وعالم بحظه ونصيبه منه ، وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك . وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه ، وفرغ القلب ، وغلب عليه ذكر الآخرة ، وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له . وإن تعدى به قدر الضرورة ، كثرت الأشغال ، وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية . فتتشعب به الهموم . ومن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا ، فلا يبالى الله فى أى واد أهلكه منها . فهذا شأن [illegible] كين فى أشغال الدنيا

المتعبدون بقتل أنفسهم

وتنبه لذلك طائفة ، فأعرضوا عن الدنيا ، فحسدهم الشيطان ، و[illegible] كهم ، وأضلهم فى الإعراض أيضا ، حتى انقسموا إلى طوائف ، فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء [illegible] ، والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها ، سواء تعبد فى الدنيا أو لم يتعبد ، فرأوا أن الصو[illegible] أن يقتلوا أنفسهم ، للخلاص من محنة الدنيا . وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند ، فهم يتهجمون على النار ، ويقتلون أنفسهم بالإحراق ، ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا .

سبب من أسباب الإلحاد

وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص ، بل لا بد أولا من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية ، وأن السعادة فى قطع الشهوة والغضب . ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم ، حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة ، وبعضهم فسد عقله وجن ، وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق فى العبادة ، وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية ، فظن أن ما كلفه الشرع محال ، وأن الشرع تلبيس لا أصل له ، فوقع فى الإلحاد . وظهر لبعضهم

الإباحيون

أن هذا التعب كله لله ، وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد ، لا ينقصه عصيان عاص ، ولا تزيده عبادة متعبد . فعادوا إلى الشهوات ، وسلكوا مسلك الإباحة ، وطووا بساط الشرع والأحكام ، وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم ، حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد ،

المغرورون

وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة ، حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى ، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل ، وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة ، فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم فى معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف ، وإنما التكليف على عوام الخلق . ووراء هذا مذاهب باطلة ، وضلالات هائلة ، يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة . وإنما الناجى منها فرقة واحدة ، وهي السالكة ما كان عليه

الفرقة الناجية

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهو أن لايترك الدنيا بالكلية . ولايقمع الشهوات بالكلية . أما الدنيا ، فيأخذ منها قدر الزاد . وأما الشهوات ، فيقمع منها مايخرج عن طاعة الشرع والعقل ؛ ولايتبع كل شهوة ، ولايترك كل شهوة . بل يتبع العدل ، ولايترك كل شيء ولا يطلب كل شيء من الدنيا . بل يعلم مقصود كل ماخلق من الدنيا ، ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت مايقوى به البدن على العبادة ، ومن المسكن مايحفظ عن اللصوص والحر والبرد ، ومن الكسوة كذلك ، حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن : أقبل على الله تعالى بكنه همته ، واشتغل بالذكر والفكر طول العمر ، وبقي ملازما لسياسة الشهوات ، ومراقبا لها ، حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى . ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فإنه عليه السلام [1] لما قال « النَّاجِي مِنْهَا وَاحِدَةٌ » قالوا يارسول الله . ومن هم ؟ قال « أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » فقيل ومن أهل السنة والجماعة ؟ قال « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » وقد كانوا على النهج القصد ، وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل . فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين . وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية . وما كان لهم فى الأمور تفريط ولا إفراط . بل كان أمرهم بين ذلك قواما . وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين ، وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع ، والله أعلم

تم كتاب ذم الدنيا ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

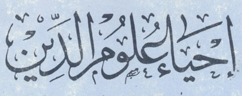
---

(١) حديث افتراق الأمة وفيه الناجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة ـ الحديث : الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة فقالوا من هى يارسول الله قال ماأنا عليه وأصحابى ولأبى داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جياد

فهرست الجزء التاسع

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية
١٩٨٦ / ٧٨٥٩

الترقيم الدولى	٤ ـ ١ ـ ٠١ ـ ١٥٥٥ ـ ٩٠٧٧



مضاف اليه . . تخريج الحافظ العراقى

يصدر عن « **دار الغد العربى** » للنشر والإعلان فى [١٦ جزءاً] . . يومى ١ ، ١٥ من كل شهر . . . ثمن الجزء الواحد ١٧٥ قرشاً ، ولمن يرغب فى الاشتراك فى المجموعة كاملة [١٦ جزءاً] فما عليه إلا أن يرسل حوالة بريدية ، أو شيكاً مصرفيا بمبلغ ٢٥ جنيها باسم « **دار الغد العربى للنشر والإعلان** » ٣ شارع دانش - العباسية - القاهرة - جمهورية مصر العربية . .

ويطلب الكتاب من منافذ التوزيع التالية :-

١ - « دار الغد العربى » : ٣ شارع دانش - العباسية - القاهرة
تليفون : ٨٢٤٣٢٩

٢ - شركه توزيع الأهرام : مبنى الأهرام شارع الجلاء - القاهرة
تليفون : ٧٥٥٥٠٠ - ٧٤٥٦٦٦ - ٧٥٨٣٣٣

٣ - مكتبة الكليات الأزهريه : ٩ شارع الصنادقية - الأزهر
تليفون : ٩٣١٢٩٦

٤ - دار جوامع الكلم : ١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى الدراسة - القاهرة

٥ - أبولو . . للنشر والتوزيع : ١٦ شارع البورصة - التوفيقية القاهرة
تليفون : ٧٥٢٢٢٤

سيصدر الجزء العاشر

بمشيئة الله يوم ١ مايو ١٩٨٧

الثمن ١٧٥ قرشا